تفسير القرآن

التربي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

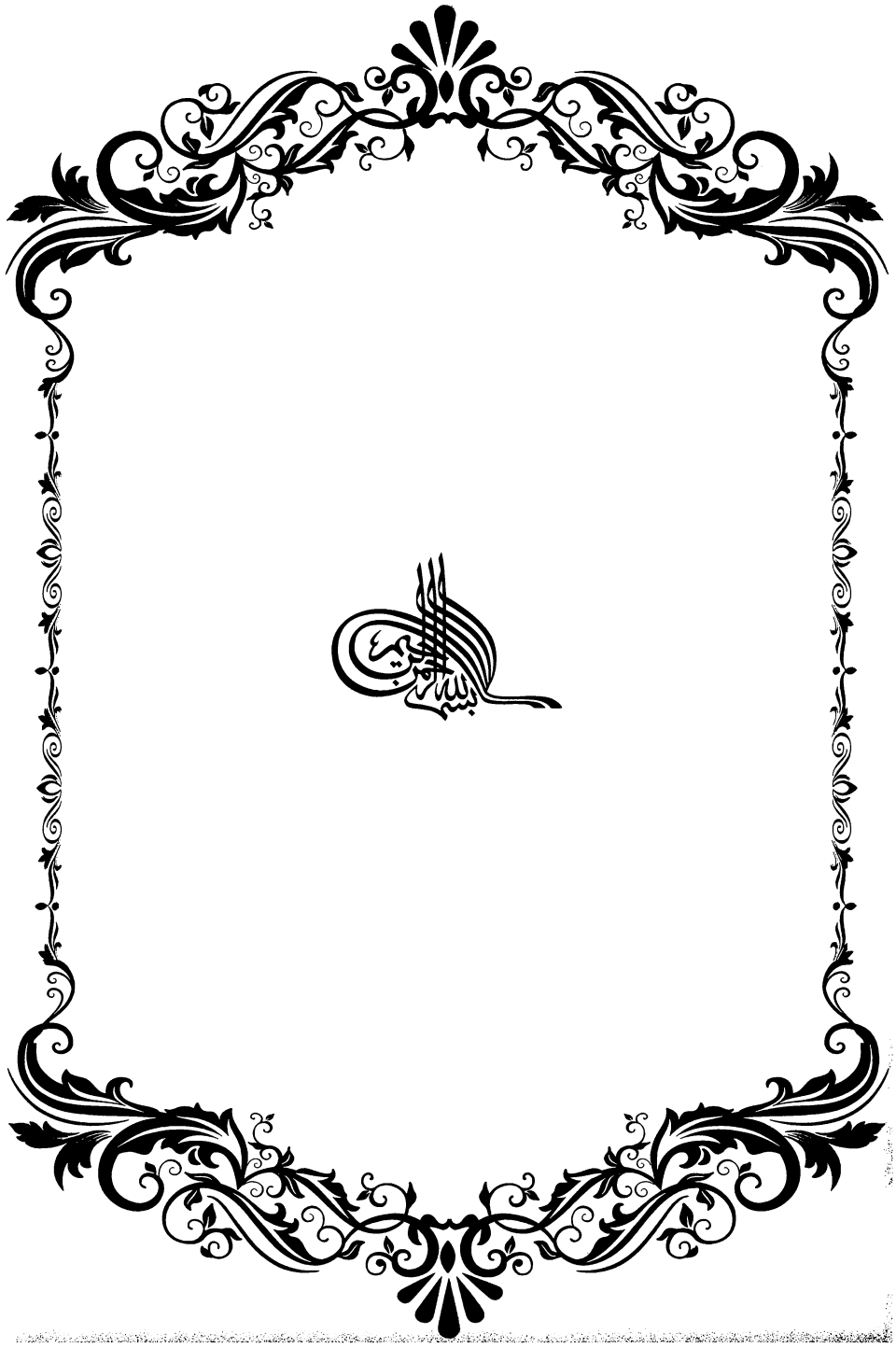
إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء الأول

دار المعراج

دار جوامع الكلم





تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء الأول

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج

تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429 . سورية . دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

دار جوامع الكلم
للطباعة والنشر والتوزيع

جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريَّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

بسم الله الرحمن الرحيم

NORTH AMERICAN IMAMS FEDERATION

NAIF

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين إلى يوم الدين .. وبعد:

فإن القرآن الكريم هو الكتاب المبارك الذي أنزله الله رحمة للعالمين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم.

صدق الله حيث قال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ . وكان من دلائل صدق هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم إلى يوم الدين أن قيّض له من أولي العلم والنّهى من بذلوا جهودا مشكورة، وصنّفوا المصنفات، وألّفوا المؤلفات في العلوم التي «تتصل بهذا الكتاب الكريم وتشكّل سياجا منيعا للحفاظ عليه، تلك التي عرفت ب «علوم القرآن.

وإن العمل في رحاب هذا الكتاب الكريم لهو شرف ما بعده شرف، وإن خدمة هذا النور الإلهيّ والكتاب الربانيّ لهو من أجلّ ما يتشرف به الإنسان ويعتزّ به حيث شهد له من أنزل عليه هذا الكتاب صلوات الله وتسليماته عليه بالخيرية والأفضلية عند ما قال: (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه) رواه البخاري.

وكان من توفيق الله سبحانه وتعالى لأخي الدكتور الفاضل محمد الهلال أن شارك بهذا الجهد الطيب في هذا المضمار وهو اخ عرفته عن قرب من خلال الزيارات الشخصية المتبادلة ومن خلال العلاقة الأكاديمية التي تربطني به كوني عميد الدراسات الإسلامية في الجامعة التي نال منها شهادة الدكتوراه

فأقول وقبل الكلام عن كتابه انه رجل وداعيه قمه في التواضع والادب قد خلط بين العلم الشرعي والعلم الاكاديمي وخاصة الطب وبرع فيهما

وقد وهب الرجل قسم كبير من حياته لخدمة كتاب الله تعالى تعلما وتعليما من خلال منابر المساجد وله في هذا المجال باع طويل، واختتم هذه المسيرة المباركة مع كتاب الله تعالى بعمل رائع اضاف من خلال كتابه في التفسير والذي يحمل عنوان

تفسير القران الثري الجامع في الاعجاز البياني واللغوي والعلمي

والذي كنت اتشرف بأبداء بعض الملاحظات هنا وهناك حسب رغبة فضيلة الدكتور ومختصر القول بان هذا التفسير اضافه جميله لكتب التفسير بأسلوب سهل ميسر يفهمه الجميع وهو غني بالمسائل اللغوية والعلمية في قالب جذاب مراعيا التقيد بكل ما هو ضروري لمن يكتب في هذا الفن والله اسال ان يبارك في الكتاب وصاحبه وان ينفع به المسلمين امين وصلى الله على نور الهدى محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

الأستاذ الدكتور عمر شاهين

مؤسس ورئيس اتحاد الائمه بأمريكا الشمالية سابقا

نائب رئيس جامعة مشكاه سابقا

عميد برنامج الدراسات الإسلامية

فينكس اريزونا بتاريخ ١٩\٢٥



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم من الدكتور/ إسماعيل الشيخ - رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بأمريكا الشمالية

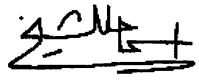
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد..

فقد شرفت بالاطلاع على كتاب (تفسير القرآن الثري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي) للدكتور الشيخ محمد الهلال، الذي لم أكن أظن أن يكتب أحد مثله في هذا الزمن، لكن الحقيقة أن القرآن سيظل يلهم من اصطفاه الله من عباده لينهل من معينه إلى يوم القيامة، وقد اصطفى الله عبده الدكتور محمد الهلال (الداعية والخطيب) الذي أفنى حياته خادمًا لكتاب الله وداعيًا إلى سبيله ليكتب هذا التفسير البديع الجامع الذي رغم كونه حوالي 12 مجلد إلا أنه يتميز بالسهولة والسلاسة، وقد جمع فيه كثيرًا من المسائل العلمية التي أشار إليها القرآن وفسرها العلم الحديث مستندًا فضيلته إلى خبرته العلمية الطويلة كطبيب جراح حاز أعلى الدرجات العلمية في تخصصه، وهذا في الحقيقة ما يميز هذا التفسير عن غيره من التفاسير القديمة والحديثة، كما أنه جمع صنوفا من بلاغة وبيان النص القرآني العظيم في أسلوب بسيط يناسب كل القراء.

لا شك أن هذا التفسير سيكون إضافة وإثراءاً للمكتبة الإسلامية ومرجعًا هامًا لطلبة العلم ولعموم الأمة على السواء. أسأل الله أن يبارك في هذا العمل وفي مؤلفه وأن يجعله شفيعًا له يوم القيامة.

دكتور/ إسماعيل الشيخ

رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بأمريكا الشمالية



المقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّـلام علىٰ سيِّد المرسلين، وخاتم النبيِّين، ورحمة العالمين.

تبقىٰ أسرارُ القرآن الكريم حبلَ الله ونورَه في السموات والأرض فوق كلِّ تفسـير، وأكبرَ من أن يحيـط بها علمٌ، أو يصل إلىٰ حقيقتها عقل بشـر، أو يعلم منتهاها إلا الذي أنزلها سبحانه؛ فقد حارت عقول علماء الفقه والتفسير، وعلماء اللغة والنحو والبيان، وعلماء الكون في عظمة كلام الله عزَّ وجلَّ وإعجازه.

فالكلُّ يُقرُّ ويعتـرف بأنهم مهما بلغوا من العلم في تفسـير كتاب الله عزَّ وجلَّ ما بلغوا إلا قليلاً، ولم يدركوا من أسـراره ومعانيه إلا يسيراً، أو ما سواه إلا نقيراً، أو فتيـلاً، أو قطميراً، أو حبةً من خردل، أو ذرَّة، أو دون ذلك، أو قطرة من بحر يمدُّه من بعده سبعة أبحر.

هـذا الكتاب الذي نزَّله علىٰ عبده، ولم يجعـل له عوجاً؛ ليكون للعالمين نذيراً، ويبشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً.

والكلُّ يعلم أن هذا القرآن لا يزال يُفسَّـر طـوال (١٤) قرناً، وفي كلِّ زمن تظهر بعض المعاني والأسرار الجديدة، وكما قيل: لا تنقضي عجائبه.

ولقد اسـتغرقتُ أكثر من (٢٥) عاماً في كتابة هذا التفسـير مسـتنداً إلىٰ مصادر علمية موثوقة تطرَّق إليها الباحثون، وتفسير القرآن بالقرآن، والدراسات في علوم القرآن والأشـباه والنظائر، والتفسير الموضوعي، وعلوم اللغة والبيان والنحو والبلاغة.

ولقد قرأت الكثير من التفاسير المشهورة؛ فوجدت أن معظمها متشابهة في المعاني والبيان، ولا تروي غليل المتدبر للقرآن، وتجيب على كل تساؤلاته في الإعجاز البياني، أو الفروق اللغوية، أو الإعجاز العلمي، والدرر البلاغية التي تجعل القارئ لا يمل أبداً من تدبر كتاب الله العزيز، ولذلك حاولت إضافة هذه المعلومات في هذا التفسير الذي هو لوجه الله تعالى ـ إن شاء الله ـ وأرجو أن يتقبل ذلك.

وهذا التفسير يشمل عدَّة أجزاء، ومنهجه كما يلي:

١ - قسمتُ الآيات إلى وحدات، كل وحدة تمثِّل صفحة من القرآن بالرسم العثماني، يليها تفسير لتلك الوحدة.

٢ - ذكرُ أسباب نزول بعض الآيات التي تُعين على البيان.

٣ - محاولةُ تفسير كل حرف أو كلمة ومعانيها.

٤ - معرفةُ الفروق اللغوية بين الكلمات المتشابهة أو القريبة في المعنى.

٥ - معرفةُ أصل كثير من الكلمات التي تردَّدت في القرآن، وكيف اشتُقَّت.

٦ - مقارنةُ كثير من الآيات المتشابهة في السور المختلفة أو السورة الواحدة.

٧ - محاولةُ عدم تكرار التفسير والإشارة بالرجوع إلى الآيات الأخرى السابقة، أو اللاحقة.

٨ - محاولةُ تبيانِ جانبٍ من الإعجاز البياني واللُّغوي، والإعجاز العلمي في كثير من الآيات.

٩ - ذكرُ أكثر من معنى للآية إذا كانت تحتمل ذلك.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

المؤلِّف

الدكتور محمد الهلال

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الفَاتِحَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

وَآيَاتُهَا سَبْعٌ

سورة الفاتحة

ترتيبها في القرآن (١) وترتيبها في النزول (٥).

لها عدَّة أسماء منها الفاتحة؛ لأنّها فاتحة القرآن وتفتح بها الصّلوات، وأمّ الكتاب أو القرآن والسّبع المثاني «سبع آيات» تُثنّى في كل ركعة؛ أي: تعاد قراءتها، وسورة الحمد، ولها أسماء أخرى، ترتيبها في القرآن «١»، وترتيبها في النّزول الخامسة.

قيل: نزل بها الوحي مرتين الأولى في مكة عندما فرضت الصّلاة، والثّانية في المدينة عندما حولت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ارجع إلى سورة النحل آية (٩٨) للبيان، والآية (٣٦) من سورة البقرة.

[١] ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: الباء للإلصاق أو الملازمة.

والاسم: نوعان: جامد ومشتق، والجامد: الذي يدل على اسم ذات، أو اسم معنى.

والمشتق: ما أُخذ من غيره مثل عالم من علم، والأسماء المشتقة مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول... وغيرها.

بسم الله: تكتب بغير ألف كما في هذه الآية، وقد تكتب بألف كما في قوله

تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]، فلماذا تكتب بألف أو بدون ألف ذلك ليدلنا على أن رسم القرآن رسم توقيفي كما أنزله الله سبحانه لم يتغير ولن يتغير إلى قيام الساعة.

﴿اللَّهِ﴾: اسم العلم الدال على الذات الإلهية وهو الاسم الأعظم الذي تفرد به الإله المعبود، واجب الوجود، وكامل الصفات والنعوت، ليس كمثله شيء، والاسم الجامع لكل صفات الكمال الإلهية، وقد ذكر اسم الله ﷻ في ألفين وستمئة وتسع وتسعين مرة في القرآن الكريم، كما ورد في المعجم المفهرس (٢٦٩٩).

ومن معاني بسم الله: أي: أقرأ مستعيناً بالله.

وأبدأ بالذي سخَّر لي هذا.

وأقبلت يا رب على قراءتي لا بقوتي ولا باقتداري، ولكن بقوَّتك وقدرتك.

وحين تقول: بسم الله، كأنك تدعوه باسمه الذي يشمل (٩٩) صفة منها العليم الحكيم القوي الخبير العزيز الرحيم العلي الكبير القدير...

وقد تكرَّرت هذه الآية (١١٣) مرة في القرآن في بداية كل سورة، إلَّا سورة التوبة. وذكرت في سورة النمل آية (٣٠).

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. يأتي تفسيرها في الآية (٣) من سورة الفاتحة.

والسؤال هنا: هل البسملة آية من الفاتحة أم لا؟ اختلف الفقهاء في هذه المسألة، وحكم قراءة البسملة في الصلاة.

[٢] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الحمد هو الثناء الكامل المطلق باللسان أو بالقلب لله سبحانه على إحسانه وفضله وكرمه وعطائه؛ حمد إجلال وتكبير على صفاته الذاتية.

والحمد لا يكون إلَّا لله تعالى وحده، ويتضمن الشكر، والحمد لله تعالى يشمل حمد الألوهية وحمد الربوبية.

فحمد الألوهية: لكونه ﷻ الإله الحق الذي يستوجب الحمد.

فالله سبحانه يستحق الحمد لذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه؛ ولأنّه لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذّل، حمداً لوجوده وعدله وحكمه وقضائه وعلمه وحكمته.

وأمّا حمد الرّبوبية: فلأنّه هو المتكفل بخلق المخلوقات والموجودات وإنشائها القائم على هدايتها وإصلاحها، وكذلك هو الرّزاق والمربي والحفيظ والولي والنّاصر، نحمده على نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ونعمة التّبليغ والتّكليف ونعمة التسخير ونعمه الأخرى، والّتي لا تعد ولا تحصى.

أليس هو الّذي سخَّر لنا ما في السّموات وما في الأرض وأسبغ علينا نعمهُ ظاهرة وباطنة وأنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام وبنعمة القرآن، وأرسل إلينا خاتم رسله ﷺ.

أليس ذلك يستوجب الحمد؟ نحمده حمداً طيباً مباركاً يليق بعظمته وجلاله، والحمد للعطاء وللمنع فالمنع في حد ذاته عطاء فالحمد لله في السّراء والضّراء وإذا أعطى أو إذا منع.

الحمد للــه، قيل: أصله أحمد الله حمداً أو حمــدت الله حمداً، ثم أولاً: حذف الفعــل أحمد أو حمدت اكتفاء بدلالة مصدره عليــه وهو الحمد، وثانياً: عدل إلىٰ الرّفــع لقصد الدّلالة علىٰ الثّبوت والدّوام حمــدٌ لله؛ أي: حمدٌ ثابت مســتمر منذ الأزل إلىٰ الأبد فهو المحمود قبل حمــد الحامدين وهو الغني عن حمد الحامدين الأولين والآخرين.

وثالثاً: جاء بأل التّعريــف لتدل علىٰ كمال الحمد المصحوب بالعبودية له وحده والإخلاص والحــب والتّعظيم والحمد لله مطلقة لا تختص بفاعل معين أو زمــن معين، كما لو قال: أحمد اللــه أو حمداً لله، فهذه تدل علىٰ فاعل وزمن معين.

والحمدُ لله جملة اســمية تدل علىٰ الثّبات، واســتمرار الحمد، بحيث لا ينقطع ليلاً ونهاراً، كما لو قال: الحمدَ لله جملة فعلية تدل علىٰ التّجدد والتّكرار، والجملة الاسمية أقوىٰ وآكد من الفعلية والحمد أعم من الشّكر فالحمد لا يكون إلّا لله وحده، وأمّا الشّــكر فقد يقال لمن أســدىٰ إليك معروفاً. ويكون باللسان والجوارح (بالطاعة).

﴿لِلَّهِ﴾: اللام في لفــظ الجلالة لام الاختصاص والاســتحقاق، الله: هو الاسم الأعظم الّذي خص الله به بنفسه وقدَّمه علىٰ كل أسمائه الأخرىٰ فهو علم علىٰ ذاته العلية، وعلىٰ أنّه الإله الحق واجب الوجود والإله المعبود. وهو الاسم الجامع لكل الصفات الإلهية واسم الجلالة لا يشاركه فيه غيره لا يُثنىٰ ولا يجمع.

﴿رَبِّ﴾: نعــت للفظ الجلالة (الله) أو بدل، اســم اللــه الدال علىٰ كونه الخلاق الرّزاق والمربي لعباده والمالك والسّــيد والمدبــر والمحي والمميت والقيوم علىٰ شؤون خلقه تدبيراً وتصريفاً.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جمع عالم، العالم اسم جنس تشمل كل العوالم عالم الجن والإنس والملائكة والحيوان والنّبات والجماد والـذّر وغيرها، وغلب العقلاء على غيرهم فقال العالمين، وهناك من يطلق على المخلوقات غير العاقلة عوالم.

الحمـد لله؛ لأنّـه رب العالمين يعطـي الكل المؤمـن والكافر والمطيع والعاصي مـن عطاء الرّبوبية يعطـي كل مخلوق هدايته وحاجته ومعاشـه وما يصلحه.

[٣] ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

قابل سبحانه الحمد والثّناء له؛ لأنّه الرّحمن الرّحيم.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسـمان من أسمائه مشتقان من الرّحمة ويجريان مجرى الصفة.

فالرحمن: صيغة مبالغة من الرّحمة كثرة الرّحمة على وزن فعلان الّتي تدل على التّجدد والتّكرار والرّحمن هو من عمَّت رحمته جميع المخلوقات في الدّنيا المؤمن والكافر والمطيع والعاصي فهو رحمن الدّنيا.

هذه الرّحمة الّتي تتضمن الإيجاد والرزق والهداية والإنعام والإحسان.

الرّحيـم: صيغة مبالغة من الرّحمة على وزن فعيـل الّتي تدل على الثّبوت أي: دائم ثابت الرّحمة الرّحيـم بعباده المؤمنين في الدّنيا والآخرة رحمة خاصة فالرّحمن صفة عامة تشمل كل مخلوق والرّحيم صفة خاصة للمؤمنين.

فكـون الرّحمن الرّحيم فهو جمع الصّفتين معـاً؛ أي: رحمة ثابتة دائمة لا تنقطـع، وكذلك تتجدد وتتكرر لعباده لمن هو في حاجة إليها ويطلبها منه، وقدم الرحمن على الرحيم قدم العام (الرحمن) على الخاص (الرحيم).

[٤] ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:

لها قراءتان مالك يوم الدّين، وملك يوم الدّين، والقراءتان صحيحتان.

﴿مَٰلِكِ﴾: أو ملك: أي الحاكم وحده يوم الدّين؛ أي: يوم الحساب والجزاء فيكافئ ويجازي كلّاً على عمله، وملك أي: صاحب الملك من التّملك فهو مالك ومِلك السّموات والأرض وما فيهن ومالك وملك كل الأشياء والأوقات والزّمان والأيام بما فيها يوم الدّين.

﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: أي: يوم الحساب والجزاء والدِّين له معان كثيرة أيضاً منها الطّاعة والشّريعة والخضوع والقهر. والدِّين في اللغة: الجزاء: أي: يوم الجزاء والثواب.

فيوم الدِّين: أعمُّ وأشمل من يوم القيامة ومن يملك يوم الدّين، يعني: يملك ما يجري فيه من الأحداث ويملك الزّمان، وبما أنّه يوم الجزاء والجزاء لا ينتهي، ويمتد إلى الآخرة ليشمل الخلود في الجنة أو في النّار.

[٥] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

﴿إِيَّاكَ﴾: ضمير فصل وتقديم إياك على نعبد يفيد الحصر والاختصاص أي: لا نعبد إلّا أنت.

﴿نَعْبُدُ﴾: العبادة هي طاعة العابد للمعبود فيما أمر أو نهى والعبادة لا تكون إلّا للخالق وتعني الخضوع ولها جزاء، ولا تكون إلّا مع المعرفة بالمعبود. ارجع إلى سورة النحل الآية (٧٣) لمزيد من البيان في معنى العبادة.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي: لا نستعين إلّا بك وحدك، نستعين نطلب العون للوصول إلى الغاية، نستعين بك في كل حركة وقول وفعل كل أمر وكل شيء

في العبادة والطّاعة والرّزق والهم والغم والعجز والكسل، وفي كل أمر من أمور الدّنيا والآخرة.

وتكرار إياك للتوكيد وفصل كلاً من العبادة عن الاستعانة فقد نعبد الله، ولا نطلب منه الاستعانة أو نستعينه ولا نعبده، ولذلك لم يقل: إياك نعبد ونستعين كيلا تصبح العبادة مشروطة بالاستعانة أو الاستعانة مشروطة بالعبادة، وإياك نعبد تدل على حق الرّب، وإياك نستعين تدل على حق العبد.

وقوله: نعبد: لم يحدد نوع العبادة، بل أطلقها لتشمل كل أنواع العبادات.

وقوله: نستعين: لم يحدِّد نوع الاستعانة وأطلقها لتشمل كل أنواع الاستعانة المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، وقرن العبادة بالاستعانة؛ لأن العبد يحتاج إلى الاستعانة بالله لكي يقوم بالعبادة، ولولا عون الله تعالى ما استطاع العبد أن يعمل شيئاً.

ولم يقل: إياك أعبد وإياك أستعين بصيغة الإفراد، وإنما جاءت بصيغة الجمع إشارة إلى أفضلية الدّعاء بصيغة الجمع بدلاً من الدّعاء أو الاستعانة بصيغة الإفراد أو صلاة الفرد، وقدَّم العبادة على الاستعانة؛ لأنّ العبادة فرض وحق الله تعالى على العبد، والاستعانة ليست فرض وإنما طلب وحق للعبد فقدَّم حق الله على حق العبد والعبادة هي الغاية الأولى لخلق الإنس والجن والاستعانة وسيلة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وملاحظة أخرى: مطلع الآيات في الفاتحة جاءت بصيغة الغائب، ثم تحولت إلى صيغة المخاطب بدءاً من قوله: إياك نعبد وإياك نستعين والسّر في

ذلك أنّ الثّناء في حالة الغيبة أولىٰ وأفضل والدّعاء في حالة الحضور «المخاطب» أولىٰ وأفضل.

إياك نعبد تدل علىٰ الخضوع والتّواضع فهي دواء للكبر، وإياك نستعين دواء للضعف والعجز، واهدنا الصّراط المستقيم دواء للجهل.

[٦] ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾:

﴿ ٱهْدِنَا ﴾: دعاء يتكرر سبع عشرة مرة في اليوم في صلاة الفرض فقط فما بالك أيضاً بصلاة السنة وغيرها من الصلوات؛ الهداية: تعني الدلالة والإرشاد والتوفيق والإلهام وتعني أيضاً: وفقنا للاستقامة علىٰ الصراط المستقيم، وأقمنا علىٰ ذلك، وتكرار هذا الدعاء يدل علىٰ أهمية المطلوب، ويدل علىٰ أن الإنسان بحاجة إلىٰ هداية ربه مهما بلغ من العلم والإيمان؛ لأنه ليس معصوم من الزلل.

واهدنا: بصيغة المخاطب أو الخطاب المباشر من العبد إلىٰ ربه، والدعاء بصيغة الخطاب أولىٰ وأقوىٰ من الدعاء بصيغة الغائب، واهدنا بصيغة الجمع مقارنة بالقول اهدني الصراط المستقيم، والدعاء بصيغة الجمع أفضل من الدعاء بصيغة الإفراد حيث ندعو للمؤمنين كما ندعو لأنفسنا.

﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾: هو الطّريق الواسع، أوسع الطرق أو السبل، المستقيم: الذي لا عوج فيه وبذلك يكون الأقصر والأسهل وأسلم الطّرق الموصلة إلىٰ الغاية وهي رضوان الله تعالىٰ والجنة، فالصراط ليس هو الغاية وإنما هو الوسيلة الموصلة للغاية.

والصراط: أفضل من السبيل أو الطريق، والصراط: في هذه الآية جاءت معرفة بأل التعريف التي تدل علىٰ الكمال، وتعني: البين الواضح وفي الآية (٧) في نفس السورة قال تعالىٰ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ جاءت كلمة صراط مضافة

ومعرفة بصراط الذين أنعمت عليهم، والصراط المستقيم: هو نفسه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين.

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: دين الإسلام الدّين الحق الدّين القيم الموصل إلىٰ الغاية بأقصر السّبل وأيسرها وأسلمها.

قال سبحانه: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ولم يقل: اهدنا إلىٰ الصّراط المستقيم أو اهدنا للصراط المستقيم.

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: هم علىٰ الصّراط المستقيم الآن ويسألونه الهداية للسير فيه وتعريفهم عليه والثّبات والاستقامة والاستمرار للوصول إلىٰ النّهاية والغاية.

أما اهدنا إلىٰ الصّراط المستقيم: تعني هم خارج الصّراط الآن أو بعدين عنه، ولا يعرفونه ويسألونه لدلالة والمعرفة لكي يسلكوا الصّراط المستقيم.

وأما اهدنا للصراط المستقيم: تعني هم وصلوا إلىٰ النّهاية والغاية أو أتموا السّير علىٰ الصّراط كالأنبياء والصّديقين والشّهداء والصّالحين الّذين سبقونا.

[٧] ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: اهدنا صراط الذين عرفوا الحق وعملوا به من النّبيين والصّديقين والشّهداء والصّالحين الّذين أنعمت عليهم بالهداية والإيمان والاستقامة علىٰ الصّراط المستقيم حتّىٰ وصلوا إلىٰ الغاية والنّهاية، وهي رضوان الله عليهم ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وأنعمت عليهم تشمل: الأولين والذين جاءوا من بعدهم؛ أي: صراط الذين أنعمت عليهم من الأولين والأخرين وأنعمت تحمل معنىٰ كثرة: الذين أنعمت عليهم بمرور الزمن.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: غير تفيد المغايرة ذاتاً وصفة. المغضوب عليهم:

أهـــل المعصية من اليهود والمنافقين والمشـــركين والكافريـــن (كما قال الفخر الرازي).

ولم يقـــل: غير صراط المغضوب عليهم لكفرهم وإفســـادهم في الأرض وصدهم عن سبيل الله كثيراً ومنهم اليهود وغيرهم.

والمغضوب عليهم: جاء باسم المفعول بدلاً من اسم الفاعل غاضب؛ أي: (الغاضب عليهم)، ليجعل الجملة اسمية تدل على ثبوت كفرهم ودوامه والواقع عليهم من غضب الله من كل الجهات من الله ومن الملائكة ومن النّاس أجمعين.

وغضب الله يعني: الطّرد والبعد عن رحمة الله ورضوانه.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: الـــواو عاطفة، لا: لتوكيد النّفي وفصل كلاً من المغضوب عليهم عن الضّالين أهل الجهل وكالنّصارى وغيرهم الّذين زعموا أنّ المســـيح ابن الله أو ثالث ثلاثة، والضّالين: جمع ضال وتعني عن طريق الهدى والصراط المســـتقيم والضّالين تشـــمل كل ضال في العقيدة والمنهج نتيجة فســـاد العلم والضّالين جملة اســـمية تدل على الثّبوت واســـتمرار ضلالهم. ارجع إلى الآية (١٩٨) من سورة البقرة لمزيد من البيان في معنى الضالين.

وقدَّم المغضوب عليهم على الضّاليـــن لأن المغضوب عليهم جاءوا قبل الضالين ولكونهم أشـــد ضلالاً وجرماً وعقوبة؛ لأنّهم عرفوا الحق وعدلوا عنه، وأما الضالين جهلوا الحق ولم يعرفوه.

❖❖❖

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

وآياتها مائتان وست وثمانون آية

سورة البقرة [الآيات ١- ٥]

ترتيبها في القرآن السورة الثانية، وترتيبها في النّزول (٨٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾:

بالنسبة للحروف المقطعة، في أوائل السور، يجب أنّ نعلم الحقائق التالية:

هناك (٢٩) سورة في القرآن، بدأت بهذه الحروف المقطعة، وسمِّيت مقطعة؛ لأنَّ كل حرف ينطق بمفرده، مثل: ألف، لام، ميم، والحروف المقطعة عددها (١٤) حرفاً، من حروف الهجاء الـ (٢٩).

هي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون.

إذا نظرت إلىٰ هذه الأربعة عشر حرفاً، وجدتها مشتملة علىٰ أنصاف أجناس الحروف، يعني ذلك، فيها من المهموسة نصفها: الصاد، والكاف، والهاء، والسين، والحاء، ومن المجهورة نصفها الألف، واللام، والميم، والراء، والعين، والطاء، والقاف، والياء، والنون.

ومن الشديدة نصفها: الألف، والكاف، والطاء، والقاف، ومن الرخوة نصفها: اللام، والميم، والراء، والصاد، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والياء، والنون، ومن المطبقة؛ نصفها: الصاد، والطاء، ومن المنفتحة نصفها: الألف،

واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والقاف، والياء، والنون.

ومن المستعلية نصفها: القاف، والصاد، والطاء، ومن المنخفضة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والسين، والحاء، والنون، ومن حروف القلقلة نصفها: القاف، والطاء.

بعض هذه الحروف؛ وردت كآية، مثل: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾: [البقرة:١]. وبعضها، ورد كجزء من آية، مثل ﴿الٓمٓرٰۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد:١].

تجمع هذه الحروف الأربعة عشر جملة: نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ له سر، أو نصٌّ حكيم له سرٌّ قاطع. وهذه السور الـ(٢٩)، بدأت إما بحرف، مثل: ن، ص، ق، وإما بحرفين: مثل: حم، يس، طس؛ وإما بثلاثة أحرف كما في سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم.

ومثل الم، (سورة البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، السجدة، لقمان).

وإما بأربعة أحرف: المص (سورة الأعراف)، والمر (سورة الرعد).

وإما بخمسة أحرف: كهيعص (سورة مريم)، حم، عسق (سورة الشورىٰ).

وتقرأ هذه الحروف بالوقف، فلا تقول: ألم، كما في ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾، بل نقول: ألف لام ميم.

عجز المفسرون والعلماء في معرفة معناها، ولم يتطرق رسول الله ﷺ، ولا الصّحابة الكرام إلىٰ السّؤال عن معناها، ولا يعلمها إلّا الله وحده سبحانه.

ونلاحظ أنه إذا بدأت بحرف أو حرفين، مثل: ق أو ص، جاء بعدها ذكر

القــرآن؛ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾، ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾، وبحرفيــن مثل يس، طــه: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ (كما في سورة الزخرف والدخان).

وإذا بدأت بثلاثة أحرف أو أكثر، يأتي بعدها ذكر الكتاب؛ أمثلة:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾.

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

المر (أربعة أحرف)، تلك آيات الكتاب، والذي أنزل إليك، ونلاحظ سبع ســور، بدأت حم تلاها ذكر الكتاب، وأما سورة الشــورىٰ؛ حم عسق، لم يذكر بعدها الكتاب، ونلاحظ ذكرت كلمة (الكتاب) في (٢٠) سورة من (٢٩) سورة، الّتي ذكرت فيها الأحرف المقطعة. بينما ذكرت كلمة القرآن في (٦) ســور، وفي سورتين ذكر (القرآن والكتاب) معاً في سورتي الحجر، والنمل.

أما ما قيل بخصوص هذه الأحرف المتقطعة:

١ - إنها نزلت لإثبات عربية القرآن، وإن القرآن نزل بلغة العرب.

فالحروف: الــم، ق، ص، وغيرها؛ هي حروف عربيــة، فهي نزلت لإثبات عربية القرآن.

٢ - قيــل: هذه الحروف المقطعة؛ نزلت لتحدي العرب؛ فالقرآن يتألف من هذه الأحرف، الّتي تتعلمون بها، فائتوا بمثل هذا القرآن أو الآيات.

٣ - قيــل: هذه الحروف، تثبت أنّ القرآن منزل من عند الله ســبحانه، وليس من عند الرسول؛ فلو كانت من عند الرسول ﷺ، لفسّرها لنا؛ إذ لا الرسول ﷺ ولا الصّحابة، سألوا عن معناها.

٤ - هذه الحروف نزلت، ليتعبد الله سبحانه بها وحده، فهو أنزلها، ثم نقرؤها: ألف لام ميم، فنثاب ٣٠ حسنة، فنعبد الله سبحانه بها، وإن كنا لا ندري ما معناها، ولا الحكمة منها، فإننا نقول: سمعنا وأطعنا، ونؤمن بها، ونقول: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، ولا نقول: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾.

٥ - حروف استأثر الله سبحانه بعلمها، فهي من المتشابه، الذي لا يعلمه إلَّا الله ﷻ.

٦ - قيل هي حروف، لها دلالة على أسماء الله الحسنى، وصفاته.

٧ - حروف، أقسم الله تبارك وتعالى بها.

٨ - قد يكون لها علاقة بسمات التعبير في السور.

[٢] ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا؛ اسم إشارة، واللام؛ للبعد، والكاف؛ للخطاب.

اسم إشارة؛ يُشير إلى بعد منزلة الكتاب، وعلو شأنه.

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾: أي: القرآن المكتوب في اللوح المحفوظ، والكتاب هو جزء من المكتوب في اللوح المحفوظ، ويسمى الكتاب؛ لكونه مكتوباً في السطور، وفي اللوح المحفوظ، والكتاب؛ يسمى القرآن؛ لكونه مقروءاً، ومن القراءة، ولكي يقرأ، يجب أن يكون قريباً، ولذلك نجد أنه يستعمل مع كلمة القرآن اسم الإشارة هذا؛ الذي يدل على القرب، في ١٥ آية في القرآن.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ﴾ [الأنعام:١٩].

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ [يونس:٣٧].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: جاء بأل التعريف؛ للدلالة على الكمال؛ أي: الكتاب الكامل، التام. وقد تعني كلمة الكتاب: أحياناً التّوراة، والإنجيل، والزبور؛ أي: الكتب السماوية الأخرىٰ، كقوله سبحانه: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النّساء:١٣٦].

وكلمة الكتاب؛ لها معان أخرىٰ، سنراها في آيات أخرىٰ، وله أسماء كثيرة؛ منها: الفرقان، الروح، الذكر، النور، البرهان، موعظة وشفاء، بصائر.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا: النّافية للجنس، تنفي كل الأزمنة؛ الماضي والحاضر، والمستقبل، تنفي عن القرآن الريب، في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

والريب: مصدر راب، يريب، وجاءت نكرة، (ولم يقل الريب) لتشمل نفي كل أنواع الريب، والقليل، والكثير.

وتعريف الريب؛ هو الشك، مع التهمة، والشك؛ تعريفه هو تساوي طرفي النفي، والإثبات، والريب أعم من الشك، فالكفار، والمشركون، كانوا يشكون في القرآن، أنه منزل من عند الله.

وكانوا يتّهمون رسول الله ﷺ، بأنه افتراه، أو أنه إفك، وأساطير الأولين، اكتتبها، فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلاً.

وانتبه إلىٰ تقديم كلمة الريب علىٰ كلمة فيه، للدلالة علىٰ التّوكيد، توكيد النفي، نفي الريب عن القرآن، وكذلك نفي الريب، عن سائر الكتب السماوية الأخرىٰ، كونها منزلة من عند الله ﷻ.

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أي: مصدر هداية، أو هو الهدىٰ، والهادي للحق، والهادي إلىٰ الصّراط المستقيم، والغاية، وهي السعادة، والكمال في الدارين.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: اللام في المتقين، لام الاختصاص، والمتقين؛ جمع متق،

والمتقي اسم فاعل، من اتقىٰ. والتقوىٰ: هي طاعة أوامر الله وتجنب نواهيه الّتي تقي من النار. ومن سخطه وغضبه.

وكما هو هـدىٰ للمتقين، هو هـدىٰ للناس، وللمسـلمين، وللمؤمنين، وللمحسنين، فهو هدىٰ للجميع، والكل بحاجة إلىٰ هذا، كما قال تعالىٰ في سورة البقرة آية ١٨٥: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، وفي سورة النحل آية ١٠٢: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

وفي سورة النمل الآية (٢): ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفي سورة لقمان الآية (٣): ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

وهل المتقون بحاجة إلىٰ هداية؟

الجـواب: نعم. كي يرتقوا لدرجة الإحسـان، ومن بعدها لدرجة إسـلام الوجه، كقولـه سـبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم:٧٦].

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أي: ما جاء به، من أحكام، وتعاليم، وأوامر، ونواهٍ، وقصص، ومواعظ وأمثلة، ووعد، ووعيد، وحلال، وحـرام كلها هدىٰ للمتقين، ولهؤلاء المتقين ست صفات:

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾:

الصفة الأولىٰ؛ الإيمان بالغيب.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: يصدقون ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾، والباء للإلصاق، والمصاحبة، والتصديق يكون بالقلب، واللسان، والجوارح.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: جاء بصيغة المضارع؛ ليدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار في إيمانهم.

وقمة الإيمان بالغيب؛ الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وقدره؛ خيره، وشره.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: الغيب؛ تعريفه: ما غاب عن العباد، واستتر؛ أي: ما غاب عن العيون، مثل الجنة، والنار، والملائكة، واليوم الآخر، وحياة البرزخ وعذاب القبر والبعث والحشر والحساب والموازين والصراط، وكل ما أخبر الله تعالى به رسله من علم الغيب.

وجمعه غيوب. والغيب نوعان: المطلق، وهو ما غاب عن كل العباد، والذي ينفرد به الله سبحانه، والغيب النسبي: هو الذي أطلع الله تعالى رسله عليه، والاكتشافات العلمية، لا يطلق عليها غيب.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: هذه؛ هي الصفة الثانية.

﴿وَيُقِيمُونَ﴾: الواو؛ عاطفة، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: الصلوات الخمس، ﴿وَيُقِيمُونَ﴾ من أقام العود، إذا قومه، إذا أزال عوجه؛ أي: إتمام فعلها على الوجه المأمور به في القرآن والسنة.

والمحافظة على مواقيتها، ووضوئها، وأركانها، وسننها، وآدابها، وخشوعها، والدوام عليها، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٢٣].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:٩].

والصلاة؛ اسم جنس لفعل (صلَّىٰ) الرباعي، والألف في الصلاة، منقلبة عن واو (صلوة)، وجمع صلاة صلوات.

وجيء بصيغة الفعل المضارع ﴿وَيُقِيمُونَ﴾؛ للدلالة علىٰ التجدد، والاستمرار؛ خمس مرات في اليوم.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: هذه هي الصفة الثالثة ﴿يُنفِقُونَ﴾، من أنفق علىٰ وزن أفعل، والنفقة هي إخراج المال من المُلك.

﴿وَمِمَّا﴾: من ابتدائيه ومن البعضية، وما اسم موصول، بمعنىٰ الذي، (وما) أوسع شمولاً من الذي ﴿يُنفِقُونَ﴾، من بعض أموالهم، ولم يبين في هذه الآية المقدار، أو أوجه الإنفاق.

﴿يُنفِقُونَ﴾: تشمل: الصدقات، والزكاة، وسائر النفقات، الواجبة شرعاً، وجاء بصيغة المضارع؛ لتجدد، وتكرر الإنفاق، وفي آية أخرىٰ، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة:٧١]، والفرق بين هاتين الآيتين: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: أوسع وأعم من آية الزكاة، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فالزكاة تنطوي تحت مما رزقناهم ينفقون.

الرزق: هو كل ما ينتفع به، وليس حراماً ولا يكون الرزق إلّا حلالاً، وقدَّم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ علىٰ ﴿يُنفِقُونَ﴾، تقديم المفعول علىٰ الفاعل للاهتمام والتوكيد علىٰ أنه من رزق الله والرزق لا يقتصر علىٰ المال، كما يظن البعض، بل يشمل العلم، والصحة، والأولاد، والطعام. وغيرها.

[٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو عاطفة، الذين: اسم موصول، وتكرار الّذين للتوكيد وفصل كل صفة عن الأخرىٰ.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون، و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ من الإيمـــان؛ وهو التصديق الجازم، في القلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وما أقره الشرع.

﴿بِمَآ﴾: الباء للإلصـــاق، للاهتمام، والتعظيم؛ ما: اســـم موصول، بمعنىٰ الذي أنزل إليك؛ أي: القرآن الكريم. أو الوحي.

وآمـــن به؛ تصديق عقدي، إيمان عقيدة، مثـــل: الإيمان بالله، وبالملائكة، والكتب، والرسل، وأمن له: أي: صدقه سواء أكان قولاً أم عملاً. وتأتي في سياق التصديق بالرسل. . .

الفرق بين أنزل ونزل:

١ - أنـــزل تعني: جملة واحدة، أو مرة واحدة. من اللوح المحفوظ إلىٰ الســـماء الدّنيا، ونزل تعني: منجماً علىٰ دفعات خلال ٢٣ سنة.

٢ - أنزل إليك أو عليك منســـوبة إلىٰ الله ﷻ. بينما نزل إليك أو عليك قد تنسب إلىٰ جبريل عليه السلام أيضاً.

٣ - أنزل أقل قوةً وتأكيداً من نزل. أي: نزل تستخدم في مواطن الاهتمام والتوكيد والشدة، وأنزل تستخدم في سياق الأمور الأقل توكيداً وشدة واهتماماً.

٤ - وأنزل تأتي في سياق العام، ونزل فيما هو خاص.

أما الفرق بين إليـــك وعليك: إليك تفيد معنىٰ النهايـــة والغاية، وتأتي في سياق التبليغ أي: أنزل إليك لينتهي إلىٰ النّاس أي: يصل أو لتبلغه للناس.

عليك تفيد العلوية والمشقة وفي الشؤون الخاصة بالرسول أو العامة.

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: وما اســـم موصـــول، بمعنىٰ الذي أنـــزل من قبلك، من الكتب السماوية، كالتوراة والإنجيل، والزبور.

وتكرار ما أنزل لفصل الإيمان بالقرآن عن الإيمان بالكتب السماوية الأخرىٰ، فهناك من يؤمن بالقرآن، ولا يؤمن بالكتب الأخرىٰ، أو يؤمن بالكتب الأخرىٰ، ولا يؤمن بالقرآن، أو لا يؤمن بكلا النوعين: فمن صفات المتقين: الإيمان بالقرآن، والإيمان بالكتب الأخرىٰ، مثل التّوراة، والإنجيل، والزبور، فلا يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض.

﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: الباء للإلصاق، (والمصاحبة)، ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ﴾: سمِّيت بالآخرة؛ لأنّ الدّنيا تسبقها، وتسمىٰ بالأولىٰ. أو العاجلة.

﴿هُمْ﴾ ضمير منفصل، يفيد التّوكيد؛ أي: هم أهل اليقين حقاً وغيرهم أدنىٰ درجة منهم.

﴿يُوقِنُونَ﴾: من اليقين؛ واليقين في اللغة يعني: التحقيق والثبات والطمأنينة، وفي الشرع يعني: العلم بالحق، الذي لا يتغير ولا يتبدل والمزيل للشك والرياء مصدق به في عالم الواقع ومصدق به بالقلب بحيث لا يحتاج إلىٰ التفكير به من جديد ليناقش أو يدرس، وله مراحل المرحلة الأولىٰ علم اليقين والثانية عين اليقين والثالثة حق اليقين، ويوقنون جاءت بصيغة المضارع الدالة علىٰ التجدد والاستمرار، وقد ترد بصيغة اسم الفاعل الموقنون أو يرد بلفظ اليقين.

وفي هذه الآية؛ نرىٰ تقديم الآخرة علىٰ هم، بدلاً من: وهم بالآخرة يوقنون؛ لأنّ الإيمان بالآخرة؛ من أصعب الأمور، والتقديم للاهتمام، وللتوكيد، حتّىٰ يدرك الّذين آمنوا أنّ إيمانهم غير مقبول، حتّىٰ يؤمنوا بالآخرة، واليوم الآخر.

وفي سورة لقمان آية ٤: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؛ ولمعرفة الفرق، ارجع إلىٰ سورة لقمان.

[٥] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، يشير إلىٰ المتقين.

﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾: على تفيد الاستعلاء، والدلالة على ثباتهم، على الهدىٰ، وتمكنهم منه.

﴿هُدًى﴾: نكرة؛ تشمل كل أنواع الهدىٰ؛ أي: كأنهم ركبوا على مركب الهدىٰ، واستقروا على ظهره، وثبتوا عليه، وهو يجري بهم ليبلغوا غايتهم. ففي سياق الهدىٰ يستعمل على، وفي سياق الضّلال تستعمل كلمة في ضلال مبين؛ لأنّ الضال هو ساقط في الضلالة، والمهتدي هو ثابت ومستعلٍ على طريق الهدىٰ.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: تكرار اسم الإشارة ﴿أُولَٰئِكَ﴾؛ يفيد التعظيم، ويشير إلى علو منزلتهم. والتوكيد.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد. أي: هم في أوائل المفلحين أو كأنهم هم وحدهم المفلحون حقاً.

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: جمع مفلح، ومفلح اسم فاعل، من الفعل (أفلح).

والفلاح؛ هو نيل الخير، والنفع الباقي أثره، وأصل الفلاح البقاء، والفوز، والظفر، وإدراك ما يتمناه العبد، وهو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، ومشتقة من الفلْح؛ بسكون اللام، وهو الشق والقطع، ومنها: فلاحة الأرض؛ أي: حرثها، وبذرها، كي تأتي بالخير الوافر. وقيل: الفلاح هو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب فالمفلحون؛ هم: الفائزون بالجنة، والناجون من النار.

والمفلحون: جملة اسمية تفيد الثبوت أي: صفة الفلاح أصبحت صفة ثابتة عندهم.

❖❖❖

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

سورة البقرة [الآيات ٦ - ١٦]

[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

بعد ذكر المتقين، وذكر بعض صفاتهم باختصار، يأتي على ذكر الذين، كفروا، وبعض صفاتهم، وجزائهم في الآخرة.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي: السائرون على درب الكفر.

والكفر في اللغة: هو الستر، وكفر ستر: أي ستر وجود الله، وستر نعم الله تعالى؛ أي: أنكر وجوده؛ أي: الجحود، ويعني: عدم التصديق بالله، وما أنزل.

الكفر في الشرع: هو إنكار شيء، جاء به القرآن، أو النّبي ﷺ، بطريق يقيني، قاطع.

أنواع الكفر:

١ - الكفر الجحودي: ومن أسبابه؛ الاستكبار، مثل: كفر فرعون، وإبليس، وغيرها.

٢ - الكفر الجهلي: ومن أسبابه الغفلة، والجهل.

٣ - الكفر الحكمي: كالكفر بوحدانية الألوهية، أو الربوبية، أو الصفات، والأسماء. وبأركان الإيمان كالإيمان بالملائكة والرسل والكتب والنبيين واليوم الآخر، أو تكذيب بالغيب، كالجنة، والنار، والصراط، والميزان، أو **الاستهزاء بالله، وآياته، ورسله، والدِّين.**

والمكفرات ترجع إلى: مكفرات اعتقادية: كإنكار الخالق سبحانه، أو وحدانيته، وربوبيته، وصفاته، كاتخاذ الزوجة، والولد أو عجزه، أو عدم عدله، أو إنكار صفة له من صفاته، وإنكار الأنبياء، والرسل، ويوم القيامة، أو الكتب السماوية، أو القرآن، ولو آية فيه، والبعث، والحساب، والجنة والنار.

إنكار فرض من فروض الإسلام؛ صلاة، زكاة، صيام، حج، جهاد.

مكفرات قولية؛ كالاستهزاء بالدِّين، والعقائد، والأحكام، وسب الرسل عليهم السلام.

والشرك الأكبر؛ أن يُعبد مع الله إلهٌ آخر؛ ويعتبر ذلك من الكفر.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: استوىٰ عندهم الإنذار، أو عدمه؛ أي: لم يعد هناك فائدة من إنذارهم، أو عدم إنذارهم، فهم لن يؤمنوا. ولمقارنة سواء عليهم وقوله تعالىٰ وسواء عليهم بزيادة الواو؛ ارجع إلىٰ سورة ياسين آية (١٠) للبيان.

﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾: الإنذار؛ هو الإعلام، المصحوب بالتحذير، والتخويف.

﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾: الهمزة همزة تسوية. أي: استوىٰ أو تساوىٰ عندهم الإنذار أو عدمه.

﴿أَمۡ﴾: المتصلة للإضراب الانتقالي، وتفيد الاستفهام، المصحوب بالإنكار، والتوبيخ.

﴿لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾: لم؛ حرف نفي، يفيد استمرار النفي؛ أي: سيستمرون علىٰ كفرهم.

﴿لَا﴾: النّافية؛ تنفـــي كل الأزمنة، نفي الإطلاق، والعموم، تنفي الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بالله، وبما أنزل، ويتكرر، ويتجدد عدم إيمانهم، ويستمرون عليه.

[٧] ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: الختم؛ يعني: السد، والإغلاق، والخاتم هو ما سُدَّ بـــه، وأغلق به، والختم على القلب؛ يعني: بأن لا يدخله أي إيمان، ولا يخرج منه أي كفر.

وشبه القلب، هنا؛ بالوعاء، يمكن ســـده وإغلاقه، فلا يدخله نور الإيمان، ولا يخرج منهـــا كفر، فقلوبهم كالأوعية، الّتي أبت عن الحق، واســـتمرت على ذلك، فختم عليها.

وأســـند الختم إلى ذاته تعالى على قلوب هـــؤلاء الكفرة بعد أن تمادوا في كفرهم وبلغوا أقصى غاياته وابتعدوا عن الحق، فلم يعد ينفعهم الإنذار أو عدمه.

فهم الّذين ختموا على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم بأنفسهم، وهم الّذين اختاروا ذلك على الإيمان، فتركهم الله سبحانه؛ لما اختاروا، وتخلى عنهم.

والطبع أشـــد من الختم، وأقوى، وأشمل، ولا يفك أبداً، والذي يطبع على قلبـــه، يُفقد الأمل منه في غالب الأحوال، إلّا من رحم الله، وأما الذي يختم على قلبه، فقد يختم على قلبه، ولا يختم على ســـمعه، وبصره، فقد يكون هناك بريق أمل في عودته إلى الإيمان.

وقدَّم القلوب على السمع؛ لأنّ السياق في الآيات، يتحدث عن القلوب المريضة ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾.

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾: الختم على السمع؛ يعني: تعطلت عندهم حاسة السمع، عن سماع الحق، وما ينفعهم لآخرتهم، فهم لا يستمعون لأي آية، ولا لأي موعظة، أو إنذار، رغم أنهم يسمعون الكلام العادي، وآذانهم ليس بها مرض عضوي، هم الذين اختاروا أن يسدُّوا آذانهم، وختموا عليها، فأذن الله تعالى لهم ذلك.

﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: الغشاوة؛ هي الغطاء، والستر، وأبصارهم جمع بصر، والبصر؛ يشمل العين، والبصيرة.

والبصيرة: منطقة بالدماغ، هي الّتي تدرك، وتفكر، وتقوم بالرؤية القلبية، ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾؛ جملة اسمية، تفيد الدوام، والثبات؛ أي: على أبصارهم غشاوة منذ البداية؛ فهم لم يسبق أنّ أبصروا (من البصيرة).

بينما قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية:٢٣]، جملة فعلية، تدل على التجدد، والتكرار، فهذا كان مبصراً قبل تردي حالته.

وإذا قارنا آيات سورة البقرة: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ بآيات سورة الجاثية (٢٣)، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾.

نجد أنّ آيات البقرة؛ جاءت في سياق من هم أشد كفراً وضلالاً؛ من الكفار المذكورين في آيات سورة الجاثية.

وقدَّم القلوب في آية البقرة؛ لأنّ السياق في الحديث عن القلوب المريضة، والختم على القلب؛ أهم من الختم على السمع والبصر.

وأما في الجاثية؛ فالسياق في السمع لقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾.

﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: تمنع وصول الضوء؛ أي: نور الإيمان، والنظر في آيات الله تعالىٰ، وما أنزل، نظرة تبصر، واتعاظ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: ولهم: اللام لام الاستحقاق، والاختصاص العذاب العظيم، هو أشد أنواع العذاب علىٰ الإطلاق، مقارنة بكل أنواع العذاب، فهو يشمل الأليم، والمبين والشديد، والمقيم.

وتكرار كلمة ﴿عَلَىٰ﴾ ثلاث مرات: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، و﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، و﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾، يفيد التّوكيد، وكذلك لفصل واستقلال كل أداة عن الأخرىٰ، فالختم قد يحدث لواحدة منها، أو أكثر، وهنا الختم أصاب الكل؛ القلب، والسمع، والأبصار.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾: أفرد السمع، وجمع البصر، ولم يقل: ختم علىٰ أسماعهم، إنما قال: سمعهم.

لأنّ السمع؛ مصدر جنسي، لا يجمع، ولكن الأذن، تجمع بآذان، آلة السمع.

ولأنّ أسماعهم تسمع نفس الآيات، والأنباء، وما يخبرهم به رسول الله ﷺ فالذي يسمعونه، هو نفس الكلام، والذي يختلف هو أبصارهم، وقلوبهم، فكل فرد يرىٰ، ويبصر، ويفكر، بطريقته الخاصة. ولمعرفة سبب تقديم السمع علىٰ البصر، ولمزيد من البيان، راجع سورة هود آية (٢٠)، وسورة الملك (تبارك) آية (٢٣).

[٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾:

وهؤلاء هم الصنف الثالث من النّاس، وهم المنافقون، وصف الله حالهم في ثلاث عشرة آية:

﴿وَمِنَ﴾: الواو عاطفة.

﴿مَن﴾: اسم موصول تستعمل للعقلاء، وتشمل المفرد والمثنىٰ والجمع.

﴿ٱلنَّاسِ﴾: وكلمة النّاس تعني بني آدم، ولمعرفة كيف اشتقت كلمة النّاس ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة.

﴿مَن يَقُولُ﴾: من: كالسابقة؛ يقول: مضارع يدل علىٰ التجدد والاستمرار، الباء: للإلصاق والتوكيد.

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: أي: من الذين ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] أو ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

آمنا أي: صدقنا بالله رباً وباليوم الآخـر، ويتظاهر بالإيمان ويبطن الكفر. فالإيمان بالله تعالىٰ يعني اليقين بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الإله الحق الذي يستحق وحده العبادة.

الإيمان الـذي يتضمن توحيـد الربوبيـة والإلوهية، وتوحيـد الصفات والأسماء.

والإيمان باليوم الآخر: أي يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، وله أسماء أخرىٰ كثيرة: يوم الدين، يوم الحساب... ويعني الآخرة، أو الدار الآخرة، والجنة والنار.

وإذا قارنا هذه الآيات:

١ - آية التوبة رقم (٩٩): ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾. فهذه جاءت في سياق المؤمن.

٢ - وآية البقرة رقم (٢٦٤): ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾. جاءت في سياق الكافر.

٣ - وآية البقرة رقم (٨): ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ جاءت في سياق المنافق، وبزيادة الباء (وباليوم الآخر) التي تفيد في توكيد نفي تهم النفاق عن نفسه.

نرىٰ أنّ الكافر المعلن كفره أو شركه، كما في الآية (٢٦٤) من سورة البقرة، فرغم كونه كافراً ملحداً، لكنه أصدق من المنافق الذي يدَّعي الإيمان، كما في الآية (٨) من سورة البقرة.

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: الواو حالية. وما النّافية تنفي الحال وأقوىٰ في النفي من ليس.

﴿هُم﴾: ضمير منفصل يفيد التّوكيد.

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء تفيد توكيد نفي الإيمان عنهم بكونهم غير مؤمنين.

[٩] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: ولم يقل: يخدعون، بل يخادعون؛ أي: بقصد، ونية، وتكرار، وجهد.

والمخادعة: مفاعلة، لابدَّ من طرفين، يخدع أحدهما الآخر.

والخداع؛ هو أن يظهر الطرف الأول للثاني خلاف ما هي الحقيقة، أو يستر

عنه وجه الصواب، كي يجلب لنفسه منفعة، أو يدفع عنها مضرة، والخداع نوع من الحيلة والمكر، ويعتمد على الذكاء فقد يفشل أحياناً، وسمِّيت خديعة؛ لأنها تدبير في الخفاء، واشتقت من خدع الضب؛ أي: توارى في جحره.

﴿يُخَٰدِعُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد، وتكرار خداعهم، ولم يتوقف، ومستمر.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: كيف يخادعون الله تعالى، وهو خالقهم؟! نقول: هم في الحقيقة، يخادعون الرسول ﷺ، والّذين آمنوا، فنسب خداع المنافقين للرسول ﷺ، كأنه خداع لله سبحانه للتنبيه؛ أولاً، على علو منزلة رسول الله ﷺ ومن يخادع النّبي ﷺ، كأنه يخادع الله سبحانه، إضافة إلى كونهم يخادعون الّذين آمنوا.

﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾: وما؛ الواو حالية، تفيد التّوكيد، ما: النّافية للحال.

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾: إلّا أداة حصر؛ أي: ذواتهم.

﴿وَمَا﴾ وما: ما النّافية للحال.

﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: يشعرون: من الشعور وهو العلم الكامل الخفي أنّ عاقبة، أو وبال خداعهم عائد عليهم، وأنهم لن يحققوا لأنفسهم إلّا الخسران المبين.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾:

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: مرضٌ نكرة، والمرض عام قد يصيب البدن، أو يصيب النفس، وفي هذه الآية قيل: هو مرض الشك، والنفاق، والتكذيب، والجحود، والريبة، وقيل: هو الحسد، والحقد، وغيره من الأمراض النفسية، وقد يكون كل ذلك.

﴿ فِي ﴾: الظرفية، منتشر داخل قلوبهم، من الصعب استئصاله.

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾: الفاء؛ للتوكيد.

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾: زادهم الله شكاً، ونفاقاً، وكذباً، وريبةً، وجحوداً، أو كل أنواع المرض.

﴿وَلَهُمْ﴾: الواو عاطفة، واللام للاختصاص، والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: شديد الإيلام، لا يستطيع على مقاومته أحد، أليم في الكمية والنوعية.

﴿بِمَا﴾: الباء للتعليل، أو باء العوض، أو السببية.

﴿كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: الكذب: عدم الصدق، وله أنواع: الإفك والبهتان والافتراء... وغيرها، ولم يقل: بما كذبوا؛ بل ﴿بما كانوا يكذبون﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على حكاية الحال أي: استعمل صيغة المضارع للدلالة على بشاعة كذبهم، وكأنه يحدث الآن بدلاً من الماضي.

[١١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾:

﴿ وَإِذَا ﴾: ظرفية زمانية؛ للمستقبل. وتتضمن معنى الشرط.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ للمنافقين؛ ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾؛ مبني للمجهول؛ لأنّ القائل هنا؛ لا يهم، وإنما المقولة هي المهم.

﴿لَا﴾: الناهية. ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: الفساد ضد الإصلاح، وهو الخروج عن حد الاعتدال والاستقامة، وأفسد الشيء غيره إلى أسوأ.

واصطلاحاً: هو انفلات الفرد، أو المجتمع عن ضوابط الشرع؛ أي: عن منهج الله تعالى، بإهلاك الحرث، والنّسل، والسرقة، وقطع الطريق، ونشر الكفر،

والشرك، والبدع، والفتن، والشبهات؛ ارجع إلى الآية (٢٥١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا﴾: للحصر.

﴿نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾: أي: ادعوا لأنفسهم الصلاح، أو أنّ وظيفة الإصلاح، لا يقوم بها إلّا هم، أو يظنون، ما يقومون به على الأرض، من الفساد، هو الإصلاح بعينه.

[١٢] ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾:

﴿أَلَآ﴾: للتنبيه.

﴿إِنَّهُمۡ﴾: إن للتوكيد.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل، يدل على المبالغة؛ أي: قصر الفساد عليهم مبالغة؛ أي: هم أولى يطلق عليهم هذا الاسم من غيرهم.

﴿ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾: جملة اسمية، تفيد الثبوت، ثبوت صفة الفساد لهم، في الأرض.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف إدراك، وتوكيد.

﴿لَّا﴾: لا: النّافية.

﴿لَّا يَشۡعُرُونَ﴾: يشعرون: ارجع إلى الآية (٩) من نفس السورة؛ نفى عنهم الشعور، والإحساس بالفساد؛ لأنّ حواسهم معطلة.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية، للمستقبل.

﴿قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: قيل لهم: القائل هذا؛ مبني للمجهول، ولا يهم من هو! المهم هنا، هي المقولة.

﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: أي: إذا دعـــوا إلىٰ الإيمان، أو دعا بعضهم بعضاً إلىٰ الإيمان، أنكروا دعوة الداعي، طاعنين في إيمان أصحاب محمّد ﷺ. النّاس. راجع الآية (٢١) من نفس السورة لبيان معنىٰ النّاس.

﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ﴾: الهمزة استفهام إنكاري.

﴿كَمَآ ءَامَنَ﴾: الكاف للتشبيه.

﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: كان المنافقون يصفون أصحاب محمّد ﷺ بالسفهاء؛ لكونهم فقراء، ولا يملكون شيئاً.

والسفه: يعني: الاضطراب، والخفة في العقل، وضعف الرأي.

﴿أَلَآ﴾: للتنبيه.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إن: للتوكيد.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل، يدل علىٰ المبالغة؛ أي: إذا كان هناك سفهاء، فهم السفهاء حقاً، وضعاف العقل، أو الجهّال الخرقىٰ.

﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾: بأنهم هم السفهاء.

ما هو الفرق بين: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾؟

الآيــة (١٢) ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾؛ وردت في ســياق الفســاد في الأرض، والفساد أمر ظاهر، وليس خفياً، وكان المفروض أن يشعروا بعنادهم وفسادهم، ولكنهم لم يشعروا، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

الآية (١٣) ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾: وردت في سياق الإيمان، وهو عمل قلبي،

ومن الأمور الباطنة؛ يحتاج إلىٰ علم، وليس إلىٰ شعور علم بما يجري في قلوبهم ولا يقدر علىٰ ذلك إلَّا العليم الخبير.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية، للمستقبل، ﴿لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: لقوا، واللقاء، والملاقاة؛ المواجهة وجهاً لوجه؛ أي: التقىٰ المنافقون بالمؤمنين، وجهاً لوجه.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾: ولم يقولوا: إنا مؤمنون؛ أي: أعلنوا ثبات إيمانهم، وإنما تظاهروا بالإيمان.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾: جملة فعلية، تدل علىٰ التجدد، والتكرار، وليس الثبات، كما هو الحال في، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢].

﴿وَإِذَا خَلَوْا۟﴾: انصرفوا أو انفردوا، وخلا؛ بمعنىٰ مضىٰ، وذهب، وخلا به، وإليه، أو معه: سأله أن يجتمع به في خلوة.

﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾: أي: إلىٰ رؤسائهم، وإخوانهم وكبرائهم، في الكفر والفساد.

وشياطين؛ جمع شيطان: من شطن، إذا بَعُدَ عن الحق، والشاطن؛ الخبيث.

وتعريف الشيطان: هو كل عات، متمرد، من الجن والإنس.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾: علىٰ دينكم، أو معكم، علىٰ النصرة، والولاية، و﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾: جملة اسمية؛ تدل علىٰ الثبوت، والدوام، علىٰ كونهم إخوان الشياطين.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾: إنما: كافة مكفوفة، تفيد التّوكيد.

﴿نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾: جمع مستهزئ: والاستهزاء عام، يكون في الأشخاص، وغير الأشخاص.

والاستهزاء: الاستخفاف، والخفة، وتصغير قدر الشخص، أو الشيء كما أنّ الاستهزاء؛ غير السخرية. ارجع إلى سورة الزمر آية (٤٨) للبيان.

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: هذا؛ من علم الغيب.

وقد يكون المراد به؛ يجازيهم على استهزائهم، فقوبل اللفظ بمثله لفظاً، وإن خالفه في المعنى.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: من المد، وأكثر ما يستعمل المد في المكروه، والإمداد في المحبوب.

والمد بمعنى الإمهال، يقال: مدَّه في غيه أمهله.

ويقال: مدَّ الجيش، وأمده؛ أي: زوده بالعدد والعُدَّة ما يقويه.

إذن، يمدهم؛ له معان عدَّة:

١ - يمهلهم؛ ليزدادوا إثماً، أو يُملي لهم.

٢ - يزيدهم في طغيانهم بأن يفتح لهم أبواب كل شيء.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: الطغيان؛ مجاوزة الحد في ضلالهم، وكفرهم، وظلمهم، وفسادهم، وكبرهم، وعصيانهم، من طغا الماء؛ أي: ارتفع.

فهو لا يكتفي بكفره، بل يتجاوز الحد، ويطلب ممن آمن أن يرتد عن

إيمانه، أو يمنع غيره، من الدخول، في الإسلام، أو يحاربون الدِّين، واستعمال (في) الظرفية؛ تدل على كونهم منغمسين، في ضلالهم، وكفرهم، من قبل، ومع ذلك؛ يزداد الانغماس.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، ويترددون، يعمون عن الرَّشد أو الحق، ممّا يؤدي بهم، إلى الخطأ في الرأي يتحيرون، ويترددون، بين إظهار الكفر، وإخفاء الكفر، أو بين ترك الكفر، أو البقاء عليه.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: من عَمِهَ: إذا تردَّد، وتحير، والعمه؛ يكون في البصيرة، والعمى يكون في البصر، أو العين، فهم الذين، اختاروا العمه، عمى البصيرة، والحيرة، والتردُّد.

[١٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى البُعد ويشير إلى المفسدين، السفهاء، الّذين لا يشعرون، ولا يعلمون، وكذلك إلى المستهزئين.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول، يفيد الذَّم.

﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾: اشتروا الضلالة؛ اسم مرة ضلالة واحدة، والضلال اسم جنس يشمل الضلالات كلها، ويعني: عدم تبين الحق والهدى والإيمان؛ أي: بدلاً من أن يشتروا الهداية، أو الهدى الضلالة، وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٢٠٧) من نفس السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ نجد أن شرى تعني يبيع، واشترى بمعنى الشراء، وهو دفع الثمن مقابل السلعة.

اشتروا الضلالة: قد تكون الكفر، أو النفاق والشك، أو الجهل؛ اشتروا الضلالة فكيف دفعوا ثمنها؟ دفعوا ثمنها، بما عندهم، من الفطرة الإيمانية، فكل

ما عندهم، من فطرة إيمانية، أو إيمان، اشتروا به ضلالة واحدة، فهذا يدل على أن إيمانهم ضعيف جداً.

وماذا كانت النتيجة:

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾: أي: هم لم يربحوا أي شيء، بل خسروا رأس المال أيضاً.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾: ما النّافية. ﴿كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾: أي: لا يعرفون كيف يتاجرون، لكسب الآخرة والنجاة من النار فليس عندهم علم، أو هدىٰ، أو خبرة بالتجارة؛ لذلك فهم، قد خسروا كل شيء.

❖ ❖ ❖

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

سورة البقرة [الآيات ١٧- ٢٤]

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿مَثَلُهُمْ﴾: بعد أن ذكر صفاتهم، أعقبها بضرب مثلهم لنا، زيادة في البيان.

المثل هو النظير، والشبيه، الذي يقرب، ويسهل لنا فهم المعنىٰ، ويعطينا الحكمة، و﴿مَثَلُهُمْ﴾، تعود علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾، وهم المنافقون.

مثلهم: ﴿كَمَثَلِ﴾: الكاف للتشبيه.

﴿ٱلَّذِى﴾؛ اسم موصول.

﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾: ولم يقل: أوقد ناراً؛ أي: بنفسه، وإنما استوقد، أي طلب؛ الألف، والسين، والتاء؛ تعني الطلب من غيره، أن يوقد له ناراً، أو حاول أن يوقد ناراً.

استوقد أبلغ من أوقد، وقد تعود علىٰ المنافق، أو تعود علىٰ رسول الله ﷺ.

﴿نَارًا﴾: تنكير النار هنا للتهويل، وكان العرب قديماً، يوقدون النار في الصحراء؛ لأمرين: لهداية الضال، ودعوة الأضياف.

أو يوقدها حتّىٰ يبصر ما حوله، ويستدفئ بها، ويشعر بالأمن، من الحيوانات الضارية، ومن اللصوص.

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء؛ للتوكيد، لما: ظرف زماني، بمعنىٰ حين.

﴿أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾: الإضـــاءة أو الضوء: كل إضـــاءة صادرة عن مصدر مشتعل بحد ذاته أي: مضيء كالشمس والنجوم والنار المشتعلة، وهذا الضوء إذا وقع على جســـم معتم كالقمر أو العين انعكس وسمي نوراً، فالضوء يمتاز بنور+ حرارة (دفء).

والضوء: هو فرط الإنارة، والضوء حالة من حالات النور، والنور أعم من الضوء، وأشمل، وأوسع، والضياء أقوى من النور، أضاءت ما حوله، من المكان، أو انتفـــع بها، وأبصر بها، أي: بالنار، وإذا ذهب النور ذهب الضياء أيضاً، وأما إذا ذهب الضياء فلا يعني ذهاب النور كاملاً.

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: نـــور المنافقين؛ أي: حين أُطفئـــت النار، وأصبح في ظلام دامس، هو ومن حولـــه، لا يبصرون، وكذلك حـــال المنافقين، ولم يقل: ذهب بضوئهم؛ فذلك يعني لا يزال هناك نور للمنافقين، ينتفعون به، فلكي ينفي عنهـــم كل أنواع الهداية قـــال تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؛ أي: لـــم يبق لهم أمل بالعودة، إلى دين الله، وإذا كان الذي استوقد، هو رسول الله ﷺ، فالمثل؛ يعني: أنه رسول الله ﷺ، جاء بالإسلام، وشع نور الإسلام، ورفض هؤلاء المنافقون، الانتفاع بالنور الذي جاء به رسول الله وعادوا إلى ظلمات الكفر والفسق.

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: أذهب عنهم النور، ذهب؛ تعني: عدم العودة؛ ذهاب من دون رجعة، أما أذهب؛ فقد تعني: زوال، أو غير زوال، وتحتمل عودة النور.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾: جمع ظلمة، ظلمات عديدة، متراكمة، ظلمات الكفر، والجهل، والشرك، والمعاصي، والنفاق. ارجع إلى الآية (٢٥٧) من نفس السورة لمزيد من البيان في معنى النور والظلمات، ولماذا أفرد النور وجمع الظلمات.

﴿لَا﴾: النّافية؛ لكل الأزمنة.

﴿يُبْصِرُونَ﴾: الإبصار: درك الشيء بالعين، أو رؤية الشيء بالعين؛ أي: نور، أو ضوء، يمكن أن يخرجهم من الظلمات إلىٰ الإيمان بالله، ووحدانيته. مرة أخرىٰ، ويختلف النظر؛ النظر: هو مجرد توجه العين أو الالتفات إلىٰ الشيء بدون رؤيته، وإذا رأته يعني تحول إلىٰ بصر.

[١٨] ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾:

﴿صُمٌّۢ﴾: أي: لا يستطيعون السمع، وبكم؛ لا يستطيعون النطق والكلام، عُمي لا يبصرون، أو يفهمون، عُمي البصيرة.

﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾: في آن واحد؛ أي: يتصفون بهذه الصفات الثلاث معاً؛ أي: تعطلت عندهم هذه الحواس؛ لأنهم في ظلمات، لا يبصرون؛ أي: هم كالصم، البكم، العمي، تشبيه بليغ، فآذانهم صم، فهي لا تستمع إلىٰ آية، أو موعظة، أو إنذار، أو وعيد، وألسنتهم لا تنطق بالحق، وهم عمي الأبصار، لا يبصرون طريق الهدىٰ.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩٧) من سورة الإسراء: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾، أو الآية (٣٩) في سورة الأنعام وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾.

نجد أنه أضاف الواو في أية سورة الإسراء؛ الذي يدل علىٰ أنّ هذه الآية، تتحدث عن ٣ فئات مختلفة، من النّاس: فئة تحشر عمياً، وفئة تحشر بكماً، وفئة تحشر صماً.

أما آية سورة البقرة؛ فتتحدث عن فئة واحدة، اتصفت بثلاث صفات معاً، وفي آن واحد.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: الفاء؛ تدل على التّوكيد، هم: تفيد زيادة التّوكيد، لا: النّافية؛ لكل الأزمنة.

﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: عن ضلالتهم، أو عن كفرهم، إلى الإيمان.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٧١) من سورة البقرة، ومثل الّذين كفروا، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع، إلّا دعاءً ونداءً، صمٌّ، بكمٌ، عمي، فهم لا يعقلون، نجد أنّ الآية (١٨)، جاءت في سياق الهداية، والضّلال، فهم لا يرجعون عن ضلالتهم، أو كفرهم، إلى الإيمان.

أما الآية (١٧١)، فقد جاءت في سياق التقليد، تقليد الآباء، الّذين وصفهم بأنهم لا يعقلون، في الآية (١٧٠)، والّذين قلدوهم من أبنائهم، أو غيرهم، هم كذلك؛ صمٌّ بكمٌ عميٌ، فهم لا يعقلون، لا يفكرون ويعقلون من عقل الشيء أي: عرفه بدليله وفهمه حتّى يصل إلى حكم أو نتيجة أنّ الله هو الإله الحق.

[١٩] ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾:

﴿أَوْ﴾: لها معانٍ عدَّة؛ منها:

١ - للتخيير بين المثل الأول، كالذي استوقد ناراً، أو المثل الثّاني، كصيِّب من السماء.

٢ - للتقسيم: أي: بعضهم يشبه الذي استوقد ناراً، وبعضهم يشبه أصحاب الصيب، أو مثلهم كأحد هذين المثلين.

٣ - أو تعني بل؛ أي: بل مثلهم، كمثل صيب من السماء.

﴿كَصَيِّبٍ﴾: الكاف للتشبيه، صيِّب: هو المطر الغزير، من صاب، يصوب، إذا نزل وانحدر بشدة.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من ابتدائية. ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: النازل من السحب الركامية وسمِّيت سماء؛ لأنّ تعريف السماء هو كل ما علاك يسمىٰ سماءً.

﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾: جمع ظلمة، ناتجة عن تكاثف السحب، وحجبها لضوء الشمس.

﴿وَرَعْدٌ﴾: هو صوت لانفجار ناتج عن تمدد الغلاف الغازي في منطقة التفريغ الكهربائي بين السحب المختلفة الشحنات الكهربائية، فتحدث أصوات مُدوية رهيبة نتيجة تغيرات في الضغط الجوي والتمدد ودرجات الحرارة.

﴿وَبَرْقٌ﴾: الذي ينشأ عن اصطدام السحب، الركامية، المشحونة بالطاقة الكهربائية، فعندما تقترب من بعضها، يحدث التفريغ الكهربائي بينها؛ مما يؤدي إلىٰ البرق، وتختلف شدة هذه الشحن الكهربائية، بحسب أحجام تلك السحب الركامية، وقد تتلاحق هذه التفريغات، حتّىٰ تصل إلىٰ ٤٠ تفريغاً بالدقيقة؛ ما يؤدي بالناظر إليها بالعمىٰ المؤقت، وهذا تفسير ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور:٤٣].

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾: أي: أصحاب الصيب، أو من ينزل عليهم هذا الصيب، المطر، المنهمر، يضعون أصابعهم في آذانهم؛ أي: جميع أصابعهم، أو عدَّة أصابع في آذانهم، وهل يستطيع الإنسان أن يدخل أصابعه، ولا حتّىٰ إصبع واحد، أو حتّىٰ أنملة واحدة، نتيجة شدة الرعد والبرق، وهذا كناية

عن كرههم لسماع آيات الله، وخوفهم، وفزعهم من تسرب، ولو كلمة واحدة إلى آذانهم.

﴿مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾: أي: من شدة صوت الرعد، أو الزلزلة، أو النار المحرقة.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: خوفاً من الموت.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: محيطاً بعلمه، وقدرته بالكافرين، فلا يفوته أحد، ولا يخفى عليه ما يفعلون. وقيل: إن الصيب هو القرآن أو دين الإسلام، الذي تحيا به القلوب، كما تحيا الأرض بالمطر، الذي ينزل كالغيث أما المنافقون؛ حين نزل عليهم هذا القرآن، والدِّين، فقد جعلوا أصابعهم في آذانهم، من خوفهم، وفزعهم، وظنوا أنّ الإسلام فيه ظلمات، ورعد، وبرق، سيخطف أبصارهم ويهلكهم.

وكان المنافقون؛ إذا حضروا مجلس النّبي ﷺ، أعرضوا، وخافوا أن ينزل فيهم شيء من القرآن، ينبئهم بما في قلوبهم، فيقتلوا أو يكشف الله أمرهم.

[٢٠] ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

سبب النّزول:

عن ابن عبّاس وابن مسعود رضي الله عنهما، وغيرهما، في نزول هذه الآية؛ قالوا: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة، هربا من رسول الله ﷺ إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر، الذي ذكر الله، فيه رعد شديد، وصواعق، وبرق، فكان كلما أضاءت لهما الصواعق، جعلا أصابعهما في آذانهما من الفَرَق (الخوف)، أن تدخل الصواعق في مسامعهما، فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشوا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، وقاما مكانهما لا يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد

أصبحنا، فنأتي محمداً، فنضع أيدينا في يده، فأصبحنا، فأتياه، فأسلما ووضعا أيديهما في يده، وحسن إسلامهما.

﴿ يَكَادُ﴾: من أفعال المقارنة.

﴿ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾: أي: يكاد نور القرآن، أو ما نزل عليهم من ربهم، يخطف أبصارهم، من شدة نوره، كما أنّ البرق يخطف بصر الناظر إليه.

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾: كلّما؛ ظرفية، زمانية، متضمنة معنى الشرط؛ أي: إذا كان القرآن، أو الدِّين موافقاً لهواهم، ولا يذكرهم بسوء، ويعطيهم، من الغنائم، ولم يفتنوا، ويعصهم من القتل، مشوا فيه، استمروا على إسلامهم.

﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾: وإذا لم يوافق هواهم، وطلب منهم الإنفاق في سبيل الله، والجهاد، أو أصابهم مرض، أو فقر، أو مخمصة في سبيل الله، وقفوا، وضعف إيمانهم، وقالوا: هذا كله بسبب دين محمّد، كالذي يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير، اطمأنّ به، وإن أصابته فتنة، انقلب على وجهه، فخسر الدّنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾: لو؛ حرف امتناع لامتناع.

﴿لَذَهَبَ﴾: اللام؛ لام التأكيد.

﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾: أي: أزالها بلا عودة، بالرعد والبرق، والصواعق، أو أزالها، أو طمسها من دون سبب، أو عطلها، أو محاها، أو بدلها، أو شوهها، والباء؛ ﴿بِسَمْعِهِمْ﴾: للإلصاق، ولكنه سبحانه لم يشأ، وأبقى لهم ذلك، لتكون عليهم حجة، وتشهد عليهم يوم القيامة، بما كانوا يعملون، أو لعلهم يتوبون، ويعودون على رشدهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: إن للتوكيد.

﴿اللَّهَ﴾: اسم الله الأعظم، الذي تفرد به، واختصه لنفسه. راجع الآية (٢٥٥) من هذه السورة للبيان.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قدير؛ صيغة مبالغة لقادر. وقادر: أي: إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، والقدير: أي: الفعال، لكل ما يشاء.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة؛ مهما كان نوعه، وشكله، وحجمه، ومكانه، ولونه، وصفته، وعظمته.

﴿قَدِيرٌ﴾: أي؛ القوي، القادر، والقدير؛ العظيم الشأن، فيما يقدر عليه، قادر على خلق الشيء، وجعله؛ أي: تصريفه كما يشاء، والقدرة عليه، والعلم به وقدرته، على مقدار قوته، لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء سبحانه، وفي هذه الآية؛ قدير على الذهاب بسمعهم، وأبصارهم.

[٢١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله ﷻ، أصناف النّاس، الثلاث: المتقين، والكفار، والمنافقين، ينادي على النّاس جميعاً في كل زمان ومكان منذ نزول القرآن إلى قيام الساعة.

﴿يَا أَيُّهَا﴾: يا: أداة نداء للبعيد، والهاء: في أيها؛ للتنبيه؛ أي: تنبيه الغافل، والساهي.

﴿النَّاسُ﴾: بشكل عام اسم للجمع من بني آدم واحده إنسان من غير لفظه، وهي من ألفاظ الجموع ليس لها مفرد، وأصلها أناس حذفت الهمزة للتخفيف، وأناس من الإنس، وهو الألفة؛ أي: يأنس بعضهم ببعض، والناس؛ مشتقة من النوس، وهو الحركة، من ناس ينوس؛ أي: تحرك، وكلمة النّاس؛ لا تدل على عدد معين.

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: العبادة في الأصل، هي الخضوع لله والتذلل له بالطاعة،

طاعة العابد للمعبود، فيما أمر به، وفيما نهى عنه، والعبادة لها منهج؛ افعل ولا تفعل، ولها جزاء، ولا تكون إلّا للخالق وحده، ولا تكون إلّا مع المعرفة بالمعبود، وطاعة الرسول؛ من طاعة الله. والعبادة مأخوذة من كلمة التعبيد أي: التذليل، ومنه القول: طريق معبد أي: مذلل للسالكين. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) للبيان المفصل لمعنى العبادة.

﴿رَبَّكُمُ﴾: الرب؛ المتولي أمور الربوبية، فهو الخالق، والهادي، والرازق، والمدير لشؤونكم، وقوله: ﴿رَبَّكُمُ﴾؛ ولم يقل: اعبدوا الرب، فيه تشريف، وتكريم للناس، الّذين يعبدون ربهم.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول، يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: الخلق، هو الإيجاد، ابتداءً، بتقدير، وتسوية، وحساب، واصل الخلق، التقدير: خلق الثوب؛ أي: قدر أبعاده، والخلق؛ يكون من العدم (لا شيء) أو من شيء، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، والّذين قبلكم، من النّاس، وفائدة ذكر، ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾، أبلغ في التذكير، وأقطع للجحد، وأقوم في الحجة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعل للتعليل؛ أي: اعبدوا ربكم، راجين أن تكونوا من المتقين، إذا عبدتم ربكم، وقدَّمتم الأسباب الأخرى للتقوى، وسألتم الله العون والقبول، فعسى أن تكونوا عندها، من المتقين.

[٢٢] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول تعود على ربكم، الذي جعل لكم الأرض فراشاً.

﴿جَعَلَ﴾: صير، وهيأ، والجعل يأتي بعد الخلق. قال: ﴿جَعَلَ﴾؛ ولم يقل:

جعلنا؛ للدلالة على وحدانيته جل جلاله. ولو قال: جعلنا؛ لكانت دلالة على التعظيم، وكمال قدرته ﷻ.

﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: خاصة لكم، أيها النّاس خلق الله تعالى الأرض على مراحل متعددة:

١ - مرحلة الجرم: كانت الأرض والسماء كجرم متناهٍ في المادة والطاقة.

٢ - فجر الله ذلك الجرم فتحول إلى سحابة من الدخان خلق منها أرضاً واحدة وسماء واحدة تسمى الأرض الابتدائية.

٣ - ميز الله تعالى الأرض الابتدائية التي كانت عبارة عن كومة من الرماد بإنزال الحديد (ارجع إلى سورة الحديد) إلى سبع أرضين. . .

٤ - ثم شكل قشرة الأرض.

﴿فِرَٰشًا﴾ يقصد بالأرض هنا قشرة الأرض، فقد بدأت هذه القشرة بتضاريس معقدة بدأت بالحمم البركانية الّتي خرجت على ظهر الماء الذي كان يغمر كتلة الأرض بعد تمايزها بالحديد إلى سبع أرضين. فشكلت هذه البراكين ما يسمى بالحافة في وسط المحيط الذي تطور إلى سبع محيطات ثم امتدت هذه الجزر البركانية فشكلت القارة الأم الّتي تصدعت بشبكة من الصدوع إلى ما يسمى القارات، ثم تباعدت وشكلت لنا القارات السبع الآن، ولا تزال تتحرك، ولكن حركتها بطيئة مقارنة بسرعتها القديمة، وأخرج منها ماءها ومرعاها وألقى فيها الرواسي، وتشكلت الأنهار بعد تشكل الجبال.

وسخَّر الله تعالى عوامل التعرية من الرياح والمياه الجارية واختلاف الحرارة وتباين الليل والنهار وشكَّل قشرتها الممهدة في بعض أجزائها، فقد كانت الأرض كتلة ملتهبة من الحمى، وظلت تبرد تدريجياً، بفعل فقدها بخار

الماء المندفع من بين شقوها، وفوهات البراكين، وبعد فترة طويلة قدرت بمليار عام، أصبحت حرارتها مناسبة، وتصلبت قشرتها، أمسكت بمائها في بحيرات صغيرة وكبيرة، وغدت الأرض كوكباً، من محيط مائي ذاب من معادنها، ما ذاب، وظهرت عناصر الحياة عليها، الّتي تسمىٰ اليوم بالطحالب الزرقاء، ثم ظهرت النباتات العشبية، ثم السرخسيات، ثم ظهرت النباتات المزهرة، والثمار، وهكذا.

وبفضل قانون الجاذبية استقر الإنسان علىٰ ظهرها ومع كونها تدور حول نفسها بسرعة (٢٦كم/ بالدقيقة)، وتدور حول الشمس في مدار طوله (٩٥٠مليون كم بسرعة ٣٠كم/ بالثانية)، فالإنسان لا يشعر بهذا الدوران؛ لأنه يدور مع دوران الأرض، وهذا التفسير جزء من الحقيقة العلمية.

وفي آية أخرىٰ قال سبحانه: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزخرف:١٠]: ﴿مَهْدًا﴾: صالحة للحياة.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: تعريف السماء لغة: هي كل ما علاك، فأظلك، وتعني: السموات السبع الطباقَ؛ أي: السبع كرات الّتي تحيط كل واحدة بالأخرىٰ.

﴿بِنَآءً﴾: أي: مبنية، بناء محكماً، مترابطاً، وليس فراغاً، كما كان يظن النّاس، يملؤه غازات مختلفة، وتحكمه قوىٰ الجاذبية، بين مليارات المجرات، والكواكب، والنجوم التي تزيد علىٰ (٢٠٠ مليار نجم) في المجرة الأرضية وحدها، فكل كتلة تجذب أختها، وتجعلها مستقرة ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٣٣]؛ حسب نظام إلهي، عجيب، بناء كالسقف ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢]، كما سنرىٰ في سورة الأنبياء.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾:

﴿وَأَنزَلَ﴾: للدلالة علىٰ التوحيد، مقام توحيد، ولم يقل: (وأنزلنا)؛ للدلالة

على التعظيم، وأنزل سبحانه ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: أي: من السحب ماء؛ أي: ماء المطر. ويقصد بهذه الآية دورة الماء حول الأرض.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾: الفاء السببية، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾: بهذه الماء، ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، من: ابتدائية، وتفيد التبعيض؛ أي: من بعض الثمرات، ليكون رزقاً لكم، لم يجعل الرزق كله من الثمرات.

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: والرزق؛ هو كل ما ينتفع به، وليس حراماً؛ أي: لا يكون الرزق إلَّا حلالاً.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء؛ للتوكيد، لا: الناهية.

﴿أَندَادًا﴾: جمع ند، والند هو النظير، أو الشبيه المثيل، أو الضد، أو الشريك، ونادد الرجل: خالفته، ونافرته، وأصله: من ند البعير؛ أي: نفر، وذهب على وجهه شارداً، إذن، فيها معنى التشابه، والتضاد، والتنافر، والمراد هنا؛ الشريك لله، في عبادته، فلا تجعلوا لله أمثالاً، ونظراء تعبدونها، وتسمونها آلهة، وتجعلون لها ما لله من حقوق.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنّ الله وحده المستحق للعبادة، وأنّ هذه الأنداد لا تجلب لكم نفعاً ولا ضراً.

[٢٣] ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية، تستعمل في حالات الشك، والندرة، الوقوع، بعكس إذا المستعملة في الأمور الواقعة، لا محالة، أو الكثيرة الحدوث.

﴿كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: الرَّيب؛ هو الشك مع التهمة، تشكون إن القرآن ليس منزل من عند الله، وتتهمون الرسول ﷺ بأنه افتراه، أو أنه أساطير الأولين اكتتبها فأتوا بسورة من مثله.

﴿مِّمَّا﴾: من؛ ابتدائية، ما؛ للتوكيد.

﴿نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: من القرآن، على عبدنا محمّد ﷺ، و﴿نَزَّلْنَا﴾ تعني: منجَّماً على دفعات، وليس جملة واحدة.

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾: لها عدة معان:

١ - ليس له مثيل، ولا وجود لمثله، فأتوا بسورة مثله، وبما أنه لا مثيل له، ولا يفترض وجود مثيل له، إذن هو غير مفترىٰ، ولا يكون مفترىٰ إلَّا إذا كان له مثيل.

٢ - ﴿مِّن﴾: ابتدائية، استغراقية، تعني: فأتوا بمثل أي سورة، من سور القرآن كلها (١١٤ سورة)، فالتحدي في هذه الآية واقع على جميع سور القرآن من الفاتحة إلى سورة النّاس أياً كانت، أو تعني: التحدي على الآيتان بشيء يماثل القرآن؛ أي: أقل مرتبة ممن المماثلة التامة، وبما أن سورة البقرة كانت آخر سور التحدي فهو تحداهم ليس بمثله وإنما من مثله على احتمال أن هناك ما يماثله، ولو نظرنا إلى سورة يونس آية (٣٨) وهي قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: نجده حذف (من)؛ لأن التحدي كان على سورة مثله، فالتحدي الأول: كان في سورة الإسراء بالإتيان بمثل هذا القرآن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، التحدي الثاني: كان تحدي على الإتيان بسورة مثل سور القرآن، ثم تحداهم التحدي الثالث: بعشر سور كما ورد في سورة هود آية (١٣) فقال تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ

﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾، ثم تحداهم التحدي الرابع: بالإتيان من مثله فهم عجزوا عن الإتيان في كل المراحل.

٣ - ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: هناك من قال: إنه تعني: من مثل محمّد ﷺ، الأمي، الذي لا يكتب.

﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ﴿شُهَدَآءَكُم﴾: جمع شهيد، بمعنىٰ حاضر، أو يقوم بالشهادة؛ أي: يشهد لكم، أنكم أتيتم بسورة، ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾؛ أي: من القرآن، ولم يقل: ﴿وَٱدْعُوا۟﴾ الشهداء، وإنما قال: ﴿شُهَدَآءَكُم﴾؛ أي: ولو كانوا متحيزين لكم، ومن أنصاركم.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله، أو سواه.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن شرطية، تفيد الاحتمال، أو القلة، أو الندرة؛ أي: لستم بصادقين، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أنّ هذا القرآن منزل، من عند غير الله، أو أنّ محمداً افتراه، وإذا قارنا هذه الآية، ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾؛ إن كنتم صادقين، مع الآية (٣٨)، من سورة يونس: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: ادعوا أياً من كان، من الإنس، أو الجن، أو الآلهة، و﴿مَنِ﴾ استغراقية؛ فالتحدي في سورة يونس أشد، وأقوىٰ من سورة البقرة، ادعوا أي رجل، أو فئة، أو طائفة، بينما في سورة البقرة؛ ادعوا من دون الله فئة معينة، خاصة ﴿شُهَدَآءَكُم﴾.

[٢٤] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء؛ للترتيب، والتعقيب، إن؛ شرطية، تفيد الاحتمال، أو القلة.

﴿لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾: لم؛ حرف نفي، لم تفعلوا في الحاضر، علىٰ الإتيان بمثل هذا القرآن أو الإتيان بالشهداء.

﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾: لن؛ حرف نفي، أقوىٰ من لا، تنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد، إذن لم تفعلوا في الحاضر ولن تفعلوا في المستقبل، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾؛ جملة اعتراضية، تعطينا النتيجة مباشرة، ولا داعي للانتظار للإتيان، ولا تضيعوا وقتكم، وجهدكم؛ لأنكم لن تقدروا.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾: أي: قوا أنفسكم النار؛ أي: اجعلوا بينكم وبينها ستراً واقياً، بامتثال أوامر الله جلال جلاله، واجتناب نواهيه.

﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: ﴿النَّاسُ﴾؛ أي: الكفرة، الّذين ماتوا وهم كفار، ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾؛ أي: الأصنام، والآلة الّتي عبدوها. ارجع إلىٰ الآية (٢٢) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: هيئت، واللام في الكافرين، لام الاختصاص؛ أي: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ الإعداد لا يقتصر علىٰ أمر واحد، وإنما يعني العذاب بأنواعه المختلفة والطعام والشراب والمثوىٰ والسلاسل والأغلال والدركات... وغيرها؛ ارجع إلىٰ الآية (٦) في نفس السورة لمزيد من البيان في معنىٰ الكافرين.

❖ ❖ ❖

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾
۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ۠ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

ربع الحزب ١

سورة البقرة [الآيات ٢٥ - ٢٩]

[٢٥] ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

﴿وَبَشِّرِ﴾: من البشارة، وهي الإخبار بشيء سار، قادم لم يأت بعد.

وسميت بشارة؛ لما يظهر على الوجه، والبشرة، من آثار السرور، بسبب الخبر، السار، المفرح.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: صدقوا بالله، وما أنزل إليهم. وأخلصوا دينهم لله وحده، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: صدقوا بإيمانهم بأعمالهم الصالحة، والصالحات جمع صالحة، والصالحة: كل عمل يصلح عليه أمر الدّنيا والآخرة، وعلى رأسها الفرائض والنوافل.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام؛ لام الاختصاص.

﴿جَنَّٰتٍ﴾: جمع جنة، والجنة؛ هي كل بستان، ذي شجر كثيف، يُظلل ما تحته، ويستره. فكلمة الجنة والجن والجنون والجنين مأخوذة من فعل جنَّ:

بمعنىٰ ستر؛ منها: جنات الفردوس، وعدن، وجنات النعيم، ودار السلام... وغيرها.

ومنها: جنات الفردوس، وعدن، والنعيم، ودار السلام، وجنة المأوىٰ.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿كُلَّمَا﴾: أداة شرط، تفيد التكرار، مركبة من كل وما.

﴿رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾:

﴿رُزِقُوا﴾: أطعموا من الجنات، من أي طعام، أو شراب، أو فاكهة، أو ثمرة، من أي: ثمرة من ثمراتها، كالتفاح، أو الرمان، أو العنب، ﴿رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾؛ أي: في الدّنيا.

﴿وَأُتُوا بِهِۦ﴾: تعود علىٰ المرزوق، في الدّنيا والآخرة جميعاً، به تعود علىٰ ﴿رِّزْقًا﴾، ﴿وَأُتُوا بِهِۦ﴾؛ أي: جاءت به الملائكة، أو أحضرته الملائكة.

﴿مُتَشَٰبِهًا﴾: يعني: التشابه بوجه واحد سواء أكان باللون أم بالطعم أم بالحجم وغيره، ويختلف في كثير من الوجوه، ولو قال: مشتبهاً كما ورد في سورة الأنعام آية (٩٩): ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ فهذا يعني: التشابه في كثير من الوجوه، أما متشابهاً يعني: في الألوان، مختلف في الطعم.

أو ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾: في الاسم، مختلف في الطعم.

أو ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾: في الشكل، مختلف في الطعم واللون؛ ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٩٩) لمزيد من البيان.

﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام؛ لام الاختصاص، والضمير يعود على الّذين آمنوا، وعملوا الصالحات، ﴿فِيهَآ﴾ في الجنات.

﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: أزواج؛ جمع زوج، ويطلق على الذكر والأنثى، مطهرة في الخلق والخُلق. وأزواج تعني: المماثلة والمجانسة في الأخلاق والعادات.

﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾؛ من الحيض، والأقذار؛ كالبول، والغائط، مطهرة من الحقد، والكراهية، والحسد، والعيوب، والسوء... وغيرها؛ أي: الطهارة بنوعيها الحسية والمعنوية كطهارة الملائكة؛ ارجع إلى سورة التوبة آية (١٠٨) لمزيد من البيان.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير منفصل، للتأكيد. ﴿فِيهَا﴾: في الجنات، ظرف مكاني. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: من الخلد؛ وهو البقاء، الدائم، الذي لا انقطاع فيه، ويبدأ من زمن معين محدد، وهو زمن دخولهم الجنة إلى ما لا نهاية.

[٢٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

سبب النّزول: نزلت هذه الآية؛ بعد أن تكلم بعض المشركين واليهود، وطعنوا في الأمثال الّتي ضربها الله للناس في القرآن، وأنكروها، وقالوا: ما هذه الأمثال، الّتي يذكرها الله، عن الذباب، والعنكبوت، وغيرها، وبعضهم قال: الله أجل وأعلى أن يضرب مثل هذه الأمثال، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣].

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت:٤١].

فنزلت هذه الآية؛ رداً على أقوالهم وافتراءاتهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن؛ للتوكيد.

﴿لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾: لا؛ النّافية. ﴿يَسْتَحْىِۦٓ﴾، من الحياء؛ وهو ما يعتري الإنسان، من تغير، وخجل، وحرج، حين يُعاب على أمر ما، أو يُذم به؛ أي: إن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً، أياً كان ذلك المثل.

وليس الحياء بمانع لله تعالى، من ضرب الأمثال، بهذه المخلوقات الصغيرة؛ كالبعوضة، ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: فوق؛ في اللغة، تجمع أمرين، ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾؛ في الحجم؛ أي: أكبر منها حجماً، أو زيادة في الوصف، زيادة؛ أي: في صفاتها التكوينية والقدرات.

وضرب الأمثال؛ عادةً لتوضيح الأحكام، أو تبيان قدرة الله العظيمة، وعجائب خلقه، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]؛ أي: لا يتدبرها إلَّا الراسخون في العلم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾:

أما: للتفصيل؛ أياً كان ذلك المثل؛ بعوضة أو غيرها، فالمؤمنون يصدقون به، سواء أدركوا الحكمة، من كبرها، أو صغرها، وصفاته أم لا؛ لأنّ ذلك هو الحق من ربهم. ارجع إلى الآية (١١٩) في نفس السورة لبيان معنى الحق.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾:

فهم يستهزئون بتلك الأمثال، ويقولون متعجبين: ماذا أراد الله بضرب أمثال هذه الأشياء؛ بعوضة، عنكبوت، ذبابة، فهم في حيرة من أمرهم، لكونهم لم يدرسوا، ويعرفوا دقائق خلقها، وعجائب صنعها بعد، ولو درسوا ذلك لعرفوا الحق، ولما سألوا ذلك.

فالبعوضة تبين من الدراسات العلمية أنّ لها (٣) قلوب وعينين، كل عين مزودة بأكثر من (١٠٠) عدسة، وأسنان تقدَّر بـ(٤٧) سنّاً... وغيرها.

﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾: ثم يرد الله على هؤلاء المتسائلين، بأنّ ضرب هذه الأمثال، قد يكون سبباً في زيادة ضلال كثير من الكافرين، أو زيادة هداية الكثير من النّاس.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: جمع فاسق، الفاسقون؛ أي: الخارجون عن طاعة الله، والفسق؛ لغةً: هو الخروج عن طاعة الله، أو الدِّين. يقال: فسقت الرطبة عن قشرتها، إذا خرجت؛ أي: أصبحت الثمرة غير ملتصقة بالقشرة، والفاسق هو الخارج عن فطرته، والفسوق؛ هو الخروج عن طاعة الله ورسوله إلى المعصية، فالكافر يعد فاسقاً، والمشرك يعد فاسقاً، والتارك لدينه تعالى يعدُّ فاسقاً، وفسق؛ يعني خرج عن أمر ربه؛ أي: منهج الدِّين، ولا يعني الخروج من الملَّة، والفسوق؛ عام، يشمل الكثير من الأمور، مثل: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ [البقرة:٢٨٣].

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة:٣].

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام:١٢١].

ثم ذكر ثلاث صفات للفاسقين:

[٢٧] ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول تفيد الذم؛ ذم هؤلاء الذين ينقضون العهد؛ العهد: هو عبارة عن تكليف، أو وصية، أو أمر، والعهد التزام يلتزم به الإنسان مع الله، أو مع إنسان آخر، أو مع نفسه، والعهد يضم العقود، والوعود، والمعاهدات، والميثاق هو عهد، ويضم الميثاق العادي فالميثاق الغليظ هو عهد مؤكد بيمين، ونقضه ؛ أي: فسخه وإبطاله، أو الإعراض عن القيام به، أو حل العهد مشتق من نقض الحبل في اللغة؛ يعني: حل ما كنت أبرمته، ونقض العهد يعتبر نوع من الفساد في الأرض، ويعتبر النقض من بعد توكيده (أي: الميثاق) أعظم وأبلغ من القطع.

﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: من بعد: تفيد الزمان؛ ميثاقه: تفيد التوكيد.

ولا ننسى العهد الفطري، الذي أخذه الله على عباده، وهو أن يؤمنوا به، ويشهدوا أنه ربهم، ولا يشركوا به، ولا يتخذوا من دونه آلهة، أو أولياء، كما ورد في سورة الأعراف الآية (١٧٢).

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾.

وكذلك عهد الله؛ هو ما أوجبه الله على النّاس، في القرآن، على لسان

الرسل، وبما يُلزم المؤمن نفسه، بما ليس في الشرع، كالنذر، فهم نقضوا عهدهم مع الله، ومع الآخرين، ومع أنفسهم، ولم يلتزموا بعقودهم ومعاهداتهم. وجاء بصيغة المضارع ينقضون بدلاً من نقضوا بصيغة الماضي؛ للدلالة على تجدد، وتكرار نقضهم.

ثانياً: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾:

و﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: هو صلة الرحم، صلة الجار، وموالاة المؤمنين.

ثالثاً: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بالسرقة، وقطع الطريق، والقتل، والحرابة، إهلاك الحرث والنّسل.

الفساد؛ تعريفه: هو الخروج عن الاعتدال، الاستقامة، ويضاده الصلاح، وأفسد الشيء غيره إلى أسوأ.

وأوجه الفساد في الأرض؛ عديدة؛ نذكر منها: الكفر، والشرك، والنفاق، والفتن، وإثارة الشبهات، والبدع، والمعاصي. ارجع إلى الآية (٢٥١) في نفس السورة لمزيد من البيان في معنى الفساد.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

اسم إشارة للبعد تشير إلى الّذين ينقضون، ويقطعون، ويفسدون.

خسروا أنفسهم؛ لأنهم باعوا حياة الآخرة، بدنياهم.

﴿هُمُ﴾: توكيد؛ أي: إذا كان هناك خاسرون، فهم الخاسرون حقاً، لا غيرهم، وجملة (خاسرون): جملة اسمية، تدل على الثبوت، ثبوت الخسران، فهو خسران أبدي، وليس خسراناً مؤقتاً.

وإذا قارنا ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، مع آية (٢٢) في سورة هود، يقول الله ﷻ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾، فالأخسرون؛ أشد خسراناً من الخاسرون. ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.

وجاءت هذه؛ في سياق الّذين صدوا عن سبيل الله، وصدوا غيرهم، ضلوا، وأضلوا غيرهم.

[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿كَيْفَ﴾: استفهام؛ فيه تعجب؛ أي: ما أعجب كفركم بالله!، ألا ترون كيف كنتم أمواتاً، وما هي حالكم الآن، وما سيحدث لكم بعد ذلك. ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السورة لمعرفة معنىٰ تكفرون.

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾: أموات: جمع مَيْت: بسكون الياء؛ أي: مات وانقضىٰ أجله، وأما مَيِّت: بكسر الياء وتشديدها لمن لم يمت بعد ولم تفارقه روحه بعد، كما نرىٰ في مرحلة الوفاة التي تسبق الموت، أو مرحلة الاحتضار، وكنتم أموتاً: قد تعني: نطفاً في أصلاب الآباء والأمهات، أو تراباً، لأنكم من آدم، وآدم من تراب.

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: بنفخ الروح فيكم، وأنتم في أرحام أمهاتكم.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: ثم؛ تفيد الترتيب، والتراخي الزمني، عند انتهاء آجالكم.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: عند البعث، والنفخ في الصور مرة ثانية.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: أي: بعد البعث، ترجعون إليه، للحساب، والجزاء.

وقدَّم ﴿إِلَيْهِ﴾: للحصر؛ أي: إليه وحده ترجعون، ولم يقل: ثم تُرجعون إليه؛ أي: إليه، وإلىٰ غيره ترجعون.

ولو قال: تَرجعون بفتح التاء؛ أي: ترجعون إليه بالرضا ومن دون قهر، وجبر. أما تُرجَعون: بضم التاء فتعني: قهراً وليس بإرادتكم ورضاكم.

[٢٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

وكيف تكفرون بالله، الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد الحصر، والتوكيد، الذي: اسم موصول، يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾: اللام للاختصاص.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد، الآية تشير إلىٰ الكون بدأ كجرم صغير متناهي في الصغر؛ أي: الحجم، ومتناهي في عظم الطاقة والمادة، ثم فجر الله سبحانه هذا الجرم فتحول إلىٰ سحابة من الدخان، خلق الله سبحانه من هذا الدخان أرضاً واحدة، وسماء واحدة في زمن واحد، لحظة واحدة، ثم شاء الله أن يمايز الأرض إلىٰ سبع أرضين بإنزال الحديد من السماء، فتشكلت الأرضين السبع، ثم للترتيب والتراخي بعد أن تمايزت الأرض استوىٰ إلىٰ السماء الّتي كانت سماء واحدة ليميزها إلىٰ سبع سموات، إذن ميز السماء بعد أن ميز الأرض فسواهن سبع سموات.

﴿ثُمَّ﴾: قد تعني: الترتيب، والتراخي في الزمن، أو قد تعني: ترتيب الأخبار فقط.

﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ بمعنى عمد، أو قصد إليها، بإرادته ومشيئته، التسوية: غير الخلق. الخلق: بالنسبة إلى الله الخلق هو الإيجاد من العدم على غير مثال سابق.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: السماء كانت موجودة عبارة عن دخان، والتسوية تعني إعادة تشكيل، أو التسوية: مرحلة تالية للخلق، فسواهن سبع سموات؛ أي: ميزهن، صيرهن، أو قسمهن، أو جعل السماء الواحدة الّتي كانت دخان إلى سبع سموات طباقاً، سبع كرات، يغلف كل منها الآخر، وجعل سبحانه مركز الأرض مركزاً لهذه السموات السبع، فبذلك شكل سبع سموات تحيط بسبع أرضين، فالكون يتشكل من (١٤) كرة، سبع كرات تمثل السموات السبع، فهو ميز السماء إلى سبع سموات بعد أن ميز الأرض إلى سبع أرضين ونحن نعلم كيف ميز الأرض إلى سبع أرضين؛ بإنزال الحديد. ارجع إلى الآية (٢٢) السابقة.

لكن كيف ميَّز الله السماء إلى سبع سموات؟ لا يدري العلماء، وكل هذا من أنباء الغيب لم يطلع الله عباده عليها، ونحن كبشر لا نعلم إلَّا الشيء، أو الجزء الضئيل جداً عن السماء الدّنيا، الّتي زينها الله بالنجوم، والكواكب، وباقي السموات غيب لا يعلمه إلَّا الله سبحانه. ارجع إلى بقية آيات خلق السموات والأرض في القرآن سورة فصلت آية (٩)، وسورة الأعراف آية (٥٤) لمزيد من البيان.

التسوية؛ تعني خلق، وبناء، وتزيين.

﴿وَهُوَ﴾: الـــواو؛ للتأكيـــد، هو: ضمير منفصل، يفيـــد الحصر، ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: عليم؛ صيغة مبالغة لعالم، على وزن فعيل، كثير العلم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بما كان، وما هو كائن، وما ســيكون، لهذه السموات، والأرض، عليم بما خلق؛ أي: أحاط علمه ﷻ، بجميع خلقه، بما فيها السموات والأرض، وما فيهن، وما خلق من دابة.

❖❖❖

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

سورة البقرة [الآيات ٣٠ - ٣٧]

[٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: الواو استئنافية.

إذ: ظرف للزمن الماضي، تعني: واذكر؛ فالمعنى: واذكر حين قال ربك للملائكة.

﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: أبلغهم ذلك، قبل خلق آدم وذريته.

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: كل الملائكة، أم قسم من الملائكة، المرجح؛ والله أعلم: أنهم قسم من الملائكة، وهم الموكلون ببني آدم.

﴿جَاعِلٌ﴾: بالتنوين، الذي يدل على الحال، والاستقبال، أما (جَاعِلُ) بالضم: فيدل على الماضي؛ أي: ما جعله حدث في الماضي.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: في: ظرفية مكانية أو زمانية.

خليفة: أي يخلف غيره ويقوم مقامه، يخلفه زماناً أو يخلفه مكاناً، وقيل: خليفته أصلها خليف، ودخلت الهاء للمبالغة؛ أي: يخلف بعضه بعضاً لكي يعمروا الأرض ويقوموا بما وكل إليهم؛ لأن كل خليقة (كل إنسان) سيموت ويخلفه غيره، وهذه الخلافة قد تكون محدودة أو مقيدة أو مطلقة، وهي خلافة

متفاوتة مختلفة بالتفاضل وهذا أيضاً ابتلاء من الله تعالىٰ، وفي نفس الوقت هي خلافة تكامل كلٌّ يكمل الآخر؛ ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (١٦٥) لمزيد من البيان.

وقول الله سبحانه للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: فقط للإعلام، وليس قول استشارة، يستشير فيها الملائكة.

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾:

﴿أَتَجْعَلُ﴾: الهمزة، همزة استفهام، وتعجب، وليست همزة استفهام إنكاري، أو اعتراضاً علىٰ حكم الله سبحانه، وليس استفهاماً عن الجعل نفسه، أو الاستخلاف، وإياك أن تظن أنّ الملائكة، يعترضون علىٰ أمر الله، وقد يكون سؤالهم لمعرفة الحكمة، من وراء خلق هذا الخليفة، وما شأنه، ووظيفته.

﴿فِيهَا﴾: في الأرض، ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾: من ابتدائية.

﴿يُفْسِدُ فِيهَا﴾: من الفساد، وتعريف الفساد: ارجع إلىٰ الآية (١١) من سورة البقرة.

﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: السفك؛ هو الصب، والإهراق، الدماء، وسفك الدماء؛ من الإفساد في الأرض، والقتل الجماعي، والمجازر.

﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: بدلاً من يقتل، للدلالة علىٰ بشاعة الفعل.

قد يسأل سائل: كيف علمت الملائكة، بأنه سيفسد في الأرض، ويسفك الدماء، وآدم لم يخلق بعد، ولا ذريته؟

للعلماء أكثر من قول، في الرد علىٰ هذا السّؤال:

١ - كونهم اطّلعوا على ما كتب في اللوح المحفوظ، من أفعال الخلق (البشر)، ولا يعني أنهم يعلمون الغيب.

٢ - رأوا ما يفعله الجن في الأرض، من فساد، وتخريب، فظنوا أنّ الإنس ستفعل مثل ما فعله الجن؛ أي: قاسوا أحد الثقلين على الآخر.

٣ - عرفوه بإخبار الله ﷻ لهم.

٤ - ظنوا أنهم وحدهم، هم الخلق المعصومون، وكل خلق سواهم ليسوا معصومين.

﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾:

﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: التسبيح؛ هو تنزيه الله، عما لا يليق به، التنزيه الكامل؛ ذاتاً، وصفاتٍ، وأفعالاً، تنزيه من الند، والشبيه، والولد، والصاحب، والشريك، والعجز، والنقص، ومن الأغيار، تسبيحاً، مصاحباً، للحمد؛ أي: نسبحك، ونحمدك، على نعمك علينا.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: من التقديس، وهو التطهير، مأخوذ من القدس، وهو الدلو، المستعمل لإخراج الماء، الذي كانوا يتطهرون به، وتعني نعظمك ونكبرك.

والقدوس: أي: الطاهر، من كل الأحداث والأغيار.

﴿لَكَ﴾: أي: وحدك، ولا نقدس غيرك، وهناك فرق بين التسبيح والتقديس، فالتقديس أعم من التسبيح.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: رداً على الملائكة، ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، أعلم أنّ سيكون من ذلك الخليفة أنبياء، ورسل، وصدّيقين، وشهداء،

وصالحين، ومن سيسبح، ويقدس، ويحمد بإرادتهم، ومشيئتهم، وأني أعلم غيب السموات والأرض، وأعلم ما لا تعلمون.

﴿إِنِّيٓ﴾: للتوكيد، أعلم ما لا تعلمون من الغيب، وما يُصلح الأرض، وما يفسدها، ثم خلق الله سبحانه آدم، بعد ذلك وعلمه الأسماء.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾: وهل علمه كل الأسماء، منذ تلك الساعة إلى قيام الساعة.

﴿كُلَّهَا﴾: تفيد التّوكيد.

وما هذه الأسماء، التي علمها الله تعالى لآدم، وبأي لغة تعلم آدم.

وكيفية التعليم، أو آلية التعليم، وكيف استغرق الزمن. . . الله أعلم.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: ثم لتباين الدرجة بين التعليم والعرض. . .

﴿عَرَضَهُمْ﴾: أي: عرض مسميات الأسماء على الملائكة.

ولم يقل: عرضها؛ لأنها؛ أي: الأسماء تحوي العاقل، وغير العاقل، والتغليب، يبدو هنا للعاقل، أو التغليب، يكون للعاقل عند الإطلاق، فقال عرضهم.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء؛ للتعقيب، والمباشرة.

﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾: أخبروني. ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: هؤلاء؛ أصلها أولاء، ودخلت عليها هاء التنبيه، فأصبحت هؤلاء، وتشمل العاقل، وغير العاقل، ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: تعني: مسميات الأسماء.

﴿إن﴾: إن شرطية، تفيد الاحتمال، جوابها محذوف؛ للتعظيم.

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: كيف يقول للملائكة: ﴿إن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وهل تكذب الملائكة، اعلم أنّ في مقابل كل صدق هناك كذب، وحاشا لله الملائكة أن تكذب، لكن هناك صدق يقابله خطأ، فهم لم يكذبوا، ولكن أخطؤوا في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، أو حين قالوا؛ كما روىٰ ابن عبّاس ﷺ: لن يخلق الله خلقاً، أكرم عليه منا، فنحن أحق بالخلافة في الأرض، كما ورد في تفسير ابن كثير (١/ ١٧)، والطبري (١/ ١٧٧).

[٣٢] ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

بعد أن عجزت الملائكة عن معرفة تلك الأسماء، اعترفوا بقصورهم، وسارعوا إلىٰ تنزيه الله تعالىٰ، عن كل نقص، وعيب، اعترفوا بقصورهم، بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾، نفوا عنهم العلم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: لا نعلم ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾.

﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾: ضمير منفصل، تفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: صفة مشتقة مبالغة من علم علىٰ وزن فعيل أي كثير العلم؛ أي: أنت، الذي أحاط علمك بكل شيء، بظواهر الأمور، وبواطنها، وأعمال عبادك، خيرها وشرها، ولا يخفىٰ عليك شيء في الأرض، ولا في السماء.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: بمعنىٰ الحاكم، وبمعنىٰ الحكيم ذي الحكمة، في خلقك، وشرعك، وكونك، لا تخلق شيئاً عبثاً، حكيم من الحكمة المقرونة بالعلم، والقدرة، فأنت أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلىٰ الآية (١٢٩) من نفس السورة لمزيد من البيان. وفي هذه الآية قدم العليم علىٰ الحكيم؛ لأن

السياق في العلم حيث ذكر ما يلي: (أعلم، ما لا تعلمون، وعلم آدم، لا علم لنا، إلا ما علمتنا).

[٣٣] ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾:

نادىٰ الله ﷻ آدم عليه السلام: يا آدم، ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾؛ مشتقة من نبأ، علىٰ وزن فعل، تحتاج إلىٰ وقت أطول من أنبأهم، علىٰ وزن أفعل، التي فيها اختصار للزمن؛ أي: أنبأهم بسرعة، ووردت ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾، ومشتاقاتها في (٤٦) آية. وأنبئهم: النبأ: أعظم من الخبر، والخبر عام، والنبأ خاص.

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء؛ للتعقيب، والترتيب.

﴿أَنۢبَأَهُم﴾: أي: بسرعة، اختصار للزمن، ووردت في القرآن، في (٤) آيات. ارجع إلىٰ سورة التحريم آية (٣) لمزيد من البيان ومعرفة الفرق بين أنبأك ونبئك.

﴿بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ بأسماء المسميات، ورغم كون هذه المسميات للعاقل، وغير العاقل، فهو قد غلب العاقل علىٰ غير العاقل، وقال: بأسمائهم.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ﴾: الهمزة: استفهام تقريري.

﴿أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ﴾: إني: للتوكيد.

﴿أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: أعلم ما غاب، واستتر في السموات، والأرض. ارجع إلىٰ الآية (٣) من نفس السورة.

﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾؛ وأعلم علىٰ وزن أفعل، صيغة مبالغة، لفعل علم.

﴿تُبْدُونَ﴾: الإبـداء: الإظهار؛ تقولون علنـاً، كقولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾.

﴿وَمَا﴾: تكرار ما، يفيد التّوكيد، وكذلك اسـتقلال كلا الأمرين؛ الإبداء، والإخفاء؛ من القول.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: الكتمان: السكوت عن ذكر خبر أو أمر ما، والكتمان يختص بالأسـرار والأخبـار، وهو حالة من حالات الإخفـاء الذي هو أعم من الكتمـان، والإخفاء يكون بالأشـياء الحسـية المادية أو المعنويـة حين قالت الملائكـة: لن يخلق الله خلقاً، أكرم على اللـه، ولا أعلم منا، فجاء الرد الإلهي على قولهم بأمرين: الأول: لما قالوا: لا أكرم على الله منا، قال: اسـجدوا لآدم، بذلك تبين لهم، أنهم ليسوا أكرم عند الله من آدم.

والأمر الثّاني: لما قالوا: لا أعلم منا، قال تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾، إذن كانوا خاطئين، في كلا القولين.

وجـاء بصيغة المضـارع ﴿تَكْتُمُونَ﴾؛ بدلاً من كتمتم؛ لاسـتحضار فعل الكتمان، كأنه يحدث الآن، لعظم ما قالوا (وهذا ما يسمى حكاية الحال).

[٣٤] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾:

الواو؛ استئنافية، إذ ظرفية للزمن الماضي، وتعني: واذكر إذ، أو اذكر حين.

﴿قُلْنَا﴾: بصيغة التعظيم، صيغة الجمع، إذ أسـند القول سـبحانه، لنفسه، ويدل ذلك على تكريم آدم عليه السلام.

﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾: اللام لام الاختصاص، ﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾: هذا الأمر، جاء ليشـمل الملائكة، الموكلين بآدم، وذريته، ولم يشـمل حملة العرش، وغيرهم،

من الملائكة غير الموكلين بـآدم وذريته، وأطلق عليهم القرآن العالين، كما جاء في قوله ﷻ في سورة ص آية (٧٥): ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾.

﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾: آدم: يمثل أبو البشر. قيل: اسجدوا سجود تكريم، وطاعة، وتعظيم، وليس سجود عبادة، مثل: سجود إخوة يوسف وأبويه له، سجود تحية، ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾، جاء هذا الأمر، قبل أن يعصي آدم ربه، ويأكل من الشجرة، وأمروا بالسجود لآدم فقط، وليس لذريته، ولتعلم أنّ السجود كان معروفاً قبل مجيء رسول الله ﷺ، أما بعد بعثته ﷺ، فلا سجود إلّا لله تعالىٰ.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف:٥٠]؛ فسجد الملائكة الموكلون بآدم وذرية آدم، ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء، ﴿إِبۡلِيسَ﴾: اسم مشتق من الإبلاس، وهو الحزن الناشئ عن شدة اليأس من رحمة الله. والمبلس: الساكت الذي لا حُجة له، وهو اسم أعجمي، لا اشتقاق له.

﴿أَبَىٰ﴾: الإباء: شدة الامتناع؛ امتنع عن السجود.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: جمعت هذه الآية الإباء، والاستكبار، والكفر معاً، وإبليس هو أبو الجن، وكما قال ابن عبّاس ﷺ: كان ذا منزلة عالية، بين الملائكة، ومطيعاً لله، وكان جليس الملائكة، يجلس معهم، وإبليس كان من الجن، وكان مع الملائكة، حين صدر الأمر الإلهي، بالسجود لآدم، وشمله الأمر، والدليل علىٰ شمول الأمر، هو قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾، [سورة الأعراف، الآية ١٢]. ارجع إلىٰ تتمة قصة إبليس في السور الأخرىٰ، وانتبه إلىٰ قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، كان؛ هنا، لا تعني الزمن الماضي، وإنما الحاضر، والمستقبل؛ لأنه حتّىٰ تلك اللحظة، كان ذا منزلة عالية، وأصبح من الكافرين، بعد أن أبىٰ أن يسجد، واستكبر، ولم

يتب، وجمعت آية البقرة هذه الصفات الثلاث لإبليس، وما جاء بعد سورة البقرة من سور، ذكرت واحدة أو اثنتين من هذه الصفات؛ أي: جاء الإجمال، في سورة البقرة، والتفصيل في السور الأخرىٰ. فقال في سورة ص آية (٧٤) ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وفي سورة طه آية (١١٦): ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾.

[٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾: وقلنا قولاً، فيه تكريم، وتعظيم لآدم، لإسناد القول إليه ﷻ.

﴿ٱسْكُنْ﴾: من السكينة، والسكن في اللغة؛ البيت، الذي يكون فيه زوجان، فالزوجة سكن لزوجها، وزوجها سكن لها، وفيها معنىٰ الإقامة والاستقرار.

﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾: بما أنه خاطب آدم وحده، فالسكن مطلب، وواجب علىٰ الرجل، وكلمة زوجك؛ تطلق علىٰ الرجل، أو المرأة، ففي اللغة؛ يقال: المرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة، والزوجة تعني: المثيل للزوج؛ أي: المماثلة لزوجها، وإذا كانت مخالفة تسمىٰ امرأة؛ ارجع إلىٰ سورة التحريم آية (١٠) للبيان، والفرق بين الزوجة والمرأة.

﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: تعريفها: كل بستان ذي شجر كثيف، وفيها من الثمرات، والخيرات الوفيرة. ارجع إلىٰ الآية (٢٥) للبيان.

واختلف المفسرون في هذه الجنة، هل هي جنة في الأرض، أم جنة في السماء، ولو نظرنا في القرآن، لوجدنا ذكر الجنة، قد ورد في سياق سورة الكهف، والقلم، وسبأ، وكلها تشير إلىٰ أنّ الجنة، هي علىٰ الأرض، وليس جنة الآخرة، ففي سورة الكهف آية (٣٢): ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾، وفي

سورة القلم، الآية (١٧): ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، وفي سورة سبأ، الآية (١٥): ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ﴾، ويميل أكثر المفسرين، أنها جنة في الأرض، جنة أرضية، وليس جنة الخلد، أو جنة الآخرة.

﴿وَكُلَا﴾: كل واحد يأكل، وهنا ثنى الفعل، ولم يقل: فكلا بالفاء؛ لأنّ الفاء، تعني: أن يأكل مباشرة، عقب الدخول، والواو أرحب زمناً من الفاء. ﴿رَغَدًا﴾: الرغد هو الرزق، الواسع، الكثير، ﴿رَغَدًا﴾: أكلاً، هنيئاً، لا عناء فيه، ولا حجر عليه.

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: ظرف للسكن، والأكل؛ أي: اسكنا ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، وكلا ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾: لا بالدنو منها، ولا بالأكل من ثمارها، وأما ما نوع هذه الشجرة، فلا يهم، فقد أبهم القرآن تعينها، والنهي بالقرب منها؛ للمبالغة في النهي عن الأكل منها؛ أي: لم يقل سبحانه: ولا تقربا هذه الشجرة، ولا تأكلا منها، وإنما اقتصر على الاقتراب؛ لأنّ الأكل سيحصل بعد الاقتراب، بسبب الشهوة، ولو نهى عن الأكل فقط منها، ولم ينهَ عن الاقتراب، عندها لن يقاوم شهوته.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: الظلم؛ هو الجور، والتعدي، والإنسان، قد يظلم نفسه، مثلاً؛ بفعل المعاصي، والذنوب، أو الخروج عن طاعة الله، أو المنهج، أو قد يظلم غيره، بالتعدي على حقوقه، ولا يعطيه حقه مثلاً، وهو الظلم الاجتماعي يضم ظلم الأموال، وظلم الأعراض، وهناك الظلم العقدي؛ أي: الشرك والكفر والنفاق، وقد ورد الظلم ومشتقاته في القرآن في حوالي (٢٨٩ موضعاً).

وهنا ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: من الّذين ظلموا أنفسهم، بمعصية الله، بالأكل من تلك الشجرة.

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: كلمة الشيطان، اشتقت من شطن؛ أي: بعُد عن الحق، والخير، وتمادىٰ في الشر، أو شاط: احترق، ومنه؛ شاط الطعام؛ أي: احترق، أو الشاطن؛ أي: الخبيث.

والرجيم: يعني: المرجوم، بالشهب، والمرجوم؛ الملعون، والرجيم؛ المطرود، أو المبعد، عن رحمة الله تعالىٰ.

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: الفاء؛ تدل علىٰ المباشرة، والسرعة، يقال: أزلت الشيء عن مكانه، إزالة؛ أي: نحيته، وأذهبته عنها، ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾؛ أي: أبعدهما عن الجنة، أو نحاهما عن الجنة، ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾؛ قد تعني أوقعهما في الخطيئة، أو الزلة، والزلة ليست بالضرورة، تكون إلىٰ محل أدنىٰ، بل يمكن أن تكون في المكان نفسه، بعكس التدلية كما في قوله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾، لا تكون إلَّا من أعلىٰ إلىٰ أسفل.

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من الجنة، والنعيم، والكرامة، ونسب الإخراج إلىٰ إبليس، الذي تولىٰ إغواء آدم، من أكل من الشجرة، بعد أن تغلبت عليه وساوس الشيطان.

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾: لم يقل: منها، ولا إلىٰ أين، فهذا يشير إلىٰ هبوط مكانة، وليس هبوطاً من مكان، إلىٰ مكان؛ أي: نزول.

﴿ٱهْبِطُوا۟﴾: يشمل هبوط آدم، وزوجته، والشيطان. وقيل: آدم وذريته، وإبليس وذريته، أما قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ﴾ [طه:١٢٣] تعني: آدم وإبليس، وآدم تعني: آدم وزوجته؛ ارجع إلىٰ سورة طه آية (١٢٣) للبيان.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أي: شياطين البشر للبشر عدو، شياطين الجن للبشر عدو، وأولياء الله عدو لأولياء الشيطان، ولم يقل: كلكم، وإنما قال ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: في: ظرفية مكان، استقرار، وإقامة.

﴿وَمَتَاعٌ﴾: كل ما ينتفع به، وما يُمتع به القليل، أو الكثير من الطعام، والشراب، واللباس، والسلعة، والأداة، والمال.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلىٰ: حرف يستعمل لكل الغايات (البداية، أو النهاية، أو المنتصف. . .)، بينما حتّىٰ حرف يستعمل لنهاية الغاية. إلىٰ حين موتكم، أو انقضاء أجلكم، إلىٰ حين، ولم يقل: حتّىٰ حين، وحين تعني: فترة زمنية غير محددة، قد تطول، أو تقصر، سنين، أو شهوراً، أو أياماً، أو ساعاتٍ.

حتّىٰ: تعني: الوصول إلىٰ نهاية الغاية، نهاية الغاية هي الموت، وهو القيامة الصغرىٰ، سواء أكان الموت العادي، أم الموت بأسباب أخرىٰ. . .

[٣٧] ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿فَتَلَقَّىٰ﴾: الفاء: تدل علىٰ التعقيب، والمباشرة.

﴿كَلِمَاتٍ﴾؛ قيل: هي كلمات التوبة، والاستغفار، والمأثور أنها: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ﴾؛ لأنّ آدم، لم يكن يعرف كيف يتوب، حتّىٰ علمه الله ﷻ، كيف يتوب، ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾؛ فهو النبي، الذي يتلقىٰ، وليس زوجه، فالتبليغ؛ أصلاً كان لآدم عليه السلام.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: تقبل منه توبته، مباشرة، فالفاء؛ تدل علىٰ التعقيب،

والسرعة، فتاب عليه؛ لا تعني تاب عليه وحده، وإنما عليه، وعلىٰ زوجه، وأصل التوبــة؛ الرجوع عن المعصية، وعدم العودة إليها. ارجع إلىٰ ســورة النّســاء آية (١٧-١٨) للبيان.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: إن: للتوكيد. ﴿هُوَ﴾: للحصر.

﴿ٱلتَّوَّابُ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير قبول التوبة، من عباده، مهما كثرت، أو تكررت، ومهما تنوعت مــن صغائر وكبائر، ويقبل توبة عباده التائبين، مهما كان عددهم، وعدد توباتهم.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: لا يرد توبــة التائبين، ولا يعجل لهم بالعقوبة، كي يتوبوا، ويغفر لهم.

❖❖❖

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

نصف الحزب ١

سورة البقرة [الآيات ٣٨ - ٤٨]

[٣٨] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿قُلْنَا﴾: اللفظ، بلفظ التعظيم، ﴿قُلْنَا﴾: لهم، بعد التوبة، وقبولها: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾؛ هذا هو الهبوط الثّاني، وهو هبوط من مكان عال إلىٰ مكان أسفل، والذي يدل علىٰ أنه هبوط من مكان عال إلىٰ مكان أسفل، هو استعمال منها، بينما في هبوط المنزلة، لم يستعمل منها، وهذا الهبوط كان بعد التوبة، وهو أخف شدة من الهبوط الأول، الذي حدث بعد المعصية، فالهبوط الأول الذي ذكر في الآية (٣٦)، كان هبوط منزلة، ودرجة، وحدث بعد المعصية، وهو أشد، جاءت الواو للأهمية، مصاحبة لقوله: وقلنا، بينما في هذه الآية جاءت قلنا، من دون واو.

ومن المفسرين؛ من يقول: إن الهبوط الثّاني، هو نفسه الهبوط الأول، وأعيدت كلمة ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾؛ للتوكيد.

﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾؛ من الجنة، ﴿جَمِيعًا﴾: الخطاب لآدم، وزوجته، وإبليس.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿فَإِمَّا﴾: للتفصيل، والتوكيد، أصلها: فإن زائد ما والفاء في فإن؛ تفيد التّوكيد، إن: شرطية، وما: للتوكيد، وأدغمت النون في ما، فأصبحت؛ ﴿فَإِمَّا﴾.

﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾: رسول أبعثه إليكم، أو كتاب أنزله عليكم.

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾: الفاء: للتوكيد.

من: شرطية، ﴿تَبِعَ﴾ أوامري، وتجنب نواهيَّ، ولم يتبع هواه، وخطوات الشيطان.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّافية.

﴿خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه؛ الحزن: أشد الهم؛ الحَزَن: يكون لأمر مضىٰ؛ أي: فاتك شيء، تحبه وتتمناه، ولم تحصل عليه.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: هم يخافون الله سبحانه في الدنيا ويوم القيامة؛ لأن الكل يخاف الله يوم القيامة، ولا يصح أن يقال لا يخافون؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:٣٧]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٠] فهم يخافون، ولكن الله وعدهم الأمن يوم القيامة بعد أن تبشرهم الملائكة تطمئن قلوبهم، ويذهب عنهم الخوف، وأما غيرهم فلم ينفي عنهم الخوف.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: وقدَّم ﴿هُمْ﴾ علىٰ ﴿يَحْزَنُونَ﴾: لنفي الحزن عنهم خاصة، ولأنّ غيرهم من الكفرة، سوف يحزنون، وهناك فرق بين الحَزن: بفتح الحاء، والحُزن بضم الحاء. ارجع إلىٰ سورة فاطر آية (٣٤) للبيان، أو سورة

الأنعام آية (٣٣)، ولا هم يحزنون أما غيرهم من الأبناء والأقارب قد يحزن عليهم بعد موتهم، وجاء بصيغة المضارع يحزنون لنفي الحزن المتجدد عليهم.

قدَّم الخوف على الحزن، وقال: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لأن الخوف أعم وأهم من الحزن.

وتكرار لا، تفيد التّوكيد، وفصل الخوف عن الحزن؛ أي: لا هذا، ولا ذاك، ولا كلاهما معاً.

وإذا قارنا هذه الآية: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وقوله في سورة طه الآية (١٢٣): ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾:

ففي آية سورة البقرة ﴿تَبِعَ﴾، فيها تخفيف، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وجاءت في سياق الآخرة.

أما في آية سورة طه ﴿اتَّبَعَ﴾، فيها تشديد، ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، جاءت في سياق الدّنيا والآخرة، فيها مبالغة، بالاتباع؛ لأنّ الضّلال؛ لا يحصل إلَّا في الدّنيا، والشقاء؛ يحصل في الدّنيا والآخرة.

ولذلك شدد في آية سورة طه؛ لأنّ الآية تتضمن أمرين: مجاهدة الضّلال، والفوز بالآخرة، ولذلك شدد على اتباع هدي الله أكثر في آية سورة طه.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

كأنّ هذه الآية تتمة للآية السابقة، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو عاطفة، الذين: اسم موصول، يفيد الذم.

﴿كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: الكفر؛ هو الستر، إنكار وجود الله سبحانه، واجب الوجـود، أو الكفر بآيات الله؛ أي: عدم التصديق بها، وإنكارها، والكفر أعم من التكذيب. ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السـورة لمزيد من البيان في معنىٰ الّذين كفروا.

التكذيـب: هو حالة جزئية، من الكفر بآياتنا؛ أي: الكونية، أو آيات القرآن، والمعجـزات الدالة علىٰ النبوة، والكفر أعم مـن التكذيب، والتكذيب هو عدم التصديق.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، يشير إلىٰ الّذين كفروا وكذبوا بآياتنا.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: سماهم أصحاباً لصحبتهم الدائمة للنار، وكأنهم أصبحوا أصحابها؛ أي: مالكوها؛ كما نقول: صاحب الدار.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد، ﴿فِيهَا﴾: في النار.

﴿خَٰلِدُونَ﴾: من الخلد، وهو البقاء الدائـم، الذي لا انقطاع فيه، ويبدأ من زمن دخولهم النار؛ أي: له زمن بدء، وليس له زمن نهاية.

[٤٠] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾:

﴿يَٰبَنِىٓ﴾: نداء إلىٰ بني إسرائيل، بياء النداء للبعد.

﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: إسـرائيل؛ هو يعقوب بن إسـحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، وأبناؤه، وأحفاده، ينادون ببني إسرائيل؛ في زمن يعقوب، وبعد وفاته.

وفي زمن موسىٰ كانوا يسمَّون ببني إسـرائيل، وهكذا حتّىٰ توفِّي موسىٰ،

وسُـمُّوا باليهود بعد مجيء يهوذا، ولم يكن في منزلة يعقوب عليه السلام، وأطلق عليهم لقب اليهود عندما عصوا ونقضوا عهودهم. وسُـمُّوا بالّذيـن هادوا؛ أي: الّذين تهودوا، دخلوا في اليهودية. وأفضل الألقاب لقب بني إسرائيل، وذكر (٤٠) مرة في القرآن.

ويطلق عليهم وعلىٰ أتباع عيسىٰ عليه السلام بأهل الكتاب، أو بالّذين أوتوا الكتاب، أو نصيباً من الكتاب. ارجع إلىٰ هذه الآيات للبيان.

﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾، اذكروا من الذكر، وهو الحفظ من النسيان؛ أي: اذكروا، ولا تنسوا نِعَمِي الكثيرة عليكم.

﴿نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾: منها: إنزال التّوراة، وإنزال المن، والسلوىٰ، فلق البحر، أنجاؤكم من فرعون، وغيرها من النعم، وحين يخاطب ﷺ بني إسرائيل؛ يقول: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾، ولكن حين يخاطب المسـلمين؛ يقول: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لأنّ بني إسرائيل؛ معروف عنهم حبهم للمال، وللدنيا.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾: لتعريف العهد؛ ارجع إلىٰ الآية (٢٧) من سورة البقرة.

أي: امتثلوا لأوامري، وفرائضي، وخذوا بالتوراة، بقوة، وتمسكوا بها، ولا تكتموها، وأوفوا بما عاهدتموني عليه، من الإيمان والطاعة.

﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾: بما عاهدتكم عليه، من حسـن الثواب، والجنة، وتكفير السيئات.

﴿وَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾: وإياي: تفيد الحصـر؛ أي: الرهبة لله وحده؛ الرهبة:

هي الخوف، والحذر معاً؛ أي: خافونـــي، واحذروني؛ فارهبون فيها حذف لياء المتكلم، قد يكون ذلك لأن المخاطب فئة أو جماعة من الناس.

[٤١] ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾:

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾: يعني: القـــرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾: من التّوراة الحقيقية، الّتي لا ريب فيها، وفيها صفة النّبي ﷺ.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾: لا: الناهيـــة، ولا تكونوا أول كافر به بمحمد، أو بالقرآن؛ لأنّ قريشـــاً، قد كفرت بمحمد، قبل أهل الكتاب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقـــرة:٨٩]. ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السورة لبيان معنىٰ الكفر.

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: تكـــرار لا؛ تفيـــد التّوكيد، ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى﴾: أي: تبيعوا آياتي بأن تبدلوهـــا، أو تحرفوها، أو تحذفوها، أو بالزيادة أو النقص، وتأخذوا ثمنها، مهما كبُر الثمن وعظُم فهو ثمن قليل؛ لأنّ ثمنها أكبر وأعظم عند الله من ذلك بكثير، ولا يقدر ثمنها إلّا الله سبحانه.

﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾: وإياي: تفيد الحصر؛ حصر التقوىٰ لله وحده، ولا تخافوا أحداً إلّا أياي ﴿فَٱتَّقُونِ﴾: أي: امتثلـــوا أوامري، وتجنبوا نواهيَّ؛ لكي تنجوا من النار، ومن سخطي وغضبي. واتقون: حذفت فيها ياء المتكلم قد يكون ذلك لأن المخاطب فئة من الناس أو جماعة هم بني إسرائيل وليس الكل وقد تعني التقوىٰ ما استطعتم.

[٤٢] ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

تلبسوا الحق؛ تخلطوا الحق بالباطل من: لبس عليه الأمر: خلطه، واللبس؛ هو التغطية أو التعمية، والحق في هذه الآية، هو ما جاء في أمر النّبي ﷺ، ونعته، أو تحرِّفوا التّوراة، والإنجيل ولمزيد من البيان في معنى الحق ارجع إلى الآية (١١٩) في نفس السورة، وتكتموا البشارة بمجيء رسول الله ﷺ، وقمة الإلباس هو عدم الإيمان برسول الله ﷺ، وأنتم تعلمون أنه النّبي المرسل المنتظر.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾:

﴿وَأَقِيمُوا﴾: ارجع إلى آية (٣) من سورة البقرة.

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: أدوا الزكاة؛ والزكاة: شرعاً: نصيب مقدر في مال معين، يصرف لطائفة مخصوصة، والزكاة؛ لغةً: مشتقة من الزكاء، وهو النمو، والزيادة، فالزكاة تعني: الزّيادة، والنماء، وزكا الزّرع: نما، وكثر، وقيل: تزكى؛ أي: تطهر، فالزكاة، تحمل معنيين: تطهير للمال، وتنمية له.

ولنعلم أنّ الزكاة فرضت في مكة، وأما تقدير نصابها كان في المدينة.

﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: الركوع: يعني: الصلاة، ذكر الجزء وأراد الكل، كما يُعبر عن الصّلاة بالسجود؛ أي: صلوا مع المصلين؛ أي: صلوا مع محمّد ﷺ، وأصحابه؛ صلاة الجماعة، وذكر الركوع؛ لأنّ صلاة اليهود، ليس فيها ركوع، ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾؛ ليست خاصة باليهود، وإنما هي لكافة المسلمين، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب. ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: فيها حث على صلاة الجماعة.

[٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام، توبيخ، وتحذير، وتعجب.

﴿ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾: هو الخير، الواصل إلىٰ الغير، مع القصد والنية، إلىٰ ذلك، وضده العقوق؛ ويشمل: العمل الصالح، والطاعة، وكل ما يتقرب به إلىٰ الله من أخلاق ومعاملات واعتقادات. وقيل: نزلت هـذه الآية في بعض اليهود، الّذين كانوا يقولون لبعض أقاربهم من المسلمين في السر: اثبتوا علىٰ ما أنتم عليه، فإنه حق، وهم لا يقومون بذلك.

وقيل: البر؛ هنا، يعني: التمسك بالتوراة، فمنهم من كان يأمر أتباعه باتباع التّوراة، وهم أنفسهم لا يقومون بذلك. وقيل: هو الصدقة؛ كانوا يأمرون بها غيرهم، وهم لا يتصدقون.

النّاس: ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة لمعرفة معنىٰ النّاس.

﴿بِٱلْبِرِّ﴾: الباء؛ للإلصاق.

﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: تنسون علىٰ وزن تفعون فيها مبالغة في النسيان.

تأمرون غيركم بالبر، ولا تأمرون أنفسكم، بالطاعة وتقديم الأعمال الصالحة، فهذا ليس منهج الدعاة، والقدوة الصالحة.

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التّوراة، ﴿تَتْلُونَ﴾؛ فعل مضارع، يدل علىٰ تجدد وتكرار تلاوة التّوراة الّتي فيها نعت محمّد ﷺ، والأحكام الربانية.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة؛ استفهام إنكاري، توبيخ علىٰ النسيان، ألا؛ أداة تنبيه، وحضٍّ، وتحمل معنىٰ الأمر، والفاء للتوكيد.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: تتفكرون، وتعودوا إلىٰ الصواب، والحق، وفيها؛ توبيخ شديد، لكونه ينفي العقل عنهم، والفهم عندما يأمرون النّاس بالبر، وينسون أنفسهم، والقيام به. تعقلون من عقل الشيء؛ أي: عرفه بدليله، ووصل إلىٰ الحقيقة بعد الموازنة والاستنباط.

[٤٥] ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾:

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾: الاستعانة؛ الألف، والسين، والتاء، تعني الطلب؛ اطلبوا العون، بالصبر، والصلاة.

﴿بِٱلصَّبْرِ﴾: الباء؛ للإلصاق؛ أي: المداومة علىٰ الصبر، والأصل في الصبر، الحبس، فالصابر حابس نفسه عن الجزع، ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾، علىٰ أداء الفرائض، وترك المعاصي، وأنواع البلاء.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: استعينوا كذلك بالصلاة، فقد كان ﷺ إذا حزبه أمر، فزع إلىٰ الصلاة؛ أي: نزل به هم أو غم، كما ورد في الحديث الذي أخرجه الطبري، وأبو داود، وأحمد.

وقدَّم الصبر علىٰ الصلاة؛ لأنّ الصّلاة تحتاج إلىٰ صبر، وكل عبادة تحتاج إلىٰ صبر، فذكر أحدهما يكفي، أو متضمن الآخر.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: جمع خاشع، والخشوع هو الخضوع مع التعظيم والخوف لله وحده، والخشوع في اللغة معناه: الذل، والسكون، والخضوع. قيل: هو اللين، والانقياد.

والخشـــوع يظهر على الجوارح، أو يخص الجوارح، مثل البصر، ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ [القلم:٤٣]، والصوت؛ ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ﴾ [طه:١٠٢]. والخضوع يخص البدن.

[٤٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾؛ أي: يوقنون؛ لأنّ الظن هنا؛ جاء بمعنى اليقين.

﴿أَنَّهُم﴾ أنّ للتوكيد، وأنّ في القرآن؛ إذا قرن الظن بها، أفادت اليقين؛ أي: يتبدل الظن إلى علم، ويقين.

اليقين: العلم التـــام، الذي ليس هناك غيره، وهو العلم بالحق الثابت الذي لا يتغير.

وأما الشك؛ عندما يتساوى طرفا النفي والإثبات.

والظن؛ عندما يكون طرف الإثبات، أو الإدراك يفوق طرف النفي.

﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾: أي: بالبعث؛ أي: يوقنون بالبعث، والعرض على ربهم يوم الحساب.

﴿وَأَنَّهُمۡ﴾: للتوكيد، ﴿إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾: إليه وحـــده لا إلى غيره، راجعون إليه في الآخرة؛ لنيل الثواب والأجر.

[٤٧] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: نداء جديد آخر إلى بني إسرائيل. ارجع إلى الآية (٤٠).

﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾: لم يبين في هـــذه الآية النعمة، الّتي أنعمها

عليهـــم، والنعمة الواحدة تمثـــل النعم التي لا تعد ولا تحصىٰ، ولكن ســـبحانه بينها في آيات أخر، فقال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:٤٩].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة:٥٧].

وإنزال التّـــوراة، وجعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملـــوكاً، وأتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وغيرها من النعم الكثيرة.

﴿نِعْمَتِيَ﴾: أضاف الله ســـبحانه النعمة إليه، فقال: ﴿نِعْمَتِيَ﴾؛ للتشـــريف، وبيان عظمهـــا، وكما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، وشـــكر النعمة يكون بذكر النعمة، يكون بذكر المنعم، وطاعته، والحديث عنها، وشكره عليها.

﴿ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: خاصة بكم، لم أنعمها، علىٰ غيركم.

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانهم ذاك، ولا يعني تفضيلاً إلىٰ الأبد، والدليل علىٰ ذلك؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

فضلهـــم علىٰ عالمين، ذلك الزمـــان، فكلمة عالمين كلمة لا تشـــمل كل العالمين في كل زمان، وإنما الموجودون فقط، في زمن واحد معين، ففي لحظة اختيارهم في ذلـــك الزمن، كانوا هم أفضل النّاس، علىٰ غيرهم، مقارنة بغيرهم، وليس الآن، وهذا ما يظنه خطأ بعض اليهود أنفســـهم أنهم شـــعب الله المختار، أنهم أفضل النّاس.

[٤٨] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾: الواو عاطفة، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾: عذاب يوم، والتنكير هنا؛ للتهويل، تهويل العذاب، وتهويل اليوم، وهو يوم القيامة، ولم يقل: لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً؛ لأنّ الجزاء والحساب ليس منحصراً في ذلك اليوم، وهو قد يستمر سنين طويلة؛ كقوله: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾؛ لأنّ الرجوع محصور في ذلك اليوم.

﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾: لا: النّافية، لا ينفع الإنسان فيه إلَّا عمله، أو لا تزر وازرة وزر أخرىٰ، وأنّ ليس للإنسان إلَّا ما سعىٰ.

فالآية هذه؛ تتحدث عن نفسين: النفس الأولىٰ، الّتي تقدِّم الشفاعة لنفس الثانية (المشفوع لها) فلا يُقبل منها شفاعة؛ أي: من النفس الأولىٰ الشافعة، وعندها تحاول النفس الأولىٰ، الشافعة، أن تدفع مال، (عدل)، يساوي الفدية، يساوي ما يعادل الذنب والجرم، لتفدي النفس المشفوع لها، أو الآثمة، فلا يؤخذ منها.

ولو قارنا هذه الآية بالآية (١٢٣): ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾.

فالآية (١٢٣): تتحدث عن النفس المشفوع لها، تحاول أن تدفع لتفدي نفسها بنفسها، فلا يقبل منها عدل، ثم حين لا يقبل العدل، تحاول أن تأتي

بالشفيع، أو تبحث عن شـفيع، فلا تجد، أو لا تنفعها شفاعة. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: لا: النّافية.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل، للتوكيد.

﴿يُنصَرُونَ﴾: أي: لا يستطيع أحد، أن ينصرهم، أو يوقف عنهم العذاب، أو يخففه.

ويمكن تيسُّـر فهم الآية (٤٨) والآية (١٢٣) بالقول أنّ هناك نفساً أولىٰ شافعة، ونفس ثانية مشفوع لها.

ففي الآية (٤٨) تحاول النفس الأولىٰ الشافعة أن تشفع للنفس الثانية، فلا يسمح لها أن تشفع، بعدها تلجأ إلىٰ دفع فدية (أو عدل)، فلا يسمح لها أيضاً.

وأما في الآية (١٢٣): تحاول النفس المشـفوع لها أن تدفع فدية، أو عدل بذاتها، فلا يسمح لها بعدها تحاول أن تجد من يشفع لها فلا تجد أحداً.

❖❖❖

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

سورة البقرة [الآيات ٤٩ - ٥٧]

[٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي؛ أي: واذكر إذ، أو اذكر حين نجيناكم من آل فرعون.

الفرق بين نجيناكم وأنجيناكم.

﴿نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: نجيناكم، تعني النجاة، تمت ببطء بعد زمن طويل؛ أي: بقوا في العذاب زمناً طويلاً، ثم نجوا بسهولة.

بينما أنجيناكم؛ تعني النجاة تمت بسرعة، وزمن قصير، وقوة عظيمة؛ أي: جهد أكبر، وصعوبة أشد، كما حدث؛ حين أنجاهم من الغرق.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: أصل الآل؛ أهل الرجل، وأعوانه، وأتباعه.

﴿فِرْعَوْنَ﴾: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون، أهو رمسيس الثاني، أم ابنه منفتاح؛ أي: فرعون المربي، أم فرعون الخروج؟ وآل فرعون يعني: آل فرعون الأب، وفرعون الابن.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يسومونكم من السؤم، وسام السلعة؛ أي: طلبها وابتغاها.

إذن، يسومونكم، يبغونكم.

وقيل: سام خصمه؛ أي: أذله، وأعنته، وأرهقه، وسام الماشية: تركها ترعى، فكلمة يسومونكم، جمعت كل تلك المعاني معاً، ففرعون ابتغى لهم العذاب، وأذلهم، وأعنتهم، وتركهم فيه زمناً طويلاً.

﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾: والسوء؛ هو كل ما يغم الإنسان، من أمر دنيوي، أو أخروي، أو يسوء إلى النفس.

﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾: أشده، وأفظعه، وأقبحه، وما نوع سوء العذاب؟؟ فقد بينه، ووضح ذلك في قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ﴾، ولو اكتفى بقوله: ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾، لربما يظن ظان، أنه ضرب، أو شتم، أو غيره، لا يصل إلى درجة الذبح، أو الاستحياء، والذبح؛ نوع واحد من أنواع القتل، والأبناء؛ تطلق على الذكور فقط، أما أولادكم؛ فتشمل: الذكور، والإناث، وكان الذبح يصيب الأبناء؛ أي: الذكور فقط، ولا يصيب البنات، وفي سورة إبراهيم آية (٦) قال تعالى: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ بإضافة الواو، بينما في هذه الآية حذف الواو. حذف الواو دل على أن التذبيح هو سوء العذاب، وإضافة الواو دل على أن التذبيح غير سوء العذاب، وهذا من كلام موسى الذي كان يعدد على بني إسرائيل المحن، أما آية البقرة (بحذف الواو): هو كلام الله سبحانه، وليس في تعديد المحن، بل كان يعدد لهم النعم. ارجع إلى سورة القصص آية (٤) للبيان المفصل.

يذبحون، جاءت بصيغة المضارع؛ لاستحضار الفعل؛ ليدل على بشاعته.

﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ﴾: من استحيا؛ أي: أبقاه على قيد الحياة، أو طلب له البقاء حياً؛ أي: يتركون نساءكم أحياء، للخدمة، وللمتعة، وللذل، ولم يقل: يستحيون بناتكم؛ لأنّ النّساء أقوم للخدمة، والمتعة، والتنكيل. ارجع إلى سورة

الأعراف آية (١١٤) وسورة القصص آية (٤)، وسورة إبراهيم آية (٦) للمقارنة ومزيد من البيان.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾: في؛ ظرفية، ذلكم: اسم إشارة للبعد، ويشير إلىٰ ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، ولم يقل: وفي ذلك لأنّ ذلكم؛ تفيد التّوكيد، والتعدد، والذبح، والاستحياء، وسوء العذاب إلىٰ أهمية هذه الأمور.

﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: البلاء؛ قيل: هو الاختبار، والفتنة، والابتلاء، يكون في الخير، والشر، وفيه؛ معنىٰ تحمل المشاق والمكاره.

فقد قال تعالىٰ: ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، والابتلاء غايته إظهار طاعة الله تعالىٰ، أو معصية، أو الاختبار يجري لمعرفة العلم بكنه الشيء المختبر، والابتلاء أصله الاختبار؛ تختبره بالضر، لكي ترىٰ ما عنده من الصبر، أو بالنعمة، لكي ترىٰ إن كان شاكراً، أو جاحداً، والبلاء لبني إسرائيل، كان بنوعيه الشر، ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، وبالخير ﴿نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، ومن الغرق في البحر.

﴿عَظِيمٌ﴾: لعظم ما فيه، من الآلام، والعذاب، كماً، وكيفاً.

[٥٠] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ﴾: الواو حرف عطف، إذ، تقدَّم شرحها في الآية السابقة، واذكروا إذ.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: ﴿فَرَقْنَا﴾: بفتح الراء، وليس بسكونها، كما في فرقنا، والفرق؛ هو الفصل، والتمييز بين شيئين، أو أكثر.

فرْق: بسكون الراء تستعمل لتفريق الأشياء المخلوطة غير المتجانسة، مثل: تفاح، وبرتقال، وعنب؛ أي: فصل بين كل شيء على حدة.

فَرَق: بفتح الراء، تستعمل للأشياء المتداخلة، أو الشيء الواحد، مثل تفريق عصير التفاح، والبرتقال، والعنب، الممزوجة معاً، كلاً على حدة، وهذا صعب، ومستحيل، أحياناً.

وفَرَق: تستعمل للماء ـ أو الدِّين، مثال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣]؛ أي: فصلنا البحر، وأصبح كل جزء منه، كالجبل، والبحر، قيل: هو البحر الأحمر.

﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾: من الغرق، ومن فرعون، وجنوده، ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾، تعني: بسرعة، وزمن قليل، وقوة شديدة.

﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: تشاهدونهم، يغرقون جميعاً، حتّى لا يدخل الشك في قلوبكم بعد ذلك، أنّ بعضهم نجى. فرعون هذا هو الابن المسمَّى منفتاح (فرعون الخروج) وليس الأب رمسيس الثاني مربي موسى عليه السلام. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر، إذ: ظرفية زمانية، للماضي؛ أي: واذكر إذ واعدنا موسى، أو وذكر حين واعدنا، على وزن فاعلنا، وتشير إلى مشاركة (مفاعلة)، من طرفين؛ أي: الله سبحانه، وعد موسى، وموسى قبل الوعد.

﴿مُوسَىٰٓ﴾: اسم أعجمي، أصله بالعبرانية موشا.

مو: هو الماء، وشـا: هو الشجر، وسمي بذلك؛ لأنّ موسىٰ عليه السلام، التقط في مكان، فيه ماء، وشجر (اليم وقصر فرعون).

هو موسىٰ بن عمران، من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

﴿وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾: بعد نجاة موسىٰ، وقومه من آل فرعون، ومن الغرق، ووصلوا سيناء.

﴿وَعَدْنَا﴾: جاءت بصيغة التعظيم، ﴿وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾: لاستلام التّوراة، والألواح، وضرب له ميقاتاً مكاناً جانب الطور الأيمن.

وزمناً ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: كان الوعد ثلاثين ليلة، ثم أتمها الحق سبحانه بعشر أخرىٰ، كما قال تعالىٰ في سورة الأعراف الآية (١٤٢): ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ففي آية البقرة إجمال للزمن، وفي آية الأعراف تفصيل للزمن، وتفصيل لكثير من الأحداث التي لمت ببني إسرائيل.

قال سبحانه: أربعين ليلة، ولم يقل نهاراً؛ لأنّ القمر، هو المعتمد عليه في تحديد الشهور.

﴿لَيْلَةً﴾: مؤنث ليل، من مغرب الشمس، إلىٰ طلوع الفجر.

واليوم في القرآن؛ يعني: النهار، وزمنه؛ من طلوع الفجر، إلىٰ مغرب الشمس؛ أي: ما يعادل (١٢ ساعة)، وليس (٢٤ ساعة).

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾؛ في قول أكثر المفسرين: كانت ثلاثين ليلة، من ذي القعدة، وعشر من ذي الحجة.

﴿ثُمَّ﴾: لمجرد الترتيب، في الذكر.

﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾: صيرتم، أو حولتم العجل إلىٰ إلهٍ؛ أي: العجل الذي صنعه لهم السامري، واتخذ من الأفعال الّتي تأخذ مفعولين؛ أي: اتخذتم العجل إلهاً، فالعجل؛ هو المفعول الأول، وأما المفعول الثّاني إلهاً، محذوف في جميع القرآن، وذلك تحقيراً وتوبيخاً؛ لما فعلوه من قمة الفساد، فلا يستحق الذكر.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد ما جاء موسىٰ لميقاتنا.

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: أنتم: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد.

﴿ظَٰلِمُونَ﴾: من الظلم، وهو الشرك، ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: بإشراككم، باتخاذكم العجل، ﴿ظَٰلِمُونَ﴾: جملة اسمية، تدل علىٰ الثبوت، بثبوت صفة الظلم لهم، انظر إلىٰ التفاصيل في سورتي الأعراف، آية (١٤٨)، وطه، آية (٨٧-٨٨).

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لمجرد الترتيب في الذكر.

﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾: حين تبتم.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من: ابتدائية، بعد ظرف زماني.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، اللام للبعد، ويشير إلىٰ اتخاذهم العجل.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: للترجي، أو التعليل، وهنا تفيد التعليل.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: تشكرون النعمة؛ الشكر يكون دائماً على النعمة الحاصلة لكم، والنعمة هنا: هي العفو عنكم بعد التوبة؛ انظر الآية (٥٤) من نفس السورة، وارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشكر.

[٥٣] ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكروا حين ﴿ءَاتَيْنَا﴾: من الإيتاء، وهو العطاء، ولكن الإيتاء ليس فيه تملك، كما في العطاء، فيمكن استرداد الشيء المعطي، والإيتاء أعم من العطاء، يشمل: الأشياء الحسية، والمعنوية، والعطاء لا يكون إلَّا للأمور المادية الحسية.

﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾: التوراة، والفرقان: إما نعت للتوراة، أو عطف على الكتاب.

فالكتاب: هو التّوراة، والذي يُبين المنهج، والفرقان: الذي يفرق بين الحق والباطل.

﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾: تطلق على التوراة، وعلى غيره من الكتب المنزلة كالقرآن، والإنجيل، فالتوراة؛ يجمع بين كونه كتاباً منزلاً، وفرقاناً، يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

وقيل: هذا من قبيل عطف الخاص على العام، الخاص هو الفرقان، والعام هو التّوراة.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: للتعليل، تهتدون إلى الحق.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ

فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿وَإِذۡ﴾: الواو عاطفة؛ إذ: ظرف للزمن الماضي، وتعني: واذكروا إذ، أو وذكروا حين قال موسىٰ لقومه.

﴿يَٰقَوۡمِ﴾: نداء به شعور الحنان، والعطف علىٰ قومه.

﴿يَٰقَوۡمِ﴾: القوم: جماعة كثيرة، وقيل: هم الرجال فقط، أو الرجال، والنّساء معاً.

﴿إِنَّكُمۡ﴾: إن: للتوكيد، والكاف: للخطاب.

﴿ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾: من معاني ظلم النفس؛ أي: نقصان حقها من التزكية، بدلاً من تزكيتها، يظلمها، ويدسيها كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٠]، فيوردها موارد التهلكة والعذاب، ويحرمها من النعيم الأبدي، بالظلم الذي من معانيه الشرك والصد عن سبيل الله، وظلم الآخرين، وجحد نعم الله.

﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾: الفاء؛ للتوكيد، ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾: التوبة؛ تعني: الندم علىٰ الذنب، والإقلاع عنه، وعدم العودة إليه، والإكثار من العمل الصالح.

﴿بَارِئِكُمۡ﴾: البارئ؛ اسم من أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، ذكر مرتين في القرآن في هذه الآية، وفي سورة الحشر، آية (٢٤).

البارئ: اشتق من برأ الخلق؛ أي: خلق الخلق، متميزاً، بعضه عن بعض، بالأشكال المختلفة، والصور المتباينة، فأعطىٰ لكل مخلوق صورة مختلفة عن الآخر، وقد تعني يبرئ المخلوق من الآفات، والأمراض؛ أي: الشافي.

﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد والتعقيب، والتشريع الإلهي كان بقتل كل من اتخذ العجل إلهاً كفارة لذنبه، وهو أقسىٰ أنواع الكفارة، وذلك بأن يقتل الّذين اتخذوا العجل بعضهم بعضاً، أو أن يقتل الّذين لم يتخذوا العجل الّذين اتخذوا العجل، أو أن يقتل من اتخذ العجل نفسه بنفسه.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، والكاف للخطاب، و﴿ذَٰلِكُمْ﴾: تشير إلىٰ أهمية، وعظم التوبة، والقتل معاً، ولم يستعمل ذلك، بدلاً من ذلكم؛ لهذا السبب.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لكم خاصة، وليس لغيركم، وهذه التوبة؛ هي أصدق أنواع التوبة، وهي خير لكم؛ لأنها تنجيكم من عذاب الآخرة.

﴿عِندَ بَارِئِكُمْ﴾: ارجع إلىٰ مطلع الآية للبيان.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: الفاء؛ للتوكيد، تاب: بصيغة الماضي؛ أي: هداهم كيف يتوبون، فتابوا، فتقبل منهم توبتهم مباشرة، من دون تأخير.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: إنه: للتوكيد، هو: للحصر.

﴿ٱلتَّوَّابُ﴾: أي: يقبل توبة عباده التائبين، مهما كان عددهم، وعدد توباتهم، ومهما كانت ذنوبهم كبيرة، أو صغيرة.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: لأنه لا يرد توبة تائب. ارجع إلىٰ الآية (٣٧)، من نفس السورة لمزيد من البيان.

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكروا إذ قلتم يا موسىٰ لن نؤمن لك.

القائلون: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾: هم السبعون رجلاً، الّذين اختارهم موسىٰ عليه السلام ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف:١٥٥]، ممن لم يتخذوا العجل، ذهب بهم موسىٰ إلىٰ جبل الطور، ليعتذروا إلىٰ ربهم ﷻ، من اتخاذ إخوانهم العجل، فلما وصلوا الطور قالوا لموسىٰ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾؛ أي: لن نصدقك، ولن: حرف نفي للمستقبل القريب، أو البعيد.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: علانية أو عياناً، وجهرة من الجهر، واصل الجهر الظهور؛ أي: رؤية واضحة بالبصر.

﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: الفاء؛ تدل علىٰ الترتيب، والتعقيب؛ أي: بسرعة أخذتهم الصاعقة، وهي الرجفة، الّتي ذكرها الله سبحانه، في سورة الأعراف آية (١٥٥)، ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾، والصاعقة: قد تكون ناتجة عن الشرر الكهربائية كالبرق الّتي تحمل في طياتها آلاف الكيلوواتات، فأهلكتهم واحداً تلو الآخر، وهم ينظرون. ارجع إلىٰ سورة فصلت، آية (١٣) لمزيد من البيان.

عندها قال موسىٰ: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف:١٥٥].

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: أنتم: للتوكيد، ﴿تَنظُرُونَ﴾: ما يحل بكم، من العذاب،

ومـــن الصعق، وقد تعني: يرىٰ كل منهم الآخـــر ما يحدث له، من الاختلاجات، وأعراض الصعق.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب في الذكر، أو الأحداث.

﴿بَعَثْنَٰكُم﴾: من البعث؛ أي: الأحياء؛ أي: أحييناكم.

﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾: من تعني مباشرة، من دون فاصل زمني، طويل.

﴿مَوْتِكُمْ﴾: أي: موت حقيقي، وليس إغماءً فقط، كما يظن البعض. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٥٥).

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعل: للتعليل.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: اللـــهَ علىٰ بعثكم أحياء من بعد موتكم، وعلىٰ نعمه الأخرىٰ الّتي لا تعد ولا تحصىٰ. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (١٠) لمزيد من البيان عن الشكر.

[٥٧] ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ﴾: في التيه، الغمام؛ سمي غماماً؛ لأنه يغم السماء؛ أي: يسترها، وكان يوصف الغمام بأنه سحاب، رقيق، أبيض، للوقاية من حر الشمس المحرقة.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: في التيه، والمن؛ هو شـــيء كالصمغ، أو عصارة ســـكرية تخرج من سيقان جذوع بعض الأشـــجار، ثم تجف وهي حلوة

كالعسل، وتمثل الكربوهيدرات، وكانت تخرج من طلوع الفجر إلىٰ بزوع الشمس، وكانت تشاهد علىٰ جذوع الشجر، وأوراق الشجر، لها طعم الحلوىٰ المغذية، سهلة الهضم.

﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: طير؛ يقال: إنه السمان، أو يشبه السماني، أو الحجل كان يأتيهم في جماعات كبيرة، ومن الطيور المهاجرة، ويبقىٰ علىٰ وجه الأرض، حتّىٰ يمسكوا به، ويذبحوه، ويأكلوه، ويمثل البروتينات. فالمن والسلوىٰ غذاء كامل للإنسان.

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: أي: قلنا لهم: ﴿كُلُواْ مِن﴾: من ابتدائية، وللتبعيض.

﴿طَيِّبَٰتِ﴾: جمع طيب، وهو الحلال الطاهر، فكل حلال طيب، وليس كل طيب حلالاً، مثل: المن، والسلوىٰ.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي رزقناكم.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: الواو: عاطفة، ما: النّافية.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: حين كفروا بتلك النعم، ولم يشكروا المنعم، والله سبحانه وتعالىٰ أعز أن يظلِم، ولا يستطيع أحدٌ أن يظلم الله سبحانه، ولو كفر أهل الأرض جميعاً، ﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: حين جحدوا نعم الله تعالىٰ، وظلم النفس؛ يعني: نقصان حقها، فبدلاً من تزكيتها، ظلمها وأنقصها حقها، فأوردها موارد التهلكة، والعذاب، وحرموا أنفسهم من النعيم الأبدي بالظلم.

وقــول ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بدلاً من قولــه: ويظلمون أنفســهم؛ إذ قدَّم المفعول به على الفاعل؛ للتأكيد على ظلمهم أنفسهم، بما ارتكبوه.

ولا بد مــن مقارنة قوله تعالــى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١١٧].

فقولــه: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: جاءت في ســياق الحديث عن الأقوام، الماضية، البائدة، واستعمل كلمة ﴿كَانُوٓاْ﴾ الدالة على الزمن الماضي.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: جاءت في سياق الحديث عن الزمــن الحاضر، أو الحال؛ أي: في الأقوام الّذين لا زالوا على قيد الحياة، وليس في الأقوام الماضية.

❖ ❖ ❖

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١

سورة البقرة [الآيات ٥٨ - ٦١]

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾:

قبل البدء بتفسير هذه الآية لنعلم أن هذه الآية جاءت في سياق تعداد النعم على بني إسرائيل لقوله تعالى لما افتتح ذكر بني إسرائيل قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧].

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكروا؛ إذ قلنا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: أسند القول إليه سبحانه؛ اهتماماً بهم؛ الخطاب المباشر من اله سبحانه لبني إسرائيل. وفي سورة الأعراف آية (١٦١) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ ارجع إلى سورة الأعراف: آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: قيل: هي بيت المقدس، أو أريحا، أو غيرها، أمروا بدخولها، بعد التيه. وفي سورة الأعراف آية (١٦١) قال تعالى: ﴿اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: الفاء؛ هنا، للتعقيب، والسرعة؛ أي: كلوا؛ بمجرد دخولكم، وكأنّ الطعام مهيئ لهم، كما نفعل في حالة إقراء الضيف.

﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: هذه الآية؛ تدل على أنّ هناك أصناف كثيرة من الطعام، ﴿رَغَدًا﴾: كلوا هنيئاً، لا عناء فيه، وتأخير كلمة ﴿رَغَدًا﴾؛ في هذه الآية بدلاً فكلوا منها رغداً حيث شئتم؛ لكونها في سياق الدّنيا، بينما في الحديث، عن الجنة، وآدم، قدَّم ﴿رَغَدًا﴾؛ فقال: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة:٣٥]. وفي سورة

الأعـراف آية (١٦١) حذف رغداً وقال تعالىٰ: (وكلوا حيث شـئتم)؛ ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

وهذا التأخير، والتقديم في الرغد؛ لكون الجنة والدنيا، لا تتساويان في لذة العيش، فرغد الجنة مقدَّم علىٰ رغد الدّنيا.

﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾: وادخلوا الباب؛ بـاب القرية، الّتي ذكرت في مطلع الآية. وفي سورة الأعراف آية (١٦١) قدم (حطة) وقال تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾؛ ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

﴿سُجَّدٗا﴾: ولم يقل سـجوداً؛ سـجداً: تدل علىٰ المبالغة في السجود؛ أي: في منتهىٰ الخضوع، والتواضع، واسـجدوا عند الانتهاء، إلىٰ الباب؛ شكراً لله، وتواضعاً، سجود الشكر، وقدَّم السـجود علىٰ القول، ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾؛ لأنّ السـجود أعظم، وأشـرف من الدعاء، (القول)، وأقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد.

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾: حطة؛ من الحط، بمعنىٰ: الوضع، والإنزال، وأصله إنزال الشيء، من علو، واستحطه؛ أي: سأله أن يحطه عنه؛ أي: حط، عنا ذنوبنا يا ربنا، واغفر لنا، (ويمثل الاستغفار).

﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: الغفر، هو الستر، والمغفرة؛ هي ستر الذنب، وأما العفو؛ فهو ترك العقوبة.

﴿لَكُمۡ﴾: أي: نغفر لهؤلاء، الّذين قاموا، بما أُمروا به.

﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾: جمع خطيئة جمع كثرة، مقارنة بخطيئاتكم في الأعراف آية (١٦١) (جمع قلة)، والخطايا تشمل كل الذنوب.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: مهما كثرت، أو تنوعت، سواء أكانت في العبادات، أو غيرها، ولم يقل من خطاياكم؛ من: البعضية؛ أي: بعض خطاياكم.

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الواو؛ هنا، تدل على الاهتمام والتأكيد. وفي سورة الأعراف آية (١٦١) قال تعالى: ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بدون الواو؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

وماذا بعد الغفران؛ قيل لهم: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ولمعرفة معنى الإحسان، ارجع إلى الآية (٨٢) من سورة البقرة، وارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦١) للمقارنة والمزيد من البيان.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾:

﴿فَبَدَّلَ﴾: أي: الّذين ظلموا أوامر الله، ولم يتبعوها، فقد أمروا بالاستغفار، والتوبة، والسجود، فخالفوا ذلك، ولم يفعلوها، وقالوا ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾، وقيل: إنهم بدلوا قول الحطة، بالحنطة، ولم يدخلوا ساجدين، ولم يتمثلوا أوامر الله تبارك وتعالى.

وفي آية سورة الأعراف (١٦٢): ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾، تدل على التخصيص؛ أي: هناك من ظلم نفسه، وهناك من لم يظلم، واتبع أوامر الله، ارجع إلى الآية (١٦٢) من سورة الأعراف، وفي آية سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ ولم يقل: منهم؛ كأنه لا يريد أن يصرح من هم الظالمون، ولكنه أعاد ذكرهم في آخر الآية؛ فقال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، وفي هذا تقبيح، وتهويل لظلمهم.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾:

الرجز: بكسر الراء يعني: العذاب كما روي عن ابن عباس وغيره؛ وأصل

الرجز هو الاضطراب، ومنه ناقة رجزاء، إذا تقارب خطوُها، واضطرب؛ لضعف فيها، وسمي العذاب رجزاً؛ لما فيه، من الفزع والاضطراب.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥]؛ تعني: الأصنام كما قال ابن عباس، أو المعصية كما قال آخرون، وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال:١١]؛ تعني: وسوسته وشك الشيطان.

فالرجز: تعني العذاب، أو الأصنام، أو وسوسة الشيطان وكيده، ووردت الرجز في عشر مواضع بهذه المعاني الثلاثة، وأما الرَّجْزَ: بفتح الراء والتشديد تعني: الذنب أو العذاب وعبادة الأوثان؛ أي: الشرك.

وأما الرجس: فهي أوسع معنىٰ من الرجز؛ تعني: الشيء أو الأمر المستقبح القذر النجس، وتعني العذاب؛ فالرجس أعم من الرجز؛ أي: الرجس تشمل العذاب وغيره من القبيح والقذر من عبادة الأوثان والشرك.

﴿فَأَنزَلْنَا﴾: الفاء؛ تدل علىٰ المباشرة، والتعقيب.

الإنزال؛ يعني: مرة، أو عدَّة مرات، أما الإرسال؛ فيعني: التواصل، والاستمرار، والشدة في الإنزال كما قال تعالىٰ في الآية (١٦٢) في سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

أمثلة علىٰ آيات الإرسال: في سورة الحجر الآية (٢٢): ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾؛ وتلقيح الأزهار، والثمار، يكون بشكل مستمر.

في سورة طه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾؛ لأنه؛ أراد لهم الغرق، والطوفان يحتاج إلىٰ استمرار هطول المطر، وكذلك قوله علىٰ لسان هود في سورة هود الآية (٥٢): ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، من هذه الآيات؛ نلاحظ الإنزال، يكون مرة أو مرتين، والإرسال يكون بشكل متواصل، مسترسل.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾: عذاباً، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ قيل: هو الطاعون، أو غيره؛ من أنواع العذاب.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق السببية، أو المقابلة.

﴿كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: لتعريف الفسق؛ ارجع إلىٰ الآية (٥٩) من سورة البقرة، وفي الآية (١٦٢) في سورة الأعراف قال تعالىٰ: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

ويجب معرفة أنّ هناك فرقاً بين كلمة ﴿يَظْلِمُونَ﴾ و﴿يَفْسُقُونَ﴾.

فالظلم: أشد من الفسق، والفسق: يسبق الظلم، وكل ظالم فاسق، وليس كل فاسق ظالم، وانظر في آية البقرة كيف جاءت كلمة (يفسقون) مع كلمة (الإنزال)، وفي آية الأعراف كيف جاءت كلمة (يظلمون) مع كلمة (الإرسال)، والإرسال أشد من الإنزال، والظلم أشد من الفسق.

[٦٠] ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَإِذِ﴾: أي: واذكر إذ أوحينا.

﴿ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾: طلب السقيا؛ أي: المطر، وكان ذلك في التيه؛ بعد أن قل الماء وعطشوا عندها طلب موسىٰ السقيا لقومه.

وقوله: ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾: فالله سبحانه يقي أنبياءه، وعباده الصالحين، من الشكوىٰ، أو التذمر في حالة الشدة، بل يصبرون، وكأنّ موسىٰ عليه السلام، هنا؛ لم يكن ظمآن، أو كان صابراً، واستسقىٰ لقومه فقط، ولم يدعُ موسىٰ لنفسه.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾؛ والحق ﷻ كان قادراً علىٰ أن ينزل عليهم مطراً من السماء مباشرة، وينتهي الأمر، ولكن الله ﷻ؛ أراد أن يُريهم

معجزة أخرىٰ، بأن يضرب موسىٰ بعصاه الحجر، وكلمة الحجر فيها: ألف ولام التعريف، إذن هو حجر مُعين، وليس أيَّ حجر، وإلَّا فجاء، بصيغة النكرة.

﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾:

أي: فضرب ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ﴾: الانفجار، هو خروج الماء، بشدة، وغزارة، وصوت، بعكس الانبجاس، الذي يدل علىٰ سيلان الماء، بقلة، وببطء، كما ورد في سورة الأعراف، آية (١٦٠)، وقيل: الماء قل، بسبب ازدياد، وكثرة معاصيهم، وقيل: إن الانفجار حدث أولاً، ثم بعد ذلك الانبجاس ثانياً، وهو السيلان؛ فأصبح الماء يسري كالعيون، كل سبط له مجرىٰ.

﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: بعدد الأسباط؛ فلكل سبط عينٌ؛ حتّىٰ لا تقع بينهم البغضاء والشحناء.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾؛ ﴿قَدْ﴾: للتحقيق؛ أي: ثبت، ووقع.

كلُّ أناس؛ أي: كل سبط، ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾: عينهم الّتي يشربون منها.

والمشرب: موضع الشرب. وفي الآية (١٦٠) من سورة الأعراف قال تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾؛ ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٦٠) لمزيد من البيان.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾: كلوا من المن، والسلوىٰ، وغيرها، واشربوا من هذا الماء، فهذا كله من رزق الله، يأتيكم بلا تعب، ولا مشقة.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: والعثو: هو أشد الفساد، أو كثرة الفساد.

وانتهوا عن نشر الفساد في الأرض، ولا تتمادوا فيه؛ كي لا يصبح الفساد، من صفاتكم الثابتة. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ

ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾:

﴿لَن﴾: حرف؛ لنفي المستقبل، القريب، والبعيد.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾: نلاحظ في هذه الآية أنّ الطعام، وصف بأنه طعام واحد، رغم أنه ذكر سابقاً، أنه صنفان: المن والسلوىٰ، ويبدو أنهم قد سئموا، وضجروا من أكل المن، والسلوىٰ في التيه طعام واحد: أرادوا بالواحد ما لا يختلف، ولا يتبدل، ويتكرر كل يوم.

وقيل: إنهم كانوا يأكلون المن بالسلوىٰ.

﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: لم يقولوا: (ربنا)، ربما لكون موسىٰ أقرب إلىٰ الله منهم.
﴿فَٱدْعُ﴾: هو الطلب من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، ويسمىٰ دعاء، وإذا كان الطلب من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ؛ يسمىٰ أمراً، ومن مساوٍ إلىٰ مساوٍ قيل: طلب.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: يفيد أنّ الدعاء مطلوب منهم ضروري، بخلاف قوله: أن تدع لنا ربك؛ فإنه لا يدل علىٰ أنّ الدعاء مطلوب منهم؛ أي: غير ضروري.

﴿مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ﴾:

يخرج لنا مما تنبت الأرض، ﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾، والبقل؛ هو كل نبات لا ساق له، مثل الخس، والفجل، والكراث، والجرجير، ﴿وَقِثَّآئِهَا﴾: صنف من الخيار، ﴿وَفُومِهَا﴾: والفوم هو القمح، أو الثوم، والحبوب، ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾: والعدس، والبصل؛ معروفان.

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾: الباء؛ تدخل عادة على المتروك؛ أي: إنهم يريدون استبدال الذي هو خير، وهو المن والسلوى، الذي هو رزق مباشر، من الله بالذي هو أدنى، ولا يقصد هنا الدناءة، فالرزق؛ مهما كان، لا يمكن أن يوصف بذلك، وبالذي هو أدنى هنا قيمة، أو أردأ؛ بالذي هو أفضل وأشرف.

﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾: عندما أصروا على الطلب، قيل لهم: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾؛ أي: انزلوا مصراً، ولم يقل مصرَ، بل مصراً بالتنوين؛ تعني: مصراً من الأمصار؛ أي: بلداً من البلدان.

ومصرُ: بغير تنوين؛ تعني: مصر الحقيقية، (جمهورية مصر العربية)، وقد وردت مصر، بالتنوين في آية واحدة، هي هذه الآية، ومصر بغير تنوين، وردت في (٤) آيات في القرآن.

﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾: فإن؛ الفاء للتوكيد، وإن لزيادة التّوكيد.

﴿سَأَلْتُمْ﴾: من تلك النباتات: البقل، والقثاء، والفوم، والعدس، والبصل.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾: ضربت، أحاطت بهم، لازمتهم الذلة، أو طبعت عليهم.

﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: هي المشقة، الّتي تؤدي إلى الانكسار، والذلة، والذل بمعنى واحد، وتعني كذلك: الهوان، والخضوع. وقيل: ضربت عليهم الذلة زمن موسى، وفي زمن محمّد عليهم السلام.

﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾: قيل: الفقر، والفاقة، أو انكسار في الهيئة، وسمي الفقير مسكيناً؛ لأنّ الفقر أسكنه، وأقعده، وهناك فرق بين الفقير والمسكين، سنراه في سورة الكهف.

والذلة: تبدو على الإنسان من مظهره الخارجي، وأما المسكنة: فشعور داخلي للإنسان يظهر في سلوكه.

وقيل: إن بني إسرائيل؛ كانوا يرتدون الثياب القديمة، الرثة، ويتظاهرون بالمسكنة، والفقر، حتّى تخفف عنهم الجزية.

لنقارن الآية (٦١) من سورة البقرة: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

وآية (١١٢) من سورة آل عمران: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾.

والاختلاف بين الآيتين؛ يرجع إلى:

١ - آية سورة البقرة؛ جاءت في سياق زمن موسى عليه السلام، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾؛ مثل: الهزائم في الحروب دائماً، مع العماليق مثلاً.

وآية سورة آل عمران؛ جاءت في سياق زمن الرسول ﷺ، ضربت عليهم الذلة، بسبب حروب خيبر، وبني قريظة وقينقاع؛ كما جاء في سورة الحشر؛ بينهم وبين المسلمين.

٢ - في آية سورة البقرة؛ الذلة، والمسكنة، ضربت عليهم في آن واحد، في زمن واحد.

بينما في آية سورة آل عمران، ضربت عليهم الذلة في زمن، والمسكنة في زمن آخر؛ أي: في زمنين مختلفين، ارجع إلى آية سورة آل عمران لمزيد من البيان.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: رجعوا مستحقين لغضب الله، بسبب عصيانهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الغضب والذلة والمسكنة، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ

﴿ٱللَّهِ﴾؛ أي: بالقرآن، والإنجيل مثلاً، وبصفة محمّد ﷺ، وآية الرحم، وينكرون نعم الله عليهم. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: ويقتلون: جاء بالفعل المضارع هنا، بدلاً من: قتلوا النبيين بغير الحق؛ ليدل على بشاعة، وعظم هذا الذنب، وهذا يسمى حكاية الحال، وكأنه يحدث الآن، رغم كونه حدث في القديم: وقتل النبيين أو الأنبياء دائماً، هو بغير حق، فلماذا جاء في هذه الآية بغير الحق، فنحن نعلم أنّ القتل العادي، لأي فرد يكون بالحق، أو بغير الحق.

بالحق إذا ارتكب جريمة ما، توجب القصاص؛ كالقاتل يُقتل، وبغير الحق إذا قتل بريئاً.

فالأنبياء أو النّبيون؛ لم يرتكبوا أي جريمة، لكي يقتلوا بحق، أو بغير حق.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾؛ أعاد ذكر ﴿ذَٰلِكَ﴾: للتوكيد، على ما استحقوه من الغضب، والذل، والمسكنة، ﴿بِمَا عَصَوا۟﴾؛ الباء السببية للإلصاق؛ أي: ارتكابهم المعاصي، ومخالفة أوامر الله.

﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾: حدود الله بظلم الغير، وظلم أنفسهم، إضافة إلى كفرهم بآيات الله، وقتلهم النبيين، والأنبياء، بغير حق، وعصيانهم المتكرر المتجدد.

لنقارن الآيات المتشابهة:

في سورة البقرة، الآية (٦١): ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾.

في سورة آل عمران، الآية (٢١): ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

في سورة آل عمران، الآية (١١٢): ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

في سورة النّساء، الآية (١٥٥): ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

يقتلــون؛ جاءت بصيغة المضارع، وهي صورة أبشــع وأســوأ من قتلهم؛ بصيغة الماضي؛ الّتي تدل على القتل مرة واحدة، بينما يقتلون؛ تدل على التجدد والتكرار.

الأنبيــاء؛ أكثر عدداً؛ (جمع كثرة)، من النبيين؛ أقــل عدداً، جمع قلة؛ لأنّ ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾: جمع تكسير، و﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: جمع مذكر سالم.

بغير حق: نكرة، أبشع وأسوأ من القول بغير الحق.

الحق يعني: الذي شرعه الله في القصاص؛ القاتل يُقتل.

ومعنى الآيات: أنهم، إذا وجــدوا القليل من النبيين، قتلوهم، وإذا وجدوا الكثير من الأنبيــاء، قتلوهم، فلم ينجوا منهم، فهم يقتلون النبيين، والأنبياء، بغير حق أصلاً، فليس هناك مبرر، مهما كان يدعو إلى قتل أي نبي بحق، أو بغير حق، أو حتّى إلى إيذاء نبي؛ لأنهم عليهم السلام لم يرتكبوا أي جريمة بالحق، أو بغير الحق.

قتل النبيين بغير حق؛ أبشــع، وأشد عقوبة، من قتل النبيين بغير الحق؛ لأنّ حق؛ نكرة، والحق؛ معرفة، فالسبب أشد وأسوأ.

وقتل الأنبياء بغير حق؛ أبشــع وأشــد عقوبة من قتل النبيين بغير حق؛ لأنّ العدد أكثر.

❖ ❖ ❖

tafseer alquran altharv aliami3 part 01.ind

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

سورة البقرة [الآيات ٦٢ - ٦٩]

[٦٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: من أمة محمّد ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: ولم يقل: وبني إسرائيل، أو اليهود، بل قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: دخلوا في اليهودية، ولم يكونوا من سبط يهوذا، أو بني إسرائيل، أو الذين قالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦] من أتباع موسىٰ عليه السلام.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: أتباع عيسىٰ عليه السلام، وسُمُّوا بالنصارىٰ؛ نسبة لقرية الناصرة، نزل فيها المسيح عليه السلام، أو سُمُّوا نصارىٰ؛ لأنهم نصروا المسيح عليه السلام؛ حين قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٥٢].

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: جمع صابئ، من صبأ؛ أي: خرج من ملَّة إلىٰ ملَّة. قيل: هم قوم خرجوا من ملَّة اليهودية، والنصرانية، وعبدوا الملائكة، ولهم بقايا في العراق، أو هم قوم، كانوا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنهم علىٰ ملَّة ابن شيث بن آدم، وقيل: هم قوم، يعبدون النجوم، والكواكب، أو يتبعون النّبي يحيىٰ عليه السلام.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: آمن بالله: هو الاعتقاد الجازم بوجوده، وأنه الإله الحق، وبوحدانيته سبحانه وتعالىٰ وربوبيته وإلوهيته وأسمائه وصفاته بدون تحريف أو تعطيل أو تمثيل أو تكييف. من أمة محمّد عليه السلام، ولم يشرك بالله ﷻ،

ومن كان على دين موسى عليه السلام، ولم يبدلوا ويحرفوا، ويشركوا بالله ﷻ، ومن كان على دين عيسى عليه السلام، ولم يشرك بالله.

والصابئون زمن استقامتهم.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: وأطاع أوامر الله تعالى، وتجنب ما نهى عنه؛ أي: أقام فرائض الله، وتجنب نواهيه. وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ كما في سورة الفرقان آية (٧٠) نجد مع آيات الإيمان يأتي ذكر عمل صالحاً، وفي سياق آيات الأعمال يأتي ذكر عمل عملاً صالحاً.

﴿فَلَهُمْ﴾: الفاء؛ للتوكيد، لهم: اللام؛ لام الاختصاص.

﴿أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: الأجر، مقابل العمل؛ أي: يسبق الأجر عمل وجهد وبذل، ولا يأتي الأجر في القرآن إلا في سياق الخير، والأجر قد يكون في الدنيا أو في الآخرة، والأجر هو من الله تعالى، أو قد يكون من غيره.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة، وبعض المفسرين؛ قال: هذه الآية تعني: المؤمنين حقاً من كل أمة.

وبعض المفسرين قال: هذه الآية تعني: من انحرف عن دين الله من الّذين آمنوا؛ أي: (المنافقين)، والّذين هادوا، انحرفوا، وبدلوا التّوراة، والنصارى الّذين أشركوا بالله، وقالوا: المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة، والصابئين الّذين عبدوا الكواكب، من آمن من هؤلاء بالله، واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. . .

في هذه الآية من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: نلاحظ أنه نصب ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: وأخّرهم عن النصارى، وعن

كل الملـــل، وقدَّم النصارىٰ وغيرهم علىٰ الصابئيـــن؛ لأنّ النصارىٰ وغيرهم هم أهل كتاب، فالتقديم هنا مبني علىٰ التفضيل بالمنزلة، فالكل أفضل من الصابئين.

أما في سورة المائدة، الآية (٦٩): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾.

نلاحظ أنه رفع الصابئين، وقال: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، وقدَّمهم علىٰ النصارىٰ.

عطـــف بالرفع ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾؛ بدلاً من العطـــف بالنصب، ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ الذي هو القاعدة الّتي كانت يجب اتباعها.

والعطف بالرفع أقل توكيداً كما هو العطف بالنصب، فهو مؤكد.

عطفهم بالرفع؛ لأنهم أشـــد المذكورين ضلالاً، وقدَّمهم علىٰ النصارىٰ؛ لأنّ الآيات جاءت في سياق ذم عقيدة النصارىٰ، القائمة علىٰ التثليث، وأنّ عيسىٰ ابن الله؛ فإذا كانت هذه هي الحال؛ فعقيدة الصابئين أفضل من عقيدة النصارىٰ، القائمة علىٰ الشرك، والتثليث.

وأما في سورة الحج، الآية (١٧): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾.

فـــي هذه الآيـــة؛ نلاحظ أنه نصـــب كلمـــة ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾؛ وقدَّمهم علىٰ النصارىٰ، والنصب هو القاعدة.

فلماذا قدَّمهم؟

التقديـــم هنا بالزمـــن، فـ(الصابئين) أقـــدم من النصارىٰ مـــن حيث زمن وجودهم.

وقيل: إنّ الصابئيـــن لم يكونوا علىٰ عقيدة واحـــدة، أو منزلة واحدة، فإذا

فرضنا أنّ بعضهم كان ضالاً، والبعض الآخر أشد ضلالاً، رغم أنهم من نفس الملّة.

فالصابئين: الضالين.

والصابئون: من هم أشد ضلالاً. والله أعلم.

[٦٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكروا إذ، أو: واذكروا حين، إذ: ظرف للزمن الماضي.

واذكروا حين ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾، والميثاق؛ العهد الموثق، أو المؤكد، على العمل بالتوراة، وتطبيق أحكامها، وامتثال أوامر الله، وتجنب ما نهى عنه، ثم تقاعستم، وأعرضتم عن الأخذ بها، بجد، واهتمام، وتطبيقها ممّا أدّى بنا إلى رفع الطور فوقكم.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾: الطور؛ هو الجبل، ولكنه أقل حجماً، وشدة في التكوين، ارجع إلى الآية (١٧١) في سورة الأعراف للبيان، والمقارنة وهي قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾، ونلاحظ في آية سورة البقرة، أنه استعمل كلمات: الطور، والرفع، وقدّم كلمة ﴿فَوْقَكُمُ﴾، وفي آية سورة الأعراف، أنه استعمل كلمات: الجبل، والنتق، وآخر كلمة ﴿فَوْقَكُمُ﴾، كلمات تشير إلى الشدة، والقوة، والعنف، والسبب في ذلك قد يعود إلى أنّ السياق في سورة البقرة في تعداد النِّعم، والتذكير بها، والمخاطبون أكثر إيماناً من المخاطبين في سورة الأعراف، والسياق في سورة الأعراف، جاء بالتهديد والوعيد؛ لبني إسرائيل؛ بسبب كثرة معاصيهم، ولذلك استعمل الكلمات، الأكثر شدة، وعنفاً لتناسب الموقف.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾: أي: خذوا تكاليف التّوراة، واعملوا بها بجد

واجتهاد، وقوة، ومن دون تخاذل، وإن لم تفعلوا ذلك أسقط عليكم الطور، والباء تفيد الإلصاق.

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: احفظوا، وادرسوا ما فيه من الأحكام، ولا تنسوْها، وتضيِّعوها، واعملوا بها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعلّ: للتعليل، ﴿تَتَّقُونَ﴾: إسقاط الطور فوقكم، والهلاك، أو تتقون سخط الله، وغضبه، وعذاب الآخرة.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، في الذكر، والأحداث.

﴿تَوَلَّيْتُم﴾: تولىٰ: ابتعد، ولم يطع، ولم يستمع؛ أي: لم تطيعوا، وتعملوا بالتوراة.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعد رفع الطور فوقكم، أو من بعد ميثاقكم، للعمل بجد واجتهاد، في طاعة أوامر الله تعالىٰ.

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء؛ للتأكيد، لولا: حرف امتناع لوجود، امتناع خسارتكم؛ لوجود رحمة الله.

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: الفضل؛ هو ما يتفضل به من غير سبب يوجبه، والفضل هو الزّيادة علىٰ ما يستحق، وفضل الله عليكم بالإمهال، وتأخير العذاب عنكم، ولم يعاجلكم بالعقوبة.

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾: بأنْ أرسل إليكم رسله، ومنهم: عيسىٰ عليه السلام، ورسول الله محمّد ﷺ، ورحمته، بأنْ فتح لكم أبواب التوبة.

﴿لَكُنتُم﴾: اللام؛ لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾: في الدّنيا والآخرة. ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (١١٩) للبيان.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتأكيد، قد: لزيادة التّوكيد.

﴿عَلِمْتُمُ الَّذِينَ﴾: علمتم؛ من العلم، من الآباء، والأجداد، نبأ الّذين اعتدوا في السبت، ولقد علمتم، لا تعني: ولقد عرفتم، هناك فرق كبير، بين علم وعرف، علم؛ تستعمل للصفات، وعرف؛ تستعمل للذوات، ولو قال: عرفتم؛ لكان خطأ؛ لأنهم لا يعرفونهم بذواتهم؛ لأنّ بينهم قروناً طويلة.

﴿اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾: تجاوزوا حدود الله، حين حرم عليهم الصيد يوم السبت، فاصطادوا، وتحايلوا علىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

ارجع إلىٰ قصة هؤلاء، في سورة الأعراف، الآيات (١٦٣-١٦٦).

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾: بكلمة؛ كن فيكون؛ أي: بمجرد أنّ قال لهم: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾؛ كانوا؛ أي: تحولوا إلىٰ قردة وتمت عملية المسخ وكم عاشوا وكيف انقرضوا وما حل بهم الله أعلم بذلك.

﴿خَاسِئِينَ﴾: جمع خاسئ، والخاسئ هو المبعد، أو المطرود؛ من رحمة الله تعالىٰ.

﴿خَاسِئِينَ﴾: جملة اسمية، تدل علىٰ ثبوت صفة الخسء.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: الفاء؛ للترتيب، والمباشرة، جعلناها: من الجعل، التصيير، جعل: صير؛ أي: مسخهم إلىٰ قردة.

﴿نَكَٰلًا﴾: من النكال، وهو القيد؛ يستعمل للعقوبة، وجمعه: أنكال، ونكل به تنكيلاً؛ صنع به صنيعاً، يُحذر به غيره.

وتعني: عقاباً شديداً، فالعقوبة؛ أي: المسخ قردة، سميت نكالاً؛ لأنها تحذر الآخرين، من الاعتداء، وتجاوز حدود الله، وإلّا حل بهم كما حل بأصحاب السبت، أو أصبح عبرة للآخرين، أو منعاً لهم للإقدام على فعل ذلك.

﴿لِّمَا﴾: ظرفية.

﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لمن عاصرها، أو من الأجيال القادمة.

﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: أي: ما بعدها من الأجيال القادمة، أو ما خلفها، للأجيال الماضية، الّتي خلت؛ منذ تلك الحادثة. ما: لغير العاقل، وكذلك صفات العاقل.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: موعظة؛ هنا تعني: تحذير، وتخويف، فلا يقوم بها، أو يُقدِم عليها أحد من المتقين. ارجع إلى سورة الشعراء آية (١٣٦) لبيان معنى الوعظ.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: اللام؛ لام الاختصاص. المتقين: الّذين يطيعون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ قال موسى لقومه، أو: حين قال موسى لقومه، وإذ؛ ظرف للزمان الماضي.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ﴾: للتوكيد، والقوم: تعني الرجال دون النّساء، أو كليهما معاً.

﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾: لام الاختصاص، وفيها؛ معنى الحنان، والعطف.

﴿يَأْمُرُكُمْ أَن﴾: أن؛ مصدرية للتعليل، والتوكيد.

﴿تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾: الأمر؛ جاء بذبح بقرة، لماذا؟ لم يُبين السبب هنا، في مطلع القصة، ولكن بيّنه في النهاية؛ كما سنرىٰ.

فكأنه ﷻ، يقول: قم، أو نفذ الأمر الإلهي، سواء عرفت العلة، أو السبب، أو الحكمة، أم لم تعرفه، و﴿بَقَرَةً﴾؛ جاءت بصيغة النكرة، تعني: أي: بقرة، من البقر.

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: أي: قومه قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا﴾، الهمزة؛ همزة استفهام، إنكاري؛ أي: أتهزأ بنا؛ فنحن نسألك، من قتل القتيل، فتأمرنا أنّ نذبح بقرة.

﴿هُزُوًا﴾: من الاستهزاء؛ وهو تحقير المستهزأ به، وتصغير قدره، وفيه؛ معنىٰ العبث.

﴿قَالَ﴾: موسىٰ.

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾: ألتجأ إلىٰ الله، وأعتصم به، ﴿بِاللَّهِ﴾؛ الباء، باء الإلصاق.

﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: أن؛ تفسيرية للتوكيد.

﴿أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: جمع جاهل؛ لأنّ الهزل، في حادثة كهذه، حادثة قتل، يدل علىٰ السفه، وعدم العلم بما يقوم به، وكيف أهزأ بكم، وأنا أبلِّغكم ما أمرت به، من ربي.

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾؛ ولم يقل: من المستهزئين.

﴿الْجَاهِلِينَ﴾: تضم المستهزئين، وغيرهم. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣) لمزيد من البيان في الجاهلين.

[٦٨] ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: ادع: اسأل لنا ربك، ولم يقولوا: ربنا، فهذا يدل علىٰ نقص إيمانهم، وأنّ موسىٰ عليه السلام ـ طبعاً ـ أقرب إلىٰ الرب، وأنهم ليسوا أهل دعاء.

﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: يوضح لنا، ما أوصاف هذه البقرة، وكان يكفي أن يذبحوا أي بقرة، وينتهي الأمر.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾: إنَّه للتوكيد.

﴿لَّا فَارِضٌ﴾: لا مسنة؛ أي: كبيرة في السن، وفرضت سنها؛ أي: قطعت سنها.

﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: الصغيرة؛ الّتي لم تلد، أو الفتية.

﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: العوان؛ الوسط؛ أي: لا مسنة، ولا فتية.

﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾: أي: يكفي أسئلة، ونفذوا الأمر؛ بالذبح.

[٦٩] ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾:

واستمروا في أسئلتهم لموسى عليه السلام، عن أوصاف تلك البقرة، فهم يسألون عن اللون، بعد أن سألوا عن سنها.

﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: أي: بقرة لونها شديد الصفرة، يعني: لا يكفي أن يكون لونها أصفر، بل لا بدَّ أن يكون لونها فاقعاً، ولون الصفرة؛ نادر في البقر، والفقوع؛ يعني شديد الصفرة، وأنصعه؛ من أنصع؛ لأنّ اللون الأصفر، له درجات في الصفار.

﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾: أي: كل من ينظر إليها، يُسر بحسنها أو تعجبه.

❖ ❖ ❖

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

الحزب ٢

سورة البقرة [الآيات ٧٠ - ٧٦]

[٧٠] ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾:

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: ما هذه البقرة؟ ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾: أي: اختلط، والتبس علينا، لكثرته؛ أي: جنس البقر.

التشابه: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾: التشابه: يكون في وجه من الوجوه مثل الصورة الخارجية، أو الشكل أو النوع، وأما لو قال: مشتبهاً فذلك يعني: في أكثر من وجه من الوجوه، أو يعني عدة أمور أشكال، ويصعب معه التفريق بين الأشياء المتشابهة.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾. ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (٩٩).

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: يدل هذا علىٰ أنهم قد بدؤوا يشعرون بالخوف، من عدم العثور علىٰ مثل هذه البقرة، وهم الآن يدعون الله ويطلبون منه الهداية. اللام في ﴿لَمُهْتَدُونَ﴾: لام الاختصاص والتوكيد.

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾:

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: أي: لم تستخدم في حراثة الأرض، أو فلاحتها.

﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾: أي: لم تستخدم في إدارة السواقي؛ لسقي الزّرع، إدارة

النواعير؛ لإخراج الماء، والحرث هو الأرض المهيأة للزراعة، أو الزّرع؛ إلقاء البذور في الأرض المقلوبة.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: أي: خالية من العيوب، والأمراض، مثلاً: لا عرجاء.

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾: وهي في الأصل مصدر وشى وشياً؛ أي: إذا خلط لون بلون آخر، يخالف لون سائر جلدها؛ أي: يخالف لونها الأصفر الفاقع، فهي صفراء كلها، لا توجد فيها، بقع ألوان أخرى، وقيل: لا شية فيها؛ أي: لامعة من لون آخر، بياض، أو سواد، وغيرهما.

﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: الآن جئت بالبيان، والوصف التام، والذي لا إشكال فيه، وأوضحت لنا الحقيقة.

والباء: للإلصاق، والحق؛ هو الأمر الثابت الذي لا يتغير.

﴿فَذَبَحُوهَا﴾: قيل: لم يجد بنو إسرائيل إلّا بقرة واحدة؛ تنطبق عليها كل المواصفات، فاشتروها، فذبحوها، ونفذوا أمر الله.

الفاء؛ تدل على الترتيب، والمباشرة.

﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾: وما كادوا يجدونها، أو ما كادوا يشترونها، لثمنها الباهظ، أو ما كادوا يذبحونها؛ لكونهم كانوا يخافون انكشاف فضيحة من هو القاتل.

كاد: من أفعال المقاربة؛ أي: ذبحوها، قيل: كانت هذه البقرة لرجل صالح من بني إسرائيل، ومات، وترك زوجة، وابناً، وبقرة فتية أصبحت بقرة بتلك الأوصاف، وكان الابن باراً بوالدته، ولما أمرهم الله بذبح بقرة، بتلك الأوصاف، وجدوا تلك البقرة فقط، عند هذا الابن، الذي ورثها عن أبيه، وباعها بملء جلدها ذهباً.

[٧٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:

الملاحظ تقديم الأمر بذبح البقرة، وتأخير ذكر السبب لذبحها في هذه الآية وذلك لإثارة التشويق لمعرفة السبب.

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ، أو: اذكر حين، إذ: ظرف للزمن الماضي.

﴿قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾: القاتل؛ كان فرداً، وليس جماعة، فلماذا جاء بصيغة الجمع؛ لأنّ القبيلة، أو العائلة، أو الجماعة مسؤولة عن أفرادها.

﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾: أصلها؛ تدارأتم، والدرء هو الدفع بسرعة، ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾؛ تدافعتم بسرعة؛ أي: كل واحد يدفع عن نفسه التهمة، ويلصقها بالآخر، أو يلقي كل منكم تهمة القتل على الآخر.

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: أي: مظهر ما كنتم تكتمون بينكم، من أمر القاتل، ستراً عليه، ودفعاً للفضيحة. ارجع إلى الآية (٣٣) لبيان معنى تكتمون.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية، ولم يقل تخفون؛ لأنّ الإخفاء يكون للشيء الحسي المادي، والكتمان يكون للشيء المعنوي، مثل: كتمان الخبر، أو السر، أو كتمان المعاني.

[٧٣] ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿فَقُلْنَا﴾: للتعظيم.

﴿اضْرِبُوهُ﴾: أي: اضربوا القتيل (الميت) ببعضها؛ أي: بعض أجزاء البقرة، ولم يحدد الجزء، فيحيا القتيل، ويخبركم من قتله.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: كما يُحيي الله القتيل الميت، كذلك يُحيي الله الموتىٰ بالبعث.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: معجزاته؛ الدالة علىٰ كمال قدرته، كيف تضربون ميتاً بأجزاء ميت آخر، فيحيا، ويكلمكم مَن قتله، فهذا من عجائب قدرة الله ﷻ، وتصلون إلىٰ الحقيقة، وهي أنّ الله سبحانه قادر علىٰ البعث والإحياء.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تعقلون: من عقل الشيء أي: عرفه بدليله. لعل: للتعليل.

كيف اتخذتم العجل إلهاً، وها أنا آمركم بأن تذبحوا بقرة، وآمركم أن تضربوا المقتول ببعض أجزائها، فيرجع حياً، وهل هناك أعظم من هذه الآيات، الّتي تهديكم للحق، والإيمان بالبعث والحساب.

وما هو الفرق بين آياته، ويبين لكم الآيات، وآياتي:

الآيات؛ تعني الآيات العامة؛ الشمس، والقمر، والليل، والنهار.

آياته: إضافة هنا الضمير العائد إليه سبحانه تشريف لها، فهي آيات خاصة.

آياتي: أعلىٰ الآيات درجة، وأقربها، أو أحبها إلىٰ الله تعالىٰ، وهي أهم، وأشرف، وأكبر من آياته، وآياته أهم، وأكبر من الآيات.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي الزمني.

﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾: بعد أن أراكم آياته، وكيف يُحيي الموتىٰ.

واختار القلب؛ لأنه منبع اليقين، ومصب الإيمان؛ لأنّ الإيمان محله القلب.

﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾: خلت من الطاعة، والخشوع، والإنابة، ولم تعد تتأثر بالآيات، والنذر، والوعد، والوعيد.

ومن أهم الأسباب الداعية، أو المسببة لقسوة القلب، نسيان ذكر الله، واقتراف المعاصي، والظلم، والطغيان، ونقص المواثيق.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعد كل تلك الآيات، والأدلة على قدرة الله على الإحياء، والبعث، وإنزال التّوراة عليكم.

﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ﴾: الكاف؛ كاف التشبيه، والحجارة: هي الشيء القاسي، الذي تدركه حواسنا والمألوف لدينا، ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾: من الحجارة، ولم يشبهها بالحديد؛ لأنّ الحديد يلين بالنار.

وقوله: ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾: أو تعني: بل هي أشد قسوة من الحجارة.

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية، بعضية. ﴿ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: كما حدث، حين ضرب موسى عليه السلام بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً.

﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُ﴾: والتشقق؛ يعني: تدفق الماء تدريجياً.

﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾: كما حدث؛ حين تجلى الرب للجبل، فجعله دكاً، وخر موسى صعقاً، وتكرار ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا﴾؛ يفيد التّوكيد.

﴿يَهۡبِطُ﴾: يخر؛ ويسقط من أعلى إلى أسفل؛ من خشية الله. وتعريف

الخشـــية: هي خوف حقيقي مقرون بالعلم والتعظيم والمهابة من الخالق. وليس فقط الخوف كما يظن البعض.

فالحجارة؛ وغيرها من الجمادات، والنباتات؛ تســبح بحمد ربِّها؛ كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسـراء:٤٤]، وتنقاد لأمر ربها.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ومـــا؛ النّافية، ﴿بِغَٰفِلٍ﴾: البـــاء؛ للإلصاق، غافل: لا يعلم. والغافل: هو الســـاهي عن الأمر؛ لعدم اليقظة، أو الانتباه، أو عدم التفطن للشـــيء، أو عدم حضور الشـــيء في البال، وأما النســـيان فهو عبارة عن الغفلة عن الشيء، وانمحاء صورته كاملاً في الذاكرة. ومنهم من قال: الغفلة هي ترك الشيء ســـهواً، وربما كان عن عمد، وغفل فلان عن الشيء تركه ساهياً، أو أغفلته إذا تركته على ذكر منك له؛ أي: تركه للشـــيء باختيار الغافل وأما النسيان فقيل ترك بغير اختيار الإنســـان، والغفلة أعم من النسيان فكل نسيان غفلة وليس كل غفلة نسيان.

والغفلة كما عرفها الراغب الأصبهاني: هي ســـهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ، والغفلة وردت في القرآن بمعنى الجهل كقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يـــس:٦]، وردت بمعنى النســـيان والترك لأمر الله تعالى كقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف:٢٨].

والغافلون: هم المعطلون أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم عن التدبر والتأمل بآيات الله.

والغفلة أنواع: الغفلة عن الله تعالى، وهي أعظمها إثماً، والغفلة عن ســـنن الله في الكون، والغفلة عن الآخرة والحساب والجزاء والعقاب.

﴿عَمَّا﴾: عن تفيد المجاوزة، والابتعاد، ما: اسم موصول، بمعنىٰ: الذي، أو مصدرية بمعنىٰ: عملتم.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأقوال، والأفعال، ولم يقل عما يعملون؛ لأن تعملون فيها تحذير وترهيب أقوىٰ مما يعملون.

[٧٥] ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾: الهمزة؛ همزة استفهام إنكاري، واستبعاد، والخطاب، لرسول الله ﷺ، والمؤمنين، والفاء للتوكيد، والطمع؛ هو رغبة النفس الشديدة في شيء غير حقها لهذا ذم الطمع، ولها الحق أن تطمع في حقها.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾؛ وتعني: أن يصدقوكم، ويؤمنوا لكم؛ أي: اليهود، ويؤمنوا بمحمد ﷺ، وما جاء به.

﴿أَن﴾: حرف مصدري، يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: ولم يقل: يؤمنوا بكم، بل ﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾؛ أي: يصدقونكم، والإيمان الذي يتعدىٰ بالباء؛ مثل آمنوا بالله؛ يعني: إيمان العقيدة.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: من اليهود؛ وفريق: اسم جمع، بمعنىٰ: طائفة، أو جماعة، وليس كل اليهود يسمعون كلام الله؛ أي: التّوراة.

﴿يَسْمَعُونَ﴾: فعل مضارع، يدل علىٰ التجدد، والتكرار، ولحكاية الحال.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: ثم: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾: فعل مضارع؛ يدل علىٰ التجدد والتكرار، وعلىٰ التحريف، وإن تحريفهم مستمر.

والتحريف: يعني: زيادة في الألفاظ، أو النقص، أو تبديل كلمة بكلمة، أو آية، أو تغير معنىٰ الكلمة، كانوا يقولون: السأم عليكم، بدلاً من السلام عليكم، فهم قد بدلوا صفة النّبي ﷺ، وآية الرجم.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾؛ أي: سمعوه، وفهموا معناه.

﴿وَهُمۡ﴾: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد.

﴿يَعۡلَمُونَ﴾: أنّ الذي فعلوه تحريف، مخالف لأمر الله ﷻ، ويعلمون أنهم كاذبون مفترون.

[٧٦] ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية للمستقبل، شرطية؛ تفيد حتمية الحدوث، وتفيد الكثرة.

﴿لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾:

﴿لَقُواْ﴾: الضمير؛ يعود علىٰ نفر من اليهود، أو منافقي اليهود، إذا لقوا الّذين آمنوا من المسلمين، قالوا: آمنا؛ فهم من الّذين قالوا: آمنا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم.

﴿وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾: إذا خلا بعضهم إلىٰ بعض: أي: انفرد، أو رجع إليه، أو مضىٰ إليه، وتعني: خلا الّذين لم ينافقوا بالمنافقين.

﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم﴾: الهمزة للاستفهام، والتوبيخ: أتخبروهم.

﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾: الفتح؛ يعني: الحكم والقضاء. ويعني: الكشف، ويعني التوفيق والتيسير.

أي: أتخبروهم بما حكم الله عليكم، أو قضىٰ الله لكم، أو علمكم الله في التّــوراة أنّ محمداً حق. . . وأنه يجب الإيمان بــه ونصرته، أو تخبروا المؤمنين من المسلمين بما بيَّن الله لكم في التّوراة وفتح عليكم؛ (أي: أعلمكم)، أو أنزل عليكم في التّوراة في صفة محمّد.

﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد.

والمحاجة: تعني: إظهار الحجة أو الدليل.

أي: لا تخبروهم بأســراركم، وبما أخبر الله في التّــوراة في صفة محمّد فتكون عليكم حُجة يوم القيامة عند ربكم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٤) لمزيد من البيان.

أفلا تفهمــون، وتتفكرون، وتتدبرون: أنّ حديثكم مع المؤمنين ســيكون عليكم حُجةً ودماراً.

❖❖❖

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

سورة البقرة [الآيات ٧٧ - ٨٣]

[٧٧] ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾: الهمزة: استفهام؛ للتقرير، والتوبيخ.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾: ما؛ اسم موصول، بمعنى: الذي، ﴿يُسِرُّونَ﴾: من السر، وهو ما تسره في نفسك، ولا يطلع عليه أحد، ولا تخبر به أحداً.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: ما: تفيد التّوكيد، وفصل كلاً من الإسرار، والإعلان، أو كليهما معاً.

﴿يُعْلِنُونَ﴾: من العلن، وهو ما تجهر به لغيرك، فإذا علمه اثنان أو أكثر؛ فهو العلن.

[٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ﴾: تعود على قسم من اليهود، غير قادرين على قراءة التّوراة، والاطّلاع على ما فيها.

﴿أُمِّيُّونَ﴾: جمع أمي، والأمي هو الذي لا يعرف الكتابة، وبعض المفسرين يُعرّف الأمي: بالذي لا يقرأ، ولا يكتب، وكلمة أُمّي مشتقة من كلمة الأم، والأُمّي سمّي بذلك؛ لأنه يبقى على حالته، كما ولدته أمه، لا يكتسب شيئاً من العلم، ولا يتغيَّر.

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: لا النّافية.

﴿يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التّوراة؛ أي: ما فيها، من أحكام، وشرائع، أو لا يفهمون ما يقرؤون.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر. ﴿أَمَانِيَّ﴾: أكاذيب مختلفة، سمعوها من أحبارهم؛ أي: هم لا يعرفون إلّا ما قاله لهم أحبارهم، وهي أماني، مستحيلة الحدوث؛ أي: أماني يتمنى الإنسان أن تحدث له، ولكن حدوثها مستحيل؛ أي: أماني كاذبة، ولو كانوا يعلمون التّوراة حقيقةً لعلموا صفات النّبي محمّد ﷺ؛ ولآمنوا به.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: إن النّافية.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: للحصر. ﴿يَظُنُّونَ﴾: لا يعرفون شيئاً عن التّوراة إلّا ظناً، فهم يظنون أنهم أبناء الله وأحباؤه، ويظنون لن تمسهم النار إلّا أياماً معدودات، وأنهم سيغفر لهم، ويرحمهم الله تعالى.

والظن: هو الشك؛ الذي ترجَّح فيه كفة الإثبات، على كفة النفي.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾:

نزلت هذه الآية؛ كما قال ابن عبّاس ﷺ: في الّذين حرفوا التّوراة، وغيَّروا صفة النّبيِّ ﷺ؛ فالله ﷻ يتوعدهم بالويل.

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء للتأكيد. والويل: هو العذاب، والهلاك، وقد تستعمل كلمة الويل؛ للحسرة، والغفلة، والفضيحة.

﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: يحرفونه؛ بالتغيير، والتبديل، والإضافة والحذف، وتغيير المعنى، فيكتبونه من جديد.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾: الباء: جاءت للتوكيد؛ لأنّ من المعلوم أنّ الكتابة؛ تتم باليد.

﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: ﴿ثُمَّ﴾: لتباين الصفات، بين كونه من عند الله، أو مكتوباً بأيديهم، أو أنّ ما يقولونه؛ هو من عند الله؛ أعظم، وأشد، من الكتابة بأيديهم.

﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: اللام في ليشتروا؛ للتوكيد.

أي: هم يحرفونه؛ ليأخذوا ثمناً، على تحريفهم، ومهما أخذوا مالاً؛ كثمن لتحريفهم، ومهما بلغ هذا الثمن العظيم، فهو قليل مقابل ما خسروا في آخرتهم من الجنة والنعيم.

ارجع إلى الآية (٧٧) من سورة آل عمران للبيان.

﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: تكرار كلمة الويل، ثلاث مرات للتوبيخ، والتقريع، على جريمة التحريف.

﴿لَّهُم﴾: اللام؛ لام الاختصاص؛ لهم خاصة.

﴿مِّمَّا﴾: مركبة من + ما، من البعضية، وما اسم موصول، بمعنى الذي.

وتكرار كلمة الكتابة؛ تدل على التّوكيد، وعلى وقوع الكتابة، والتحريف، بأيديهم.

﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾: من مال ورشوة، وسحت، وحرام، ولم يقل: وويل لهم مما يكتسبون؛ لأنّ الكسب يستعمل في الأمر الحلال، واكتسب على وزن افتعل. في الأمر الحرام، فلماذا استعمل يكسبون بدلاً من يكتسبون؟ لأنّ كسبهم للمال الحرام أصبح أمراً عادياً لا حرج فيه، واعتادوا عليه، فأصبح أخذه سهلاً، كما يأخذوا المال الحلال.

فبدلاً من كلمة يكتسبون استعمل يكسبون.

ارجع إلىٰ الآية (٢٨٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٨٠] ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: الواو عاطفة، قالوا؛ أي: اليهود.

﴿لَن﴾: حرف نفي، تنفي المستقبل القريب، والبعيد.

أي: لن تمسنا النار في القريب، أو البعيد، ﴿تَمَسَّنَا﴾: مشتقة من المس؛ وهو: اللمس الخفيف.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: معدودة؛ بصيغة التذكير، ولم يقل: أياماً معدودات، بصيغة التأنيث، والعدد أحد عشر؛ يعتبر الميزان، فما زاد علىٰ إحدىٰ عشر (١١)، يعتبر كثرة، وما نقص عن أحد عشر، يعتبر قلة.

﴿مَّعْدُودَةً﴾: بصيغة التذكير؛ للدلالة علىٰ الكثرة، وهي كما زعموا (٤٠) يوماً تعادل مدة عبادتهم العجل.

أما ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: كما سيرد في سورة آل عمران، الآية (٢٤)، للدلالة علىٰ القلة؛ وتعني: (٧ أيام) لاعتقادهم أن عمر الدنيا (٧ آلاف سنة)، وأنهم سوف يعذبون مقابل كل (١٠٠ سنة) يوماً واحداً.

و﴿مَّعْدُودَةً﴾: هنا تعادل (٤٠) يوماً؛ قال ذلك ابن عبّاس؛ أي: مدَّة اتخاذهم العجل، وهذا كل مبني علىٰ أوهام، ولذلك قال ﷻ لرسوله محمّد ﷺ.

﴿قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ.

﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري.

﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾؛ أي: أعَهِدَ (العهد وعد موثق. ارجع إلىٰ الآية (٢٧) من سورة البقرة)، اللهُ إليكم في التّوراة، أو علىٰ لسان أحد، أو أوحىٰ إليكم أنه لن يعذبكم، إلّا كما زعمتم.

فإذا عهد إليكم ذلك، ﴿فَلَن﴾: الفاء (الفاء للتوكيد)، ولن لنفي المستقبل القريب، والبعيد، يخلف الله عهده، للإضراب الانتقالي، وتعني: حقاً، أو بل، والهمزة في أم: للاستفهام الإنكاري.

﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أم: أتفترون علىٰ الله الكذب.

[٨١] ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: رداً علىٰ قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾؛ ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب؛ لنفي ما قبله، وما قبله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾؛ أي: بلىٰ تمسسكم النار، وليس صحيحاً ما تقولونه، أو أنكم اتخذتم عند الله عهداً.

﴿مَن﴾: شرطية.

﴿كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: السيئة: الفعلة القبيحة بين الإنسان وبين العباد، وقال ابن عبّاس ﷺ: السيئة هنا تعني: الشرك، أو كبيرة من الكبائر.

قال: ﴿كَسَبَ﴾؛ ولم يقل: اكتسب؛ لأنّ الشرك أصبح أمراً سهلاً، وحرفته يمارسها بلا جهد، أو حرج، ارجع إلىٰ الآية (٢٨٦) من سورة البقرة للبيان والفرق بين كسب واكتسب.

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: الخطيئة: قيل: هي صغائر الذنوب، وقد تكون من غير تعمد، وأما الخطء: فهو الذنب العظيم، والخطيئة من الخطأ مثل: نسيان حكم من أحكام الصلاة، أو الصيام بدون تعمد، وهي ما كان بين الإنسان وربه.

والإحاطة؛ تعني: من كل الجهات، استولت عليه من كل جانب، ومات مشركاً.

أو تحيط سيئاته بحسناته، فتحبطها، أو أنّ المحيط أكثر من المحاط، أو معنىٰ أحاطت به: أهلكته.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء جواب الشرط.

أولئك: اسم إشارة؛ للبعد.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: فهم قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾، والله سبحانه يرد عليهم بأنّ النار سوف تمسهم، ليس أياماً معدودة فقط ـ كما زعموا ـ بل سيصبحون هم أصحاب النار، وهم فيها خالدون.

﴿أَصۡحَٰبُ﴾: أي: كأنهم أصحاب النار، المالكون لها؛ كما نقول: صاحب الدار، أو الملازمون لها.

﴿هُمۡ﴾: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد.

﴿فِيهَا﴾: في النار.

﴿خَٰلِدُونَ﴾: من الخلد، وهو البقاء الدائم، الذي لا انقطاع فيه، ويبدأ من زمن دخولهم إياها؛ أي: بعد بعثهم يوم القيامة، وحسابهم.

[٨٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله تعالىٰ أصحاب النار، يذكر ما يقابل ذلك، وهم الّذين آمنوا.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول، يفيد المدح.

﴿ءَامَنُوا۟﴾: بالله؛ وما أنزل إليهم من ربهم.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفرائض، والنوافل، وما أمرهم الله، ورسوله ﷺ، أو حثهم عليه؛ أي: قرنوا العمل الصالح بالإيمان.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد، ويفيد المدح، والعلو، والشرف.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾: الملازمون للجنة، لا يفارقونها، وكأنهم مالكون لها، كما يملك صاحب الدار داره.

﴿هُمْ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: فيها في الجنة خالدون، من الخلود، وهو البقاء المستمر، لا انقطاع فيه، ويبدأ من زمن دخولهم إياها؛ أي: له بداية، وليس لها نهاية.

[٨٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: الواو.

أي: واذكروا ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أو اذكروا حين أخذنا.

الميثـاق: هو العهد الموثق، المؤكد بأدلة، أو شـهود، أو بأيمان أو قسـم مأخوذ عليهم في التّوراة.

﴿مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: بنو إسرائيل هم الأجداد والآباء، أخذنا الميثاق من الأجداد، والآباء الأولين؛ أي: السلف.

وهـذا الميثاق الذي أخذه على بني إسـرائيل، جاء على ألسـنة أنبيائهم، ورسلهم، يتضمن ثمانية تكاليف.

١ - ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: لا: الناهية.

﴿تَعۡبُدُونَ﴾: من العبادة، وهي طاعة المعبود فيما أمر، ونهى عنه، ولا تكون إلَّا للخالق، ولها أجر. وله منهج.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر إلَّا الله وحده، وهذا قمة الإيمان؛ أي: لا تشركوا به شيئاً.

٢ - ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾: ارجع إلى سورة النّساء، آية (٣٦)، وسورة الإسراء آية (٢٣)، وسورة الأحقاف لمزيد من البيان، والباء: للإلصاق.

٣ - ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: والإحسـان إلى ذي القربى؛ أي: أن تصلوا أرحامكم، وباقي القرابات، ولو قال: بذي القربى كما في سورة النساء آية (٣٦)، لكان ذلك؛ يعني: أولادكم، وأبناء أولادكـم، وأبناء بناتكم؛ أي: أقرب الأقرباء، وتعني: التوكيد.

٤ - ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: والإحسان إلى اليتامى، واليتيم هو الذي فقد والده وهو طفل قبل سن البلوغ.

٥ - ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾: والإحسـان إلى المساكين، وتعريف المسكين: الذي لا يملك ما يكفيه لحاجاته.

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: ﴿حُسْنًا﴾: من الحسن، و﴿حُسْنًا﴾: مصدر حسن، وهو ما حسنه الشرع؛ أي: كلاماً طيباً، ليناً. ﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، النّاس. ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٣) من سورة البقرة.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: ثم: تشير إلىٰ الترتيب، والتراخي في الزمن، حيث هناك زمن طويل، بين الآباء؛ الّذين أخذنا منهم الميثاق، وبين الأبناء.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي: الكل تولىٰ، أو توليتم، كما تولىٰ آباؤكم، ولم يذكر الآباء؛ لأنّ ذكرهم متضمن في قوله: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾، والتولي يعني عن الوفاء بالميثاق، ولم تعملوا به، بقصد ونية.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾: إلّا أداة استثناء؛ أمثال: عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾: معرضون عن الوفاء بالميثاق، والالتزام بما وصّاكم الله به، كما أعرض آباؤكم وأنتم معرضون، تدل علىٰ أنهم متعمّدون الإعراض عن العمل بالميثاق، كما فعل آباؤهم.

❖❖❖

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

سورة البقرة [الآيات ٨٤ - ٨٨]

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾:

الخطاب لا يزال موجَّهاً إلى بني إسرائيل.

﴿وَإِذْ﴾: للزمن الماضي؛ بمعنى: واذكر إذ أخذنا ميثاقكم، وفي الآية السابقة، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

أي: الميثاق؛ يتضمن جزأين: الجزء الأول؛ الذي ذكر في الآية السابقة: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

والجزء الثّاني؛ المذكور في هذه الآية: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: أو هو ميثاق آخر أخذه الله عليهم.

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: لا: الناهية. ﴿تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: السفك: هو الصب؛ أي: سيل الدماء، أو إهراق الدماء، والقتل الجماعي؛ أي: لا يسفك كل واحد دم أخيه، ولا يسفك بعضكم دم بعض، والخطاب هنا للجماعة، وليس للفرد، وذلك؛ لأنّ الحكم هو عائد للجماعة الإيمانية؛ الّتي تمثل الفرد، والفرد يمثل الجماعة؛ لأنّ المؤمنين كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

فحين يقتلون إخوانهم كأنهم يقتلون أنفسهم، وهذا معنى ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾: أي: لا تخرجون إخوانكم من ديارهم، بالجلاء، والحرب، فإذا فعلتم ذلك كأنكم أخرجتم أنفسكم من دياركم.

﴿ثُمَّ﴾: للتعقيب، والتراخي الزمني؛ أي: أقررتم بالميثاق، الذي أقرَّه آباؤكم وأجدادكم.

﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: وأنتم اليوم، تشهدون على ذلك الميثاق، بعدم القتل، وبعدم الإخراج.

فالإقرار على الميثاق، كان من السلف، ثم تم الإقرار، والشهادة، من الخلَف، على الميثاق نفسه.

[٨٥] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي الزمني.

فالخطاب موجَّه إلى اليهود في المدينة، الّذين عاصروا رسول الله ﷺ.

﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد.

﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة، يفيد معنى التعجب، من حالهم، والإنكار عليهم.

﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: إذا قتل غيره، ومن دون حق، فكأنما قتل نفسه (بالحروب).

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ﴾: بالجلاء والطرد، ومظاهرة الآخرين، والمظاهرة؛ هي المعاونة، والتظاهر هو التعاون، وأصله؛ الظهر؛ أي: أن يجعل كل واحد من القوم، أو الرجلين الآخر ظهراً له، يتقوىٰ به، ويستند إليه، أو يساعده علىٰ الحمل، أو يحمل عنه.

﴿تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الإثم: في اللغة: التقصير، وأَثِمَ: أي: قصَّر، والإثم المعصية؛ كشهادة الزور، وشرب الخمر.

والإثم: الذنب القبيح الذي يستحق فاعله العقاب، ويشمل الصغائر والكبائر.

والعدوان: هو الظلم، والاعتداء علىٰ الآخرين.

فقد كان بنو قريظة، وهم من اليهود، حلفاء للأوس.

وكان بنو قينقاع وبنو النظير وهم من اليهود أيضاً حلفاء للخزرج.

وكل قبيلة أو طائفة تقاتل مع حليفها، فكان اليهودي من هذ القبيلة يقاتل مع حليفه، ضد اليهودي من القبيلة الأخرىٰ، فيقتله أو يخرجه من بيته، وربما وقع أسيراً في يد الفريق الآخر، وإذا أُسر أحدهم، حاولوا دفع الفدية؛ ليفكوه من الأسر، طاعة لله تعالىٰ، فوبخهم الله سبحانه، فقال ﷻ: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾؛ وإن: للتوكيد.

﴿وَإِن﴾: للتوكيد ﴿يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ﴾: جمع أسير، أو مأسور، وهو من يؤخذ بالغلبة، فيُشد بالإسار، وهو القيد، وأصل الأسر: الشد بالقيد، وأسير؛ تجمع علىٰ أسرىٰ، وأسرىٰ تجمع علىٰ أسارىٰ (جمع الجمع).

﴿أُسَـٰرَىٰ﴾: جمع أسير. والذين هم في وثاق، أو الذين ليسوا في أيدي الأعداء.

وأُسارىٰ: جمع أسرىٰ، إذن أُسارىٰ: جمع الجمع، كقوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾. والأسرىٰ: الذين هم في يد الأعداء.

﴿تُفَٰدُوهُمۡ﴾: المفاداة: إعطاء شيء، وأخذ شيء مكانه؛ أي: تنقذوهم من الأسر بالفداء، بالمال، أو إبدال الأسرىٰ.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد.

﴿مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡ﴾: بالأصل؛ أي: محرم عليكم إخراجهم، أو إجلاؤهم من بيوتهم، ومحاربتهم؛ لكي لا يقعوا أسرىٰ في يد عدوهم.

﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾:

﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ﴾: الهمزة؛ همزة استفهام إنكاري؛ للتوبيخ، وفيه فضيحة لهم.

﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: وهو فكاك الأسرىٰ.

﴿وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾: وهو القتل والإخراج، وقال مجاهد: تفديه من يد غيرك، وتقتله أنت بيدك؟!

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.

﴿فَمَا﴾: الفاء للترتيب، والمباشرة. ما: استفهامية.

﴿مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ﴾: من شرطية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد، تعود علىٰ القتل والإخراج.

﴿مِنكُمۡ﴾: خاصة؛ لأنكم أعطيتم العهد علىٰ الطاعة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿خِزْيٌ﴾: نكرة؛ للتهويل، والتعظيم، وتشمل: الذل، والفضيحة.

﴿خِزْيٌ﴾: ذل مع فضيحة، يقال: الرجل يخزي خزياً؛ إذا وقع في بلية؛ فذلّ، وأخــزاه الله؛ أي: فضحه. وقيل: الخزي هو الشــيء القبيح، الذي تكره أن يراك عليه النّاس.

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أصابهم على يد رسول الله ﷺ، والمؤمنين، فخزي بني قريظة، كان بالقتل والسبي.

وخزي بني النظير وقينقاع كان بالجلاء، والنفي، من منازلهم، وديارهم.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾: الواو: استئنافية. وسمي يوم القيامة؛ لقيام أمور ثلاثة: فيه:

١ - قيام النّاس من قبورهم لرب العالمين؛ كما قال تعالى: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٥-٦].

٢ - قيام الأشهاد؛ الّذين يشهدون للرسل، وعلى الأمم.

٣ - قيام العدل.

﴿يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾: أي: عذاب النار، وجهنم، ويعني: العذاب الأليم الدائم.

أي: مــا أصابهم في الدّنيا من خزي، لم يكن لهم كحدٍّ؛ أي: لم يكن نتيجة إقامة حدود الله عليهم، ولو كان حدّاً؛ لما ردُّوا يوم القيامة أشد العذاب.

﴿يُرَدُّونَ﴾: من الرد، هو الرجوع بكراهة؛ أي: وأنت مكره مجبر.

وأصل الردّ: الذهاب من مكان، وعــدم النية في العودة إليه، ثم تجبر على

العودة إلى المكان نفسه، فهذا يسمى ردّاً، وليس رجوعاً. الرجوع يكون بنية؛ أي: قصد، وإرادة، وإلى نفس المكان الذي خرج منه.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة. ما: النّافية؛ أشد نفياً من ليس.

﴿بِغَٰفِلٍ﴾: البـاء للإلصاق، والتوكيد. غافل: غيـر منتبه، أو مطلع على ما تعملون. ارجع إلى الآية (٧٤) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿عَمَّا﴾: عن + ما. عن: تفيد المجاوزة والمباعدة، وما: اسـم موصول؛ بمعنى الذي، أو مصدرية؛ أي: ما عملتم.

﴿تَعۡمَلُونَ﴾: تعني: الأفعال والأقوال، فالعمل يشمل (القول والفعل).

[٨٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول، يفيد الذم.

﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾: استبدلوا؛ أي: اشتروا الحياة الدّنيا، وباعوا آخرتهم؛ أي: دفعوا ثمن الحياة الدّنيا الّتي اشتروها بالآخرة.

﴿فَلَا﴾: الفاء السببية، أو الرابطة. لا: النّافية، تنفي كل الزمنة.

﴿يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: لا مقداراً، ولا زمناً، ولا كمّاً، ولا نوعاً.

﴿وَلَا هُمۡ﴾: الواو عاطفة.

تكرر لا؛ يفيد التّوكيد والنفي، ويفيد فصل، واستقلال تخفيف العذاب عن نصرتهم.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿يُنصَرُونَ﴾: بيوم القيامة، لا يجدون من يدفع العذاب عنهم، ولا يجدون من ينصرهم بالشفاعة، أو دفع الفدية عنهم، أو تحمل العذاب عنهم، أو ردّه عنهم، أو تخفيفه.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: ثبت وتحقق.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾: الإيتاء: هو العطاء الذي لا يعني التملك؛ أي: يمكن نزع الشيء المعطى؛ كقوله: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾.

والإيتاء أوسع من العطاء، ويشمل: الأمور المادية والمعنوية.

أما العطاء؛ ففيه تملك، وليس فيه نزع، كقوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ ارجع إلى الآية (٢٥١) لمزيد من البيان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: التّوراة آتاه إياها جملة واحدة.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: أعطيناه التّوراة، وقد ننزع التّوراة منه.

﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾: ولكي نفهم معنى ﴿وَقَفَّيْنَا﴾؛ لا بدَّ من معرفة معنى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾: أي: أتبعنا بعضهم بعضاً، مشتقة من قفا، وتقول: قفوت فلاناً؛ أي: سرت خلفه، والقفا؛ قد تعني مؤخر العنق؛ أي: وقفينا من بعده؛ (بعد موسىٰ) بالرسل، أتبعنا بعضهم بعضاً؛ أي: أرسلنا من بعد موسىٰ يوشع، وأشمويل، وشمعون، وداود، وسليمان، وشعيباً، وإلياس، واليسع، ويونس، وزكريا، ويحيىٰ، وعيسىٰ ابن مريم عليهم السلام، وهناك رسل أو أنبياء أرسلوا إلىٰ بني إسرائيل، لا نعرفهم، كما قال ﷻ في سورة النّساء الآية (١٦٤): ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ﴾.

وهناك فرق بين قفينا، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: تعني: أنّ الزمن بين إنسان، يمشي في الصحراء، وإنسان آخر يمشي خلفه قصير جداً؛ إذ إن آثار قدَمي الماشي أولاً، لا يزال يُرىٰ آثارهما في الرمل، وذلك يعني أنّ الزمن بين الرسولين قصير جدّاً.

وحين يقول: ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: من دون علىٰ آثارهم؛ يعني: أنّ الزمن بين الرسولين أطول.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾:

﴿وَءَاتَيْنَا﴾: ارجع إلىٰ مطلع الآية لمعرفة معنىٰ ﴿وَءَاتَيْنَا﴾.

﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: عيسىٰ رسول الله أُرسل إلىٰ بني إسرائيل، ابن مريم ابنة عمران، الّتي أحصنت فرجها عليها السلام.

﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: هي المعجزات، الواضحة، الدالة علىٰ صدق نبوته، مثل: إحياء الموتىٰ؛ بإذن الله، وإبراء الأكمه، والأبرص؛ بإذن الله، وخلقه من الطين؛ كهيئة الطير، فينفخ فيه، فيكون طيراً، وإخبار عيسىٰ النّاس بما يأكلون، وما يدَّخرون في بيوتهم، وغير ذلك من المعجزات.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: أيّدناه؛ قويناه، والأيد تعني: القوة.

أيدنـــاه؛ مأخوذة مـــن اليد، واليد هي آلـــة القوة، والدفاع عـــن النفس، أو الآخرين.

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: البـــاء؛ للإلصـــاق، وتعني: الملازمـــة، روح القدس هو جبريل عليه السلام، والقدس: المطهر.

أي: أيّدناه بالروح المطهرة المقدسة من كل شائبة؛ أي: جبريل عليه السلام.

والروح: في الأصل اسم؛ لما به حياة النفوس، وسمي روحاً.

و﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: هو جبريل عليه السلام، وإضافة القدس للروح؛ للتشـــريف، لا غير.

ويطلق عليه الروح الأمين، الأمين على وحي الله تعالى ورسالاته.

وصَفه الله ﷻ: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:٢١]؛ مطاع في الســـموات والأرض؛ تطيعه الملائكة.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكويـــر:٢٠]؛ أي: ذو مكانة رفيعة، ومنزلة عظيمة عند الله تعالى، ولمزيد من البيان عن جبريل عليه السلام؛ ارجع إلى الآية (٩٧) من سورة البقرة.

وقد ذكر عيســـى عليه السلام، في كثير من الآيات، بأنه مؤيـــد بروح القدس؛ أي: جبريل عليه السلام، ولم يذكر غيره بهذه الصفة، مع العلم أنّ باقي الرســـل والأنبياء كان جبريل عليه السلام ينزل عليهم.

وقد يكون الســـبب ـ والله أعلم ـ أنّ جبريل عليه السلام كان لا يفارق عيســـى عليه السلام كثيراً، في تلك الفترة الّتي عاشها عيسى على الأرض، قبل رفعه إلى السموات.

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾:

﴿أَفَكُلَّمَا﴾: الهمزة؛ همزة استفهام إنكاري توبيخي، وللتعجب، الفاء؛ للتوكيد. كلما: ظرفية، حينية، (ظرف زمان)، يفيد التكرار، ويقتضي الجواب، وجوابه هنا: ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

﴿جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾: ﴿جَآءَكُمْ﴾: فيها؛ معنىٰ المشقة، والصعوبة، (أي: المجيء كان بمشقة وصعوبة)، بينما قوله: أتىٰ؛ تحمل معنىٰ السهولة، واليسر، والمجيء يكون بالحق، ولذلك يكون أصعب، والخطاب موجَّه إلىٰ بني إسرائيل.

﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾: أي: بما يخالف أهوائكم، مثل مجيء عيسىٰ عليه السلام، أو محمّد ﷺ، وغيرهم من الرسل عليهم السلام.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول، أو حرف مصدري.

﴿تَهْوَىٰٓ﴾: تحب، وتشتهي أنفسكم، ويجب الانتباه إلىٰ كلمة هَوَىٰ؛ بالفتحة علىٰ الواو، بمعنىٰ سقط إلىٰ أسفل، وهوِي بالكسرة علىٰ الواو؛ بمعنىٰ أحب واشتهىٰ، وجمع هوىٰ أهواء، والهوىٰ غالباً ما يكون مذموماً؛ أي: ما تريده النفس، وغالباً ما يكون بعيداً عن الحق.

ولا بد أن نفرِّق بين الهوىٰ، وهو يختص بالأداء؛ أي: بالأفعال، والاعتقادات، وأما الشهوة، فتختص بنيل المستلذات، وهوِي بالكسرة (وهو حب الشهوات) قد يهوي بصاحبه إلىٰ الأسفل، والانحدار أي النار.

﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: عن الإيمان بذلك الرسول، أو النبي، أو بما جاء به من الحق، وأردتم أن تكونوا أنتم المشرعين، من دون الله سبحانه.

﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: أي: أعطيتم لأنفسكم كبراً لستم أهلاً له، والكبر هو الشعور

بالعظمة. ورفع النفس فوق ما تستحق، أو إظهار عظم الشأن، والكبر أو التكبر أنواع منها:

أولاً: الكبر على الله سبحانه، أو آياته، وهو أعظم وأبشع أنواع الكفر.

ثانياً: الكبر على الرسل والأنبياء كقول قوم ثمود لنبيهم صالح: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر:٢٥]، أو قول فرعون وملئه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧].

ثالثاً: الكبر على الناس، والكبر أو التكبر صفة ذميمة، والمتكبر مذموم في الأرض والسماء، ومعظم الآيات جاءت بصيغة استكبروا، استكبر، استكبرتم، تستكبرون، يستكبرون، استكباراً، والقليل بصيغة يتكبرون، متكبرين، متكبر.

والفرق بين المستكبر، والمتكبر: الألف والسين والثاء: تفيد الطلب؛ أي: المستكبر لا يملك وليس عنده مؤهلات الكبر مثل السلطان، والغني، والجاه، والعلم، والقوة، والحكم؛ أي: هو يظهر من نفسه ما ليس فيه بأن يرفض عبادة الله وطاعته، أو لا يقبل الحق من أحد مثلاً، والاستكبار والتكبر غالباً يكون بغير الحق، وقليلاً ما يكون بالحق مثل التكبر على العدو، أو لنصرة المظلوم، وأما المتكبر: فهو من حاز على بعض الصفات مثل الغنى، والسلطان، والحكم، والجاه؛ فهو في حال الكبر مثل فرعون وقارون، أو غيرهم الذين طغوا في الأرض وأكثروا فيها الفساد وظلموا وبطشوا وتجبروا.

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾: مثل عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ.

﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: أمثال زكريا ويحيى عليهما السلام، وغيرهم.

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: في هذا الجزء من الآية، يجب الانتباه إلى ثلاثة أمور في البلاغة:

الأول: تقديم المفعول على الفعل، فريقاً وهو المفعول على الفعل كذبتم للاهتمام، والتشويق، تشويق السامع، بما بعده.

الثّاني: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: فلم يقل: فريقاً كذبتم وفريقاً قتلتم، وإنما جاء بفعل ﴿تَقْتُلُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لاستحضار فعل القتل في نفوس السامعين، وتصويره أمام أعينهم بصورته البشعة، وهذا ما يسمى حكاية الحالة، وهي أن يعبَّر عن الحدث في الماضي بفعل مضارع، أو أن ينقل المخاطب إلى الماضي، فيجعله كأنه يعاصر الحدث، ولأنّ القتل أعظم من التكذيب جاء بصيغة الماضي لفعل التكذيب، وبصيغة الفعل المضارع للقتل.

ثالثاً: وتكرار فريقاً مرتين؛ للتوكيد، وفصل كلاً من الفعلين، عن بعضهما؛ أي: فعلتم كلا الأمرين: القتل، والتكذيب، كلاً على حدة، أو التكذيب والقتل معاً، فالتكذيب أمر مهم، ولكن القتل أعظم وأشد.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: الواو استئنافية.

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: مأخوذة من الغلاف، والتغليف، وغُلف؛ بسكون اللام، كما يقرؤها الجمهور، أو غُلُف؛ كما يقرؤها بعض العلماء.

﴿غُلْفٌ﴾؛ لها معان عدَّة؛ معاً:

١ - غُلُف: بضم اللام؛ أي: جمع غلاف، أو مغلفة بأغشية، أو أغطية، تمنع وصول الموعظة، والنور إليها، والإيمان والهداية، لا يدخلها شعاع من النور، والهداية، ولا يخرج منها شعاع من الكفر؛ أي: قلوبٌ مطبوع عليها.

٢ - عُلف: أي: مغلفة، وفيها من العلم، ما يكفيها، ويزيد، وكأنهم يقولون: قلوبنا لا تسع شيئاً آخر، فلسنا بحاجة إلى كلام الرسل، أو الهداية.

٣ - خلقت غلفاً: لا تتدبر، ولا تعتبر، ولا تعي، ولا تفقه، ما يقال لها؛ أي: مخلوقة علىٰ الكفر.

فرد الله ﷻ علىٰ افتراءاتهم، أن تكون قلوبهم مخلوقة علىٰ الكفر، وامتناع قبول الحق.

﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾: بل؛ للإضراب الإبطالي.

﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: طردهم الله تعالىٰ، وأبعدهم عن رحمته.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: الباء؛ للإلصاق، باء السببية، أو المقابلة؛ أي: بسبب زعمهم أنّ قلوبهم غلف، وكفرهم.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: الفاء؛ للتوكيد، وما؛ للتوكيد أيضاً؛ أي: فقليل من يؤمن منهم؛ أي: عدد المؤمنين منهم قليل، والأكثرية لم يؤمنوا، أو أنّ إيمانهم قليل جداً؛ أي: سطحياً، وبألسنتهم فقط، وليس في قلوبهم.

أو تعني: لا يؤمنون قليلاً، ولا كثيراً، لا هذا وذاك.

❖ ❖ ❖

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

ربع الحزب ٢

سورة البقرة [الآيات ٨٩ - ٩٣]

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

هذه صورة أخرىٰ من صور كفرهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾: الواو عاطفة، لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين جاءهم؛ أي: اليهود، والمجيء فيه معنىٰ المشقة؛ أي: لم يكن سهلاً مجيء الكتاب.

﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي: القرآن الكريم الذي أنزل علىٰ محمّد ﷺ.

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: موافق ولا يخالف ومؤكد لما معهم وهو التّوراة.

﴿مُصَدِّقٌ﴾: نعت أو صفة للكتاب والكتاب مرفوع فالصفة تتبع الموصوف؛ أي: مرفوعة.

﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: أي: مجيء القرآن وبعثة محمّد ﷺ.

﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾: يستفتحون أي: يطلبون الفتح، الألف والسين والتاء للطلب.

والفتح؛ هو الغلبة، والنصر من دون قتال، أو حرب؛ أي: يطلبون من الله أن ينصرهم علىٰ المشركين، بالنّبي المبعوث؛ آخر الزمان؛ أي: يقولون: اللهم

انصرنا بالنبي؛ المبعوث على الّذين كفروا، وهم الأوس والخزرج؛ قبل ظهور الإسلام. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

وينتظرون مجيء النّبي الأمي، المكتوب عندهم، في التّوراة والإنجيل.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتوكيد. لما: ظرفية زمانية، بمعنى حين.

﴿جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾: عرف: بمعنى علم، وهناك فرق بينهما أن المعرفة تستعمل في المعرفة بالذوات، والعلم يستعمل فيما يتعلق بالصفات؛ أي: الحق، أو محمّد ﷺ، ﴿مَّا عَرَفُوا﴾: ما: اسم موصول، بمعنى: الذي عرفوا صفته، ونعته، كما في التّوراة.

﴿كَفَرُوا بِهِۦ﴾: أي: بمحمد ﷺ؛ أي: جحدوا به، وبما أنزل عليه من القرآن، ولم يؤمنوا به، ولم يُبين سبب كفرهم به، وبيّنه في آيات أخر، [سورة البقرة، آية ١٠٩].

﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الفاء للتوكيد، لعنة الله: الطرد من رحمة الله تعالى. ارجع إلى الآية (١٦٢) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[٩٠] ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

﴿بِئْسَمَا﴾: بئس من أفعال الذم. ما: نكرة؛ أي: بئس الشيء، الذي اشتروا به أنفسهم، وبئس الذي اشتروا به أنفسهم؛ أي: باعوا أنفسهم، واشتروا الكفر، بعد أن رفض اليهود الإيمان برسول الله ﷺ، وطردهم الله من رحمته. يُقبح

الله ﷻ سلوكهم؛ إذ باعوا أنفسهم رخيصة، باعوها بالكفر، فلم يؤمنوا بالقرآن ونبيه ﷺ.

﴿بَغْيًا﴾: والبغي: هو أخذ حق الغير بقوة، وقهر، وتعسف يعني: التعدي والظلم المؤدي إلى الفساد، والحسد: هو تمني زوال النعمة عن المحسود؛ فهذا ظلم للمحسود وبغياً عليه، والمحسود هو رسول الله ﷺ، أن تنزل عليه الرسالة من بينهم؛ إذ كانوا يظنون أنهم أحق بها؛ لأنهم ورثوا كل الرسالات السابقة. وقد فوجئوا بأنه ليس منهم؛ فملأ الحسد قلوبهم، وأعلنوا مقاومتهم وعصيانهم.

﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي: الوحي، وبالتالي النبوة، والكتاب، فاختيار الرسل فضل من الله سبحانه.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾؛ أمثال: محمّد ﷺ، أو الأنبياء، والرسل من قبله، حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه.

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾.

﴿فَبَآءُو﴾: الفاء؛ للتوكيد. باؤوا: استحقوا، ورجعوا. ﴿بِغَضَبٍ﴾: الباء: للإلصاق، بمعنى: لزمهم الغضب، ولحق بهم، وهو أشد اللعن، ولم يفارقهم.

واستعمال الغضب، في صفات الله؛ مجاز، وحقيقته إيجاب العقاب على المغضوب عليه.

﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: والتنكير؛ للتعظيم.

فالغضب الأول: هو لأنهم لم ينفِّذوا ما جاء في التّوراة، ولأنهم حرَّفوها. وقيل: لعبادتهم العجل. وقيل: بسبب كفرهم بعيسى والإنجيل.

والغضب الثّاني: بسبب كفرهم بمحمد ﷺ، والقرآن، رغم أنه مذكور عندهم في التّوراة، ومطلوب منهم أن يؤمنوا به.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: وللكافرين؛ اللام لام الاختصاص، والاستحقاق. (الكافرين)؛ الّذين أصبح الكفر صفة ثابتة عندهم، واستمروا عليه.

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: شديد الألم؛ مرفوق بالإهانة، والذل؛ لكونه أمام النّاس، أو أمام أتباعهم.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية؛ تدل على حتمية الحدوث، وكثرته.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: لا يهم هنا؛ من القائل، وإنما المقولة.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: أي: اليهود.

﴿ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: أي: آمنوا بالقرآن، وصدقوا به، وبآياته.

﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: أي: نؤمن، ونصدق فقط بالتوراة، الذي أنزل علينا.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: أي: بما نزل بعده، الواو واو الحال للتأكيد.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: وهو القرآن الكريم، وهو الحق، أو الإنجيل.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾: أي: التّوراة، وهم لا يدرون، أنّ من يكفر بالقرآن، يكفر بالتوراة، فهو يكفر بهما معاً؛ لأنّ القرآن يصدق ما جاء في التّوراة، والكفر

هو الستر، ومحمد ﷺ لم يأت ليهدم ما آمنوا به، ولكنه جاء بالحق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمّد: إذا كنتم تؤمنون بالتوراة، الذي أُنزل إليكم، هل في التّوراة آية تُحل لكم قتل أنبياء الله؟!

﴿فَلِمَ﴾: الفاء للتوكيد.

ما: استفهامية؛ تفيد التعجب، والتوبيخ.

﴿تَقْتُلُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لاستحضار الفعل الماضي إلىٰ الحاضر (حكاية الحال). ارجع إلىٰ الآية (٨٧)، (ولم يقل: قتلهم أنبياء الله).

﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾: مجيء محمّد ﷺ.

وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ فيها طمأنينة لرسول الله ﷺ، إلىٰ أنّ قتلهم الأنبياء انتهىٰ، وما جرىٰ للأنبياء السابقين، من بني إسرائيل، لن يجري علىٰ رسول الله ﷺ.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية، وتفيد الشك، أو الاحتمال ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو عاطفة، واللام؛ للتوكيد، قد، تفيد الإثبات والتحقق.

﴿جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: جمع بينة، والبينة؛ هنا، تعني: المعجزة، مثل: العصا، واليد، والنجاة من فرعون، وجنوده ومن الغرق، وفلق البحر.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي.

﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾: عبدتم العجل.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد ذهاب موسىٰ عليه السلام إلىٰ الطور، ﴿مِنۢ﴾: تعني: مباشرة، حين واعدناه أربعين ليلة.

فلو كنتم تؤمنون بما أُنزل عليكم، كما زعمتم؛ ما اتخذتم العجل من بعده، وأنتم ظالمون.

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: وأنتم ظالمون؛ بشرككم، وظالمون لأنفسكم، وظالمون: جملة اسمية، تدل علىٰ صفة ثبوت الظلم فيهم.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ۖ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

مطلع هذه الآية يشبه الآية (٦٣) من سورة البقرة، فارجع إليها.

ويبدأ الاختلاف بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾: سمع طاعة، واستجابة، وقبولاً؛ لا مجرد سماع بالأذن.

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾: بأفواههم، أو ألسنتهم.

﴿وَعَصَيْنَا﴾: بأفعالهم؛ أي: لم يتمثلوا أوامر الله، ويطبقوا أحكامه.

أو ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولك: ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك، أو ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾، ولكن لا سمع طاعة، وبدلاً من ندمهم على اتخاذهم العجل، تداخلهم حبه، حتّى أصبح يسري حبه في دمهم ولحمهم، كما يسري الماء بعد شربه إلى الأوعية الدموية؛ وذلك كله، بسبب كفرهم.

﴿قُلْ﴾: لهم: يا محمّد ﷺ.

﴿بِئْسَمَا﴾: من أفعال الذم؛ أي: بئس هذا الإيمان، الذي تدَّعوه بالتوراة، الذي يأمركم، أو يدعوكم، لمثل هذا الحب.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن شرطية، وتدل على الشك في إيمانهم.

وإضافة حب العجل إلى إيمانهم هو تهكُّم بهم، واستنكار لفعلهم.

❖ ❖ ❖

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ
مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ
مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ
إِلَيۡكَ ءَايَٰتم بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

سورة البقرة [الآيات ٩٤ - ١٠١]

[٩٤] ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم، يا محمّد ﷺ.

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الشك.

﴿كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾: أي: الجنة.

وقدَّم ﴿لَكُمُ﴾، لكم وحدكم؛ خاصة، اللام لام الاختصاص، والاستحقاق.

كما تزعمون؛ فقد قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: [سورة البقرة، الآية ١١١].

﴿خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: خاصة بهم، ولا يشاركهم فيها أحد.

﴿ٱلنَّاسِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة لمعرفة معنىٰ النّاس.

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾: أي: اطلبوا الموت، الذي يوصلكم إليها.

الفاء؛ في ﴿فَتَمَنَّوُا۟﴾: الفاء للتوكيد.

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: لأنّ تمني الموت، من شأنّ المقربين الأبرار، و﴿إِن﴾: شرطية، وتفيد الشك؛ أي: الشك بأنهم ﴿صَٰدِقِينَ﴾: في أنّ الجنة هي خالصة لهم، وأنّ ادعاءهم باطل وزيف، وقوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾:

فيها تعجيز لهم، وتحدي؛ لأنّ ليس من سماتهم تمني الموت، بل بالعكس حب الحياة.

[٩٥] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَلَن﴾: الواو: استئنافية، لن: حرف نفي، يفيد نفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿يَتَمَنَّوْهُ﴾: من التمني، والأمنية، والتمني: هو طلب شيء محبوب، إلّا أنه مستحيل الحدوث، أو غير ممكن، أو لا يمكن أن يقع، أما الرجاء فهو طلب شيء محبوب، ممكن الحدوث.

﴿أَبَدًا﴾: أي: في جميع الأزمنة الحاضرة، أو المستقبلية، إلى غير نهاية.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، باء السببية، أو المقابلة، بسبب أو مقابل ما عملته أيديهم، من قتل الأنبياء، وتحريفهم التّوراة، وتكذيبهم للرسل، وغيرها من المعاصي، ولماذا اختار الأيدي على سائر الأعضاء؛ لأنّ أعظم الذنوب، الّتي ارتكبوها؛ مثل: قتل الأنبياء، وتحريف التّوراة، وأخذ الربا، وقد نهوا عنه، كانت بفعل أيديهم، فاليد؛ هي الآلة الّتي قامت بذلك.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: عليم، صيغة مبالغة.

﴿عَلِيمٌ﴾: من هم، وعددهم، وما يعمله كل واحد منهم، من صغيرة أو كبيرة. ارجع إلى الآية (٥٤) من نفس السورة لمعرفة معنى الظلم.

ولا بدَّ من مقارنة هذه الآية، من سورة البقرة مع الآية (٦-٧) من سورة الجمعة.

في سورة البقرة، آية (٩٤-٩٥): ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

في سورة الجمعة، آية (٦-٧): ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

الاختلاف في ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ في سورة البقرة ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾؛ في سورة الجمعة.

أولاً: لن: تفيد نفي المستقبل القريب، والبعيد، وأكد، وأقوىٰ في النفي من لا، الّتي تفيد الإطلاق، والعموم، (عموم الأزمنة).

فاستعمل لن الأقوىٰ في النفي، في سياق زعمهم، أنّ لهم الدار الآخرة؛ أي: الجنة (خالصة لهم عند الله)، فهذا الزعم الباطل أشد، وأقوىٰ من زعمهم أنهم أولياء الله. الذي استعمل معه لا. فالنفي في آية البقرة أشد من النفي في آية الجمعة.

ثانياً: في آية البقرة يستعمل يتمنوه وتشير إلىٰ قلة العدد، عدد الّذين يزعمون أنّ الجنة خالصة لهم يوم القيامة، بينما في آية الجمعة يتمنونه، وتشير إلىٰ كثرة العدد الّذين يزعمون أنهم أولياء لله.

زيادة المبنىٰ (الحروف) تدل علىٰ زيادة المعنىٰ، أو العدد.

شرح آخر للآيتين:

في آية البقرة: السياق في زعمهم أنّ الجنة لهم خالصة من دون النّاس؛ إذا كان هذا الزعم صحيحاً؛ فتمنوا الموت، لتحققوا هذه الأمنية.

الجواب: لن يتمنوه أبداً، لن أقوىٰ حروف نفي، ونفيها مؤكد.

فمن يتمنىٰ الموت؟ لا أحد، ولذلك استعمل (لن)، وإذا وجد من يتمنىٰ الموت، فعددهم قليل، ولذلك استعمل ﴿يَتَمَنَّوْهُ﴾؛ الأقل حروفاً من ﴿يَتَمَنَّوْنَهُۥ﴾.

أما في آية الجمعة: السياق في زعمهم أنهم أولياء لله من دون النّاس.

إذا كان هذا الزعم صحيحاً، فتمنوا الموت؛ لتحققوا هذه الأمنية.

الجواب: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾.

لا: أقل نفياً من (لن)، وأقل توكيداً.

ومن يتمنىٰ أن يكون ولياً لله؟ الكثير؛ ولذلك استعمل (لا)، وبما أنّ عددهم كثير، استعمل ﴿يَتَمَنَّوْنَهُۥ﴾؛ الكثيرة الحروف.

زيادة الحروف؛ تدل علىٰ زيادة العدد؛ لأنّ زيادة المبنىٰ؛ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ.

[٩٦] ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾: الواو عاطفة، لتجدنهم: اللام؛ لام التّوكيد، والنون في تجدنهم، (بدلاً من تجدهم)، تدل علىٰ زيادة التّوكيد.

﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾: النّاس. ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾: الحرص؛ هو شدة الطمع، والحرص؛ طلب الشيء بجشع.

﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾: حياة؛ جاءت نكرة، وغرض التنكير؛ التحقير، والذم.

فهم يحرصون على أي نوع من أنواع الحياة، ولو كانت دنيئة، أو رخيصة، أو حياة ذلٍّ وعبودية، المهم حياة، ويحرصون أن تكون حياة طويلة، ليست قصيرة؛ أي: عمراً طويلاً.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: أي: أنّ حرصهم على حياة، مهما كان نوعها، يفوق حرص الّذين أشركوا، قيل: هم مشركو العرب، أو المجوس.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: يود: من الود: وهو ميل القلب والتمني؛ أي: يتمنى أحدهم، تعود على اليهود، والّذين أشركوا، يتمنى أحدهم.

﴿لَوْ﴾: للتمني، والتمني في هذه الحالة مستحيل أن يحصل.

﴿يُعَمَّرُ﴾: يعيش؛ أي: يبقى في الدّنيا، ﴿يُعَمَّرُ﴾: بفتح العين، وتشديد الميم، وتدل على المبني للمجهول؛ لأنّ العمر ليس ملكاً للإنسان، والعمر كلمة مشتقة من العمار؛ لأنّ الجسد تعمره الحياة.

والعمر كما نعلم هو السن، الذي يقطعه الإنسان بين ميلاده، ووفاته.

﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾: أي: يعيش ألف سنة، والعرب كانت تضرب الألف؛ للمبالغة في العدد.

﴿وَمَا﴾: الواو، ما؛ النّافية. ﴿هُوَ﴾: للتوكيد.

﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾: أي: ليس تعميره في هذه الدّنيا؛ أي:

بقاؤه في الحياة الدّنيا، وإن طال وبلغ ألف سنة، أو أكثر، فسوف يزحزحه؛ أي: يبعده، ويخلصه من نيل العقاب، أو العذاب، الذي يستحقه.

ولماذا كانوا يتمنون أن يعمروا ألف سنة أو أكثر؟

إما لأنهم يخافون من عذاب الآخرة؛ الذي ينتظرهم لسوء أعمالهم، فلا يرون في الآخرة خيراً، وإما لأنهم لا يؤمنون بالبعث والحساب، ويرون أنّ الموت هو النهاية، فهم يطلبون أن يعيشوا أطول مدَّة.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾: أي: الله سبحانه محيط، ومطلع على أقوالهم، وأفعالهم الظاهرة، والباطنة، ولا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، وقدَّم كلمة ﴿بَصِيرُۢ﴾ على ﴿يَعۡمَلُونَ﴾: لأنّ السياق في الأعمال الباطنة.

﴿بِمَا﴾: الباء؛ للإلصاق، وما اسم موصول بمعنى الذي، أو مصدرية؛ (أي: عملوا).

﴿يَعۡمَلُونَ﴾: تضم الأقوال، والأفعال.

[٩٧] ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

اليهود؛ إضافة إلى كفرهم، وعصيانهم، وقتلهم الأنبياء، وتحريفهم للتوراة، كذلك؛ كانوا يعادون جبريل عليه السلام، أقرب الملائكة إلى الله سبحانه.

وسبب نزول هذه الآية؛ كما روى الترمذي، أنّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: ليس هناك من نبي من الأنبياء إلَّا ويأتيه ملك من الملائكة، من عند ربه، بالرسالة، وبالوحي، فمن صاحبك حتّى نتبعك، ونصدقك؟ قال ﷺ: جبريل. قالوا: ذلك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذلك عدونا، لو قلت: ميكائيل، الذي نزل بالقطر، والرحمة، لاتبعناك، فنزلت هذه الآية.

﴿قُلْ﴾: لهم، يا محمّد ﷺ، لليهود.

﴿مَن﴾: ابتدائية استغراقية، تستغرق كلَّ من هو عدوٌّ لجبريل.

﴿كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾: واسم جبريل، له عدَّة ألفاظ: جبرائيل، جبريل، جبرين، وروح القدس.

﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء للتوكيد، وإن لزيادة التّوكيد؛ أي: جبريل عليه السلام.

﴿نَزَّلَهُۥ﴾: أي: القرآن الكريم، نزله: تعني هنا، بالتدرج، منجماً، ولم يقل: (أنزله): الّتي تعني دفعة واحدة.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: ولم يقل: عليك، وإنما قال: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: لأنّ القلب هو الأصل، فلولا القلب؛ لما عمل العقل والدماغ.

لأنّ منطقة الوعي، والإدراك والذاكرة، هي في الدماغ، وتسمى جهاز أولمبيك، ولولا القلب، وضخه للدم والأوكسجين، لتعطلت تلك المنطقة، ولما استطاع أن يذكر كلمة واحدة، إذن القلب هو القابل الحقيقي للوحي، ومحل الفهم، والحفظ، مجازاً عن الدماغ. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٦) لمزيد من البيان.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادة الله، وأمره، ومشيئته. ويستعمل بإذن الله للعمل الذي ليس لنا دخل، بل هو تدبير خارج عن إرادتنا.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: القرآن الكريم ﴿مُصَدِّقًا﴾: لما تقدَّمه، من الكتب السماوية؛ كالتوراة، والإنجيل.

﴿وَهُدًى﴾: ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة.

﴿وَبُشْرَىٰ﴾: من البشارة، وهي الخبر السار، الذي يصل إليك لأول مرة،

أو الخبر السار، والسابق لكل خبر سواه، الخبر السار، الذي يؤدي إلىٰ السرور والفرحة، الّتي تبدو علىٰ بشرة الإنسان، وعلىٰ وجهه، وتسمىٰ البشارة والبشر.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام؛ لام الاختصاص. المؤمنين: جمع مؤمن؛ أي: مؤمن بالله، وبما أنزل، فالقرآن هدىٰ، وبشرىٰ لهم خاصة؛ لأنهم هم الذين، ينتفعون، ويعملون به.

[٩٨] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿مَن﴾: شرطية.

﴿كَانَ﴾: تشمل جميع الأزمنة؛ الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾: عدواً؛ من العداوة، وأصلها: الميل، والبعد، عمن تعادي، وإرادة الضر له، ومحاربته، وقهره، والعمل ضده.

﴿لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾: ﴿لِّلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص، ولم يقل: لملائكته، ولرسله، وعطف الملائكة والرسل علىٰ الله، فمن يعادي أحداً من الملائكة، أو من الرسل، فكأنما عادىٰ الله، وعادىٰ كل الملائكة، وكل الرسل؛ فالله، وملائكته، ورسله، بما فيهم جبريل، وميكال، وحدة واحدة؛ لا تتجزأ.

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾: أليس جبريل وميكال من الملائكة؟ نعم، وإعادة ذكرهما؛ للتشريف، وعلو منزلتهما، وتعظيماً لهما، وهذا ما نسميه، عطف الخاص علىٰ العام.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء للتوكيد، وإن لزيادة التّوكيد.

﴿ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: ولم يقل: فإن الله عدوٌّ له، أو عدوٌّ لهم، وإنما قال:

﴿عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: حكم عليهم بالكفر؛ بسبب عداوتهم للملائكة، أو الرسل، وأثبت لهم صفة الكفر، (الكافرين): جملة اسمية تفيد الثبوت. ومن عادىٰ واحداً من الملائكة، أو الرسل، كأنه عادىٰ الله ﷻ، ودخل في الكفر.

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية.

لقد: اللام: للتوكيد، قد: أي: تحقق، وثبت الإنزال.

﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: الإنزال: يعني دفعة واحدة، و﴿إِلَيْكَ﴾: ولم يقل: عليك، تعني: آيات للتبليغ، ولتنتهي إلىٰ النّاس كافة، ومن اتبعك خاصة.

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: آيات واضحة في الأحكام، والحدود، والحلال، والحرام.

﴿وَمَا يَكْفُرُ﴾: ما: النّافية. ﴿يَكْفُرُ بِهَآ﴾: أي: يجحد بها، ولا يؤمن بها، أو لا يصدقها، ويكذب بها. ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: جمع فاسق، وهو الخارج عن طاعة الله ورسوله، أو الخروج عن الدِّين، أو الملَّة. ارجع إلىٰ الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان عن الفسق.

[١٠٠] ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَوَكُلَّمَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والتوبيخ؛ أي: لم يكتفوا بالكفر بالآيات البينات، وأيضاً كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم.

﴿أَوَكُلَّمَا﴾: مركبة من: كل وما المصدرية الظرفية، فهي أداة شرط، تفيد التكرار.

﴿عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا﴾: تعريف العهد، ارجع إلىٰ الآية (٢٧) من سورة البقرة.

﴿عَهْدًا﴾: نكـرة، يعنـي: أي: عهد، مهما كان صغيـراً أو كبيراً، وفي أي مسـألة، أو أمر من الأمور كانوا ينقضونه، ولم يُوفوا به، إشـارة إلىٰ العهود، الّتي كانت بين رسـول الله ﷺ، وبين اليهود، علىٰ عدم نصرة المشركين ضد رسول الله، تلك العهود أبرمت مع بني قريظة وبني النضير.

نقضوها: كقوله تعالـىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ [الأنفال: ٥٦].

﴿نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: النبذ؛ هو طرح الشـيء، والاستهانة به، أو الاستغناء عنه، واستعمل كلمة النبذ أو الطرح؛ لأنّ العهود كانت تكتب في صفائح، وعندما كانـوا يريدون أن ينقضوها، يطرحون أو يلقون تلك الصفائح أرضاً؛ إشـارة إلىٰ تخليهم عنها.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: تعود علىٰ اليهود؛ أي: الغالبية، ولم يقل: الكل.

﴿لَا﴾: النّافية للجنـس. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بمحمد ﷺ، ولا بالقرآن، ولا بالتوراة، ولا بالعهود المبرمة.

[١٠١] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: ظرفية زمانية، بمعنىٰ حين.

﴿جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: ﴿رَسُولٌ﴾: نكـرة، وإضافة من عند الله، حوله إلىٰ معرفة، ولم يكتف بذلك، بل زاده تشـريفاً وتكريماً، بقوله ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وهو محمّد ﷺ.

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: موافقٌ ومؤيدٌ؛ لما معهم؛ أي: التّوراة، من حيث التوحيد، والبعث، والإيمان بالله، وطاعته، وغيرها من الأحكام.

ومصدقٌ لما في التّوراة، من أوصاف النبي، المبعوث في آخر الزمان.

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: ﴿نَبَذَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة؛ لمعرفة معنىٰ النبذ.

﴿فَرِيقٌ﴾: جماعة من الّذين أوتوا الكتاب، ولم يقل: أهل الكتاب؛ قوله: أهل الكتاب، فيها معنىٰ التكريم، والتفضيل، والمدح، أما قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: فيدل علىٰ الّذين هم أقل درجة، وفضل من اليهود والنصارىٰ.

وقوله: ﴿فَرِيقٌ﴾: فهناك جماعات أخرىٰ، وفرق أخرىٰ، لم تنبذه، وقبلت به.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: قيل: التّوراة، ومنهم من قال: القرآن.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: عادة النبذ، يكون أمام الشخص، أو عن يمينه، أو يساره، أما كونهم نبذوه وراء ظهورهم، فكأنهم لا يريدون الالتفات، أو الاستماع إليه، وتذكره، أو كأنهم أعرضوا عنه، كاملاً، وكأنهم يريدون نسيانه.

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الكاف: للتشبيه، أنهم: للتوكيد، لا: النّافية.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: ببشارة محمّد ﷺ، وصفاته، وزمن قدومه، أو كأنهم لا يعلمون ما جاء في التّوراة، أنه مطلوب منهم الإيمان بمحمد ﷺ، وتصديقه.

❖ ❖ ❖

tafseer alquran alkhary alsami3 part 01.ind

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

سورة البقرة [الآيات ١٠٢ - ١٠٥]

[١٠٢] ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾:

هذه الآية تتمة للآية السابقة.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾:

بعد أن نبذ فريق من الّذين أوتوا الكتاب (أي: فريق من اليهود) كتاب الله (أي: التّوراة)، وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ﴾: بدلاً من اتباع كتاب الله، اتبعوا ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ جاء بالفعل المضارع، الذي يدل على التجدد، والتكرار؛ لأنهم استمروا على قيامهم، بالسحر، وتصديقه، ولم يقل ما تلت الشياطين، وانتهى الأمر. ما تتلوا: التلاوة؛ أي: القراءة المتتابعة من كتب السحر والشعوذة.

﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾: أي: اتبعوا كتب السحر والشعوذة في زمن سليمان وأراد اليهود أن يضلوا النّاس ويزعموا أنّ منهج سليمان مبني على السحر، ومصدره الشياطين.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾: فسليمان لم يتعلم السحر، ولم يعلم السحر لأحد، ولم يكفر، ومنهجه؛ منهج رباني، وليس من منهج الشياطين، الّذين يعملون له بإذن ربهم.

وحين اتّهمه اليهود بأنه يعلم السحر، أخذ سليمان كل كتب السحر، ودفنها تحت عرشه، وبعد موت سليمان عثرت الشياطين على مخبأ الكتب، فأخرجتها، وأذاعتها بين النّاس، وانتشر بين النّاس، أنّ سليمان كان يسيطر على الإنس والجن بسحره، وأنه ليس نبياً، وأنّ منهجه مبنيٌّ على السحر، وما تتلوه الشياطين.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾: ولكن حرف استدراك، وتوكيد، كفروا؛ لأنهم كانوا يعلمون النّاس السحر، واستمروا على ذلك حتّى أنّ أهل المدينة المنورة، كانوا يخافون من سحر اليهود.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾:

أما هاروت وماروت؛ اسمان أعجميان، لملكين من الملائكة، أنزلهما الله إلى الأرض؛ ليتعلم النّاس منهما علم السحر، والسحر: هو التمويه، وتخيل الشيء، بخلاف حقيقته، فالسحر لا يقلب حقيقة الشيء، بل يظل الشيء على حقيقته، ولكن السحر يقع للرائي، فيرى الأشياء على غير حقيقتها، فهو شيء مؤثر في النفوس، ومن خلال ذلك يستطيع المرء أن يفرق بين السحر والخوارق والمعجزات، الّتي تؤيد نبوة الرسل، وإزالة الشك من عقول النّاس، والتفريق بين السحر الباطل من الخوارق والمعجزات، الّتي قد تبدو كالسحر، وما هي من السحر، وكان لهما منهج واضح؛ كما يلي:

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾:

﴿وَمَا﴾: النّافية.

﴿يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾: ابتدائية، استغراقية.

﴿أَحَدٍ حَتَّىٰ﴾: حتّىٰ؛ حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، ﴿نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: قد تؤدي إلىٰ الكفر، فلا تكفر.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾: أي: السحرة، والشياطين، يتعلمون من الملكين هاروت، وماروت.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنىٰ الذي.

﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾: أي: بالبغضاء، أو الكره، الذي يؤدي إلىٰ الطلاق، والتفريق بين المرء وزوجه.

﴿وَمَا هُم﴾: وما السحرة والشياطين بضاربين به بالسحر.

﴿بِضَآرِّينَ﴾: للتوكيد، والباء للإلصاق، والتوكيد. ﴿بِهِۦ﴾: بالسحر، ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: من: للتوكيد.

﴿بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: ولا يحصل الضرر إلّا بإذن الله، إلّا أداة استثناء، إلّا: بمشيئة الله، وإرادته، والسماح بذلك، وبإذن الله تستعمل للعمل الذي لا دخل لنا فيه ولا إرادة. بينما يستعمل ما شاء الله، أو شاء الله في الأعمال الّتي تقوم بها أنفسنا، أو نتدخل بها شخصياً.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: أي: تعلم السحر يضر، ولا ينفع، ومهما افترىٰ الساحرون، أنه مهارة، وحرفة، أو للتسلية، أو ربح المال، أو فن، كل ذلك أكاذيب.

﴿مَا﴾: اسم موصول، بمعنىٰ الذي يضرهم.

﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: لها نفس المعنىٰ، لا يضرهم، وتفيد زيادة التّوكيد، بعدم النفع، وجلب الضرر. وقدم دفع الضر علىٰ النفع في هذه الآية؛ لأنه أهم وأعظم

من جلب النفع؛ أي: الضر الناجم عن السحر أعظم من المنافع المادية التي قد تحصل نتيجة السحر.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو؛ عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد: تحقق وثبت.

﴿عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾: اللام: لام التّوكيد، والابتداء، من: بمعنىٰ الذي.

﴿عَلِمُوا﴾: اليهود. ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾: أي: اختار السحر، أو تعلمه.

﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: الخلاق: من الخلق؛ أي: التقدير، وتعني: النصيب فهي تفيد كلا المعنيين؛ أي: ما له في الآخرة من أي نصيب قُدِّر له، ومن: استغراقية للتوكيد؛ أي: عمله الصالح حابط، أو باطل.

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: الواو عاطفة، واللام لبئس؛ للتوكيد، وبئس؛ فعل من أفعال الذم.

﴿مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: باعوا به بالسحر أنفسهم؛ أي: اشتروا السحر، وباعوا أنفسهم. ارجع إلىٰ الآية (١٦) من نفس السورة لبيان الفرق بين شرىٰ واشترىٰ.

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: ما ينتظرهم من عقاب.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أي: اليهود.

﴿آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾: آمنوا بالتوراة، والإيمان الحق، وتركوا السحر، واتقوا الله؛ بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، لاستحقوا الثواب العظيم، أو آمنوا برسول الله، أو القرآن.

﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾: المثوبة هي الثواب على العمل الصالح، يقابلهما العقوبة على العمل السيِّئ، ومشتقة من ثاب: أي: رجع.

وكلمة مثوبة؛ مأخوذة من نفس معنى كلمة ثوب، وجمعه ثياب، والثياب؛ قد تصنع من الصوف، فكانوا قديماً؛ يأخذون أصواف الغنم، فيعطونها لغيرهم لتغزل، وتنسج ثوباً، ثم تعود الأصواف إلى أصحابها كثوب، ولذلك؛ سمِّيت المثوبة؛ لأنّ الخير يعود على صاحبه بالنفع.

والثواب يقال في الخير والشر، وفي الخير غالباً.

ومثوبة نكرة، ولكن قوله: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: تصبح أقرب إلى المعرفة.

وأصل الجملة: ولو أنهم آمنوا واتقوا لأثيبوا، ولكن أبدل لأثيبوا بمثوبة؛ فعبَّر بالجملة الاسمية، الّتي تفيد الثبوت والاستقرار بدلاً من الفعلية لأثيبوا.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: أنّ ثواب الله خيرٌ مما تعلموا من السحر وليس عندهم أي علم حقيقي، ولأنّ ما ادعوا أنه علم (أي: السحر)، سيكون حُجة عليهم؛ لأنهم لم ينتفعوا بعلمهم، وخالفوا أمر الله وكتابه، واتبعوا أهواءهم.

[١٠٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: أداة للنداء البعيد، والهاء للتنبيه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نداء للذين آمنوا، الّذين هم على طريق الإيمان، بأمرٍ جديد.

﴿لَا﴾: الناهية. ﴿تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾: أي: راعنا سمعك؛ أي: اسمع لنا، ولا تعجل علينا، أو تأنَّ بنا، حتّى نفهم ما تقوله، ونحفظه، وتعني الرعاية؛ أي: تمهل بنا، وارفق بنا.

والسبب في نزول هذه الآية: أنّ المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! اسمع لنا، أو ترفق بنا، أو تمهل بنا.

وكلمة راعنا في اللغة العبرانية تعني: سباً قبيحاً، أو بمعنىٰ اسمع لا سمعت، وقيل: هي من الرعونة؛ أي: الجهل والحماقة.

فلما سمع اليهود هذه الكلمة، أخذوا يخاطبون رسول الله ﷺ بها، قاصدين بها السب، والاستهزاء، يقولون: يا محمّد راعنا، ويضحكون.

فجاء الأمر من الله سبحانه، بالنهي عن استعمال كلمة (راعنا)، لكي يحمي رسوله ﷺ، من أي شتم، أو استهزاء، وأبدلها بلفظ آخر، هو ﴿ٱنظُرْنَا﴾.

﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾: أي: تأنَّ علينا، أو أمهلنا، أو أنظر إلينا، أو انتظرنا.

﴿وَٱسْمَعُواْ﴾: إلىٰ ما يأمركم به الله ورسوله، وإلىٰ ما ينهاكم عنه سمع طاعة.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اللام؛ لام الاستحقاق أو الاختصاص.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾، ومنهم: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ لمن أذىٰ رسول الله ﷺ، وأساء إليه، وهذا تهديد ووعيد.

[١٠٥] ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

﴿مَّا﴾: النّافية؛ للحال، والمستقبل.

﴿يَوَدُّ﴾: من الود، وهو ميل القلب إلىٰ ما يحبه.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: الّذين كفروا من اليهود والنصارىٰ.

﴿مِنْ﴾: استغراقية، تستغرق كل الّذين كفروا.

﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: لا: لتأكيد النفي.

﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: من قريش، أو العرب.

﴿أَن﴾: حرف مصدري، يفيد التأكيد.

﴿يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: لشدة عداوتهم، ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾: من استغراقية، تستغرق كل شيء، يسمىٰ خيراً، وضد الخير: الشر، وخير نكرة، مهما كان نوعه، وكمه، وشكله، من خير، معناه: في هذه الآية: الوحي، ومنهج الله، ونبوة رسوله محمّد ﷺ.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: الإضافة للتشريف، ﴿مِّن﴾: الابتدائية.

﴿رَّبِّكُمْ﴾: لأنه الرب، هو مصدر الخير، والرزق، والمربي، والخلاق، والمدبر.

وبهذا يكشف الحق سبحانه، لعباده المؤمنين، ما يكنه الّذين كفروا، من اليهود، والنصارىٰ، والمشركين، من العداوة لهم، بعد أن رفضوا الإيمان، والاعتراف بمحمد ﷺ، وأنهم لا يريدون لكم أيَّ خير.

﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: أي: يعطي النبوة لمن يشاء، ويختار، من البشر حسب ما تقتضيه حكمته. ﴿بِرَحْمَتِهِۦ﴾: والرحمة تشمل النبوة، والإسلام، والهداية، وغيرها من مظاهر الرّحمة، وهي جلب ما يسر، ودفع ما يضر.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: إشعاراً بأنّ إيتاء النبوة؛ من الفضل العظيم، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٨٧].

❖ ❖ ❖



۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

سورة البقرة [الآيات ١٠٦ - ١١٢]

[١٠٦] ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿مَا﴾: شرطية.

﴿نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: النسخ: تعريفه: رفع الحكم الشرعي؛ بدليل شرعي آخر، متأخر عنه.

النسخ لغةً: الإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل؛ أي: أزالته، وذهبت به.

إذن النسخ، هو إزالة حكم ما، والمجيء بحكم آخر، أو نزيل آية كانت موجودة، ونأتي بآية أخرىٰ.

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: من النسيان، تعني: أنّ الله يجعل الإنسان أو النّاس يسهون، أو يغفلون عنها، فلا يذكرونها؛ أي: يمحيها من الذاكرة.

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾: والسؤال هنا، إذا كان هناك خيرٌ منها، فلماذا لم يأت الله بالخير من البداية؟!

الجواب: المعنىٰ ليس كذلك، وإنما المعنىٰ: أنّ الآية المنسوخة كانت خيراً في زمانها، وجاءت الآية الثانية، فكانت زيادة في الخير، وكلاهما خير في زمنه وبيئته.

وليس معنىٰ ذلك: أنّ الله سبحانه قد حكم بشيء، ثم جاء واقع آخر،

أثبت أنّ الحكم قاصر، فعدل الله سبحانه عن ذلك الحكم؛ هذا غير صحيح، ومرفوض.

لأنّ الله سبحانه يعلم منذ الأزل أنّ لهذا الحكم وقتاً محدداً وينتهي، ثم يحل مكانه حكم جديد، أو لا ينتهي أجله، ويبقى إلى يوم القيامة، ولا يجوز مقارنة القوانين الربانية، بالقوانين الوضعية، (الّتي يضعها البشر).

وهناك من يقول: لا نسخ في القرآن أبداً، وهناك من يقول: هناك نسخ، واختلف السلف عن الخلف في عدد الآيات المنسوخة من (٢٠٠) آية إلى (٧-١٠) آيات، واعلم أنّ النسخ في بعض الأحكام الشرعية، (وهو قليل جداً)، ولا يقع النسخ في العقيدة، ولا في الأخبار، والنسخ مخصوص بزمن الوحي في حياة الرسول ﷺ، أما بعد وفاته، فقد اكتمل الدِّين، وانقطع وحي السماء، فلا نسخ بعد، والحكمة من النسخ، قد تكون للتدرج في تربية الأمة، أثناء انتقالها من الجاهلية إلى الإسلام، والتخفيف على المسلمين من الأصعب إلى الأسهل.

وهو ابتلاء، واختبار لإيمان المسلمين.

والنسخ كان في آيات معدودات، وقد كان لبيان مجمل، أو تقيد مطلق، أو تخصيصاً لعموم، وخير مثال على ذلك: تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، وآية المواريث، وعدة المتوفَّى عنها زوجها.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: الهمزة في ﴿أَلَمْ﴾: همزة استفهام تقريري، لإقامة الحجة على العبد، فبدلاً من أن تأتي الآية كخبر من الله تعالى، يخبر فيها عن ذاته، أنه على كل شيء قدير، جاءت بشكل استفهام إقراري، وأن يكون الخبر من المخاطب، وليس منه سبحانه.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: أي: اعلم علماً يقيناً أنّ الله على كل شيء قدير: المخاطب

النّبي ﷺ، وأمته، ولمعرفة معنىٰ أنّ الله علىٰ كل شيء قدير، ارجع إلىٰ الآية (٢٠) من سورة البقرة.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد، ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: له قصراً، وحصراً، وليس لغيره ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: هو المالك، والحاكم وحده لا شريك له، ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ومن فيهن؛ أي: السموات؛ كظرف ومظروف، والأرض؛ كظرف ومظروف.

والإنسان لا يملك حقيقةً شيئاً، إنما هو مستخلف وقدرته مقيَّدة.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية. ما: نافية.

﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿مِّن﴾: استغراقية. ﴿وَلِيٍّ﴾: الولي؛ هو من يواليك ويحبك، ويُعينك حين الحاجة، أو الخوف، وهو القريب والصديق.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: النصير: هو الذي عنده قدرة علىٰ أن ينصرك.

والله سبحانه هو الولي؛ أي: المحب، والنصير ﷻ، وكفىٰ بالله ولياً، وكفىٰ بالله نصيراً، والولي يختلف عن النصير.

والفرق بينهما؛ أنّ الولي قد يكون ضعيفاً وغير قادر علىٰ النصرة؛ أي: ليس نصيراً، والنصير قد يكون أجنبياً؛ أي: ليس قريباً، ولا صديقاً له؛ أي: ليس ولياً.

ولذلك جاء بـ(لا النّافية)؛ لتفريق كلٍّ من الأمرين على حدة، أو كليهما معاً.

[١٠٨] ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾:

﴿ أَمْ ﴾: الهمزة؛ همزة استفهام إنكاري.

﴿ أَمْ ﴾: للإضراب الانتقالي.

نزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبـيٍّ بن كعب، ورهط من قريش؛ قالوا: يا محمّد اجعل لنا الصفا ذهباً، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً؛ نؤمن بك.

وقيل: إن اليهود، سألوا رسول الله ﷺ، أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النّساء:١٥٣].

فبعد أن سألوا رسول الله ﷺ الكثير من الأسئلة، كما ورد في سورة الإسراء الآيات (٦٣-٩٠)، وسورة الفرقان (٧-٨).

كأنْ لم يبق لكم إلّا أن تسألوه، كما سُئل موسىٰ، من قبل: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾.

وإذا انتبهنا إلىٰ هذه الآية؛ لتبين لنا أنّ الله سبحانه، لم يشأ أن يشبه المسلمين باليهود، فقال: كما سُئل موسىٰ من قبل؛ أي: بنىٰ الفعل سُئل للمجهول، فقد كان من الممكن القول: أم تريدون أن تسألوا رسولكم، كما سأل اليهود موسىٰ.

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾: ﴿وَمَن ﴾: شرطية، جوابها: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

﴿يَتَبَدَّلِ ﴾: ولم يقل: يبدل، ﴿يَتَبَدَّلِ ﴾: تعني: كل فرد (قاعدة عامة). يبدل: تعني فرداً واحداً (قاعدة خاصة).

﴿يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾: يشتري الكفر بالإيمان، فالإيمان يمثل

الدراهم المدفوعة، والكفر هو المادة، والسلعة المشتراة؛ (انتبه إلىٰ أنّ الباء تدخل علىٰ المتروك دائماً). ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: ثبت، ووقع، (لزيادة التّوكيد).

﴿ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾:

﴿ضَلَّ﴾: أي: أخطأ الطريق، أو عدل عن الحق والهدىٰ.

والسبيل؛ هو الطريق، السهل، القصير، والموصل إلىٰ الغاية.

والسواء: هو الوسط.

أي: ابتعد عن الصّراط المستقيم، الموصل إلىٰ الغاية، إذ لم يمشِ في وسط السبيل، وراح يمشي يسرةً ويمنةً، فضلَّ عن سبيله، عن الإيمان، أو الحق، والهدىٰ؛ أي: الإسلام.

[١٠٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

سبب النّزول؛ كما قال ابن عبّاس ﷺ: نزلت هذه الآية في نفر من اليهود، بعد وقعة أحد، قالوا لبعض الصّحابة: ألم تروا إلىٰ ما أصابكم، فلو كنتم علىٰ الحق، ما هُزمتم، فارجعوا إلىٰ ديننا، فهو خير لكم، فأخبر الصّحابة رسول الله ﷺ بما قيل لهم.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾:

﴿وَدَّ﴾: أحب أو تمنىٰ، ارجع إلىٰ الآية (١٠٥) من نفس السورة لبيان معنىٰ الود.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: (اليهود)، من: ابتدائية.

﴿كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يعني: هناك قلة، لا تود ذلك.

أي: يتمنى كثير من أهل الكتاب، وفي كل زمن، ومناسبة، وبلا مهلة، فوراً، وبسرعة لو يردونكم كفاراً.

﴿لَوْ﴾: مصدرية.

﴿يَرُدُّونَكُم﴾: ولم يقل: يردوكم، بل أضاف إليها النون؛ للتوكيد.

﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾: بمحمد ﷺ، ورسالته؛ أي: يردونكم عن دينكم، كفاراً: جمع كافر، بدل من الكافرين كفار؛ لتدل على الكثرة، ومقارنة بكافرين، وكفاراً التي تدل على مبدأ الكفر. والكافرين تدل على عمل الكفر.

﴿كُفَّارًا﴾: غير مصدقين بمحمد ﷺ، وبما أُنزل إليه، كما كنتم قبل مجيئه.

﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: والحسد: هو تمني زوال النعمة عن المحسود، (عمن تكره)، وأن تصير للحاسد.

﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: من ذواتهم، من شهواتهم، فالله سبحانه لم يأمرهم بذلك، ولا التّوراة، ولا أي كتاب، والحسد: لا يكون إلّا من عند النفس.

وقدَّم الجار والمجرور؛ من بعد إيمانكم على كفاراً، للاهتمام والحصر؛ أي: الشيء الوحيد، الذي يودونه؛ هو كفركم لا غير.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: أي: من بعد ما تأكدوا في التّوراة أنّ شخصية رسول الله ﷺ حق، وأنه خاتم النبيين، راحوا يحسدونكم على نعمة الإيمان، ويتمنون زوال هذه النعمة عنكم؛ لأنّ التّوراة تأمرهم أن يصدقوا بمحمد ﷺ، ولمعرفة معنى الحق ارجع إلى الآية (١١٩) في نفس السورة.

﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾: العفو: من عفت الريح الأثر؛ أي: مسحت الأثر، وأزالته؛ فالعفو هو ترك العقوبة، والعفو عن المذنب.

﴿وَٱصْفَحُواْ﴾: الصفح: أبلغ من العفو، وهو يشمل: العفو، وعدم اللوم،

ولا التثريب، أو المن على من عفوت؛ لأنّ الإنسان قد يعفو عن المذنب، ولكن بعد ذلك يؤنبه، ويمن عليه بعفوه، كأن يقول له: أنت لا تستحق هذا العفو.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بنصره، ومعونته، بالقتال، والجلاء، كما حدث لبني النظير، وبني قريظة، وقينقاع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة للبيان.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

في الآية السابقة؛ قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾.

فلكي لا يردونكم كفاراً، فعليكم التمسك بالإيمان، وذلك بإقامة الصّلاة. ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة للبيان، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ارجع إلى الآية ٤٣ من سورة البقرة للبيان، والقيام بالخيرات.

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ﴾: ما: شرطية، مطلقة، لغير العاقل والعاقل.

﴿تُقَدِّمُواْ﴾: أي: تفعلوا ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾، (في حياتكم الدّنيا)، من استغراقية، ﴿خَيْرٍ﴾؛ نكرة، تشمل كل خير، من صلاة، أو زكاة، أو صدقة، أو عمل صالح، أو معروف، أو الصلاح بين النّاس، أو حسنة.

﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: تجدونه عند الله مكتوباً، أو تجدون ثوابه عند الله ثابتاً، ومضاعفاً أضعافاً كثيرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: إن: للتوكيد، وقدَّم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ على كلمة ﴿بَصِيرٌ﴾؛ لأنّ الآية جاءت في سياق الأعمال الصالحة، ولو كان السياق في عمل قلبي، مثل: التقوى، والسياق في قدرة الله وصفاته، أو صفات الإنسان؛ لقدَّم ﴿بَصِيرٌ﴾.

﴿بَصِيرٌ﴾: يراكم، ويرىٰ أفعالكم، وحركاتكم، أحاط بصره بكل المبصرات، في الكون، فلا تخفىٰ عليه خافية في السموات، ولا في الأرض.

[١١١] ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿وَقَالُوا۟﴾: الواو استئنافية، وتعود لأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ.

﴿لَن﴾: حرف نفي، لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا﴾: أداة حصر، إلّا من كان يهودياً أو نصرانياً.

﴿مَن كَانَ هُودًا﴾: الهود: جمع هائد، ارجع إلىٰ الآية (٦٢) من سورة البقرة للبيان.

﴿أَوْ﴾: للتقسيم.

﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: أتباع عيسىٰ عليه السلام. ارجع إلىٰ الآية (٦٢) من سورة البقرة.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: تلك اسم إشارة للبعد.

﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: جمع أمنية، والتمني؛ قول القائل: ليت كان كذا، وليت لم يكن، والتمني معنىٰ في النفس، ويقع علىٰ الماضي والمستقبل، وتلك أمانيهم الباطلة، الّتي يتمنوها.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: هي أمنية واحدة، فلماذا جاء بعدها؟ وقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: بالجمع؛ لأنّ هذه واحدة من أمانيهم، فأمانيهم كثيرة، مثل: ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾: أن لا يُنزل عليكم من خير، من ربكم.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: البرهان: هو الحجة القاطعة علىٰ اختصاصكم، بدخول الجنة، ولن يدخلها غيركم.

﴿إن﴾: شرطية، تفيد أو تحمل معنىٰ الشك.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: فيما تفترونه، وتقولونه علىٰ الله؛ أي: أنتم كاذبون حين قلتم لن يدخل الجنة إلَّا من كان يهودياً أو نصرانياً.

[١١٢] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: للإضراب الإبطالي؛ إبطال ما قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب، لإثبات ما نفوه؛ لن يدخل الجنة إلّا من أسلم وجهه لله، وهو محسن.

﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: من شرطية.

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: إسلام الوجه هو أعلىٰ درجات الإيمان، وهي بالتدرج: الإسلام، الإيمان، التقوىٰ، والإحسان، ثم إسلام الوجه.

وإسلام الوجه: يعني: إسلام كل الجوارح، وخصَّ بالوجه؛ لكونه أشرف الأعضاء في الإنسان، وإسلام الوجه؛ يعني: الإخلاص لله وحده، وطاعته الكاملة، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾: وليس إلىٰ الله، اللام؛ تعني: الوصول، والاستقامة، وإلىٰ؛ تعني: ما زال سائراً في الدرب للوصول إلىٰ إسلام الوجه، والإخلاص. انظر إلىٰ المقارنة القادمة في نهاية الآية.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: هو ضمير منفصل، يفيد التّوكيد.

﴿مُحْسِنٌ﴾: اسم فاعل، من فعل: أحسن؛ الرباعي، والإحسان مصدر.

وتعريف الإحسان: الإحسان لغةً: هو ضد الإساءة، ويقال: أحسنت الشيء؛ أي: جمَّلته وزيَّنته (كما قال ابن منظور في لسان العرب، وابن فارس في معجم اللغة)، فالإجمال: هو الإحسان الظاهر، وقيل: أحسن أتىٰ بفعل حسن، وأحسن

إلىٰ فلان؛ أي: نفعه؛ أي: هو النفع الحسن، ويشمل الأقوال والأفعال والأحوال، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد:٢٢].

الإحسان اصطلاحاً وشرعاً: فلا يوجد أجمل وأروع من تعريف رسول الله ﷺ للإحسان حين سأله جبريل عليه السلام فقال:

١ - أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك؛ أي: أن تحسن في أداء الأحكام، والعبادات، والفرائض، والنيات، والمقاصد، والأحوال، والمعاملات، والتقرب إلىٰ الله تعالىٰ، والإحسان إلىٰ الوالدين، وذوي القربىٰ، والخلق أجمعين، وإلىٰ النفس، وإلىٰ كل شيء، كما قال ﷺ في صحيح مسلم من حديث شداد بن أوس: «إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء حتىٰ علىٰ الحيوان والنبات والشجر والجمادات والبيئة حتىٰ العدو»؛ يعني: تتقن الأداء إتقاناً جيداً، وتخلص في العبادة المبنية علىٰ الحب والذل لله تعالىٰ، والتي تشمل كل أوجه الحياة، ولا تقتصر علىٰ العبادات المعروفة، وهذا يسمىٰ؛ إحسان الكيف.

٢ - وأن يزيد المؤمن في أداء هذه التكاليف، فوق ما فرض الله، مثل: النوافل، والصدقات، وصيام النفل، وكل شعب الإيمان، وهذا؛ يسمىٰ: إحسان الكم.

ووجوه الإحسان كثيرة، مثل: الإنفاق في المال، وتشفع لغيرك، والإحسان بالعلم، وإعانة الضعيف، وتفريج الكرب، وغيرها، والإحسان الأفضل أن تفعله، وأنت محب له، وليس كارهاً أو مجبراً.

وحين تدخل في مقام الإحسان، فأنت تصبح من أولياء الله تعالىٰ، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: الفاء: للتوكيد. ﴿أَجْرُهُۥ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٢) في نفس السورة لبيان معنىٰ الأجر.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٨) من سورة البقرة للبيان.

ولنقارن هذه الآية (١١٢) من سورة البقرة، مع الآية (٢٢) من سورة لقمان، وهي قوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾.

وآية سورة النّساء (١٢٥): ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

في آية لقمان، نجد فيها: ﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يزال بحاجة إلىٰ مزيد من التقوىٰ، والإخلاص، فهو لا يزال في طريقه الموصل إلىٰ درجة الإحسان.

في آية سورة البقرة: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: هذا وصل إلىٰ درجة الإحسان، وأصبح من المحسنين، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

في آية النّساء ليس هناك أفضل منه ديناً. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٢٥)، وسورة لقمان آية (٢٢) لمزيد من البيان والفرق بين الآيات.

❖ ❖ ❖

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

سورة البقرة [الآيات ١١٣ - ١١٩]

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

قال ابن عبّاس ﷺ: نزلت هذه الآية عندما اختصم فريق من يهود المدينة، وفريق من نصارىٰ أهل نجران عند النّبي ﷺ.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: أي: ليست اليهود علىٰ شيء، من الدِّين الحق، والشيء هو أقل القليل، مع العلم أنّ كليهما من أهل الكتاب.

﴿وَهُمْ﴾: الواو هنا: واو الحالية، تفيد التّوكيد، وهم: ضمير منفصل، يفيد زيادة التّوكيد.

﴿يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: أي: كلٌّ يتلو كتابه التّوراة والإنجيل، ويدَّعي أنه يؤمن بكتابه، ويصدق به، وبما أنّ التّوراة والإنجيل، يصدق كلٌّ الآخر، وليس في التّوراة ولا في الإنجيل أي شيء مما يزعمونه كلٌّ ضد الآخر، فإذا كانوا علىٰ مثل هذه الحال، فهم كالّذين لا يعلمون.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: كذلك؛ تعني: حقاً مثل ما قالت اليهود، وقالت النصارىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

السّؤال من هؤلاء الّذين لا يعلمون؟ قيل: هم كفار قوم نوح، وهود، وصالح، أو مشركو العرب خاصة.

وما الذي ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون كتاباً، ولا إلهاً، ولا ديناً، أو قالوا: لستم على شيء من الدِّين.

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: الفاء؛ للتوكيد، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: من الحكم بين الأنبياء، وأممهم، وبين الأمم المختلفة، يحكم من هو على الحق، ومن هو على الباطل.

﴿فِيمَا﴾: في ظرفية، ما: اسم موصول، بمعنى الذي، أو مصدرية.

﴿كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: ﴿فِيهِ﴾: من أمور الدِّين، والحق، والباطل.

[١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية، من: استغراقية.

﴿أَظْلَمُ﴾: على وزن أفعل، من ظلم، والهمزة؛ للاستفهام، والإنكار، والنفي؛ أي: لا أظلم من ذلك، الذي يمنع مساجد الله، أن يذكر فيها اسمه، وهذا يطلق عليه الظلم العظيم، وقيل في أسباب نزول هذه الآية عدَّة روايات، أولها: نزلت في المشركين، حين صدوا رسول الله ﷺ أن يدخل المسجد الحرام، عام الحديبية.

وقيل: إن النصارى كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس، ويمنعون النّاس أن يصلوا إليه، كما يفعل اليهود الآن تماماً.

وقيل: عن ابن عبّاس ﷺ: إن قريشاً منعوا النّبي ﷺ من الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام.

وقيل: عن قتادة أنّ بختنصر وأصحابه غزو اليهود، وخربوا بيت المقدس، وأعانهم على ذلك النصارىٰ من أهل الروم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ولم يقل: مسجداً بعينه؛ ليكون الوعيد شاملاً، لكل من يخرب، أو يمنع العبادة، في أي مسجد من مساجد الله، والمساجد هي بيوت الله على الأرض، الّتي تقام فيها الصلاة؛ أي: أماكن العبادة.

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾: أي: تعطيلها، أو هدمها، أو إزالتها، أو جعلها غير صالحة؛ لأداء العبادة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، يفيد البعد، ويشير إلىٰ من منع مساجد الله مثل الكفرة.

﴿مَا كَانَ﴾: ما لنفي الحال والمستقبل، ما كان يصح، أو يحق لهم أن يدخلوها إلَّا خائفين؛ أي: لا يدخل أحدٌ منهم مساجد الله آمناً بعد منعها إلَّا خائفاً. إلا: أداة حصر، وقيل: ما كان لهم أي في حكم الله أي شرعاً، إما بالحكم الكوني فهم يدخلوها.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: مثل: القتل والجلاء.

وما هو الخزي: ارجع إلىٰ الآية (٨٥) البقرة، وقيل: الخزي: هو الشيء القبيح، الذي تكره أن يراك عليه النّاس، ويعني: الذل، والفضيحة، والذل؛ يعني: القتل، والجزية، والعذاب بكل أنواعه.

﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

في نار جهنم، وعظيم، هو أعظم أنواع العذاب، يشمل: العذاب المهين، والأليم، والمقيم، والكبير، والشديد.

وتكرار لهم، تفيد التّوكيد، والاستحقاق، ولن يكفي أحدهما عن الآخر، بل عذاب الدّنيا، وعذاب الآخرة.

[١١٥] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

هذه الآية تتمة للآية السابقة، إذا حيل بين المسلم وبين دخول مساجد الله، أو أي مسجد ليصلِّي فيه، أو يذكر اسم الله بسبب تخريبها، أو المنع؛ لأي سبب؛ كالظلم، أو العتو، فله أن يصلِّي في أي مكان آخر، كما بيَّن ذلك رسول الله في حديث رواه البخاري، ومسلم، وقال: «**وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**».

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو؛ استئنافية، لله: اللام لام الاختصاص، والملكية، وتفيد التّوكيد، وتقديم الجار والمجرور؛ لفظ الجلالة، يفيد الحصر، والقصر.

﴿ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: ملكاً، وخلقاً، وشرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً، ولم يذكر كل الجهات؛ لأنها تتحدد بتحدد شروق الشمس وغروبها.

﴿فَأَيْنَمَا﴾: الفاء: للتوكيد.

أينما: أين: ظرف مكان مبهم، وأضيفت لها حرف ما لتزيد الإبهام؛ لتدل على وجود الله سبحانه بعلمه، في أي مكان، مهما كان في السموات أو في الأرض.

[١١٦] ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾:

وقالت النصارى ـ افتراءً على الله ـ المسيح ابن الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله ـ تعالى الله علواً ـ.

﴿وَلَدًا﴾: الولد؛ يطلق على الذكر، والأنثى، والمثنى والجمع.

﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: هذا أشنع الكفر، وأبشعه، ورغم كونهم كذبوا، وافتروا على الله، لم يرد الله عليهم، ويقول: إنكم كذبتم، فهو أعظم، وأكبر من أن يردَّ عليهم.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً مطلقاً لله في ذاته، وصفاته، وأفعاله، من أي نقص، أو عيب، وصاحبة، أو ولد، وكل ما لا يليق بكماله، وجلاله، وما كان يصح، وما يتصور في حقه ﷻ. أن يقولوا ذلك.

﴿بَل﴾: حرف إضراب إبطالي؛ أي: يبطل ما قبله؛ أي: اتخذ الله ولداً.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

﴿لَّهُۥ﴾: اللام: لام الاختصاص أو الملكية.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: له ملك السموات، كظرف وما فيهن؛ أي: ما تحتويه، وله ملك الأرض؛ كظرف وما فيها كمظروف.

﴿مَا﴾: للعاقل وغير العاقل، وقدَّم: ﴿لَّهُۥ﴾: للحصر.

﴿كُلٌّ﴾: يفيد الاستغراق، والإحاطة بكل شيء، والتوكيد.

﴿قَٰنِتُونَ﴾: جمع قانت، والقنوت: هو الخضوع والانقياد، والامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى والاستقامة على طاعته.

و﴿قَٰنِتُونَ﴾: جمع مذكر سالم، مختص بالذكور العقلاء، الّذين أصبح القنوت سمة ثابتة لهم، ويشمل غير العقلاء أيضاً، وغلب العقلاء على غيرهم للتشريف.

﴿قَٰنِتُونَ﴾: إما بإرادتهم واختيارهم، وإما بلا إرادتهم، واختيارهم، كما يحدث حين المرض، والموت، والمصائب، والقنوت لله: إطاعة الله، والإقرار بعبوديته، وقنت في صلاته؛ خشع واطمأن، وقد تعني: دعا، وأطال الدعاء.

[١١٧] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾:

﴿بَدِيعُ﴾: مبدع، والإبداع هو إيجاد أو خلق الشيء من دون أو على غير مثال سابق.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خالق، أو منشئ السموات والأرض، على غير مثال سابق، أو منشئُها بلا اقتداء، وإذا ظرفية شرطية، تفيد الحتمية، وكثرة الحدوث.

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٥) من سورة مريم.

[١١٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لا علم عندهم، كعبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم. ارجع إلى الآية (١١٣)، وهذا الوصف توبيخ عظيم لهم.

﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود، ومعناها الحض.

﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾: كما كلم موسى عليه السلام؛ أي: كلاماً مباشراً من الله، يقول لهم الله، ويخبرهم، أنه أرسل محمداً ﷺ، رسولاً إليهم، وأنزل القرآن عليهم.

﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾: أي: معجزة، ولقد أجاب الله عن هذا السّؤال، بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:٥٩].

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾: أي: كفار أهل الكتاب، وكفار الأمم السابقة.

﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: أي: مثل قولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾، تكبراً، وعتواً، وتعنتاً، ولو استجاب الله لطلبهم؛ لظلوا في طغيانهم يعمهون.

﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: تشابهت قلوب الّذين لا يعلمون، وقلوب الكفرة، من الأمم السابقة، في التكذيب، والكفر، والعناد، والحجج، والأسئلة، والمطالب. . . .

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ﴾: أي: أوضحنا الآيات، والدلائل، والبراهين على صدق كل رسول.

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يُوقِنُونَ﴾: أي: ينتفع بها الموقنون (الّذين عندهم علم اليقين)؛ أي: العلم الثابت، الذي لا يتغير، ولا يكون غيره، أو الإيمان الثابت المستقر في القلب. ارجع إلى الآية (٤) من نفس السورة لمزيد من البيان في اليقين.

[١١٩] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم، ولا بد من التفريق بين الإرسال والبعث.

﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: الإرسال:

١ - يكون بإرسال شيء جديد؛ أي: برسالة جديدة، أو منهج جديد، أو تغير، أو تعديل في المنهج السابق، حسب الزمان والمكان.

٢ - الإرسال: لا يصاحبه إثارة ولا تهييج، ولا حث كما في البعث.

٣ - الإرسال: من مكان إلى مكان، أو إلى مكان جديد.

٤ - الإرسال: هو أقل شدة، وقوة، ومشقة مقارنة بالبعث.

أما البعث:

١ - فالبعث: هو إحياء منهج كان موجوداً سابقاً، وغفل عنه النّاس، فإذا أراد الله ﷻ إحياء نفس المنهج، الذي غفل عنه النّاس، بعث الله رسولاً، أو نبياً،

لإحياء معالم ذلك المنهج السابق، الذي اندثر؛ أي: باختصار بعث شيء قديماً، وليس هناك من جديد.

٢ - البعث: يصاحبه إثارة، وحض، وتهييج على القيام بالعمل وحث عليه.

٣ - البعث: يكون إلى نفس المكان، أو القرية، أو المدينة.

٤ - البعث: إرسال، وفيه شدة، ومشقة، وقوة، وعمل؛ أشد من الإرسال.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: ملازماً للحق، والحقّ هو الشيء الثابت، الذي لا يتغير، ولا يتبدل، والحق لغة: هو المطابقة والموافقة، وهو الصواب والصحيح، وضده الباطل وكلمة الحق جاءت في (٢٨٣) موضع في القرآن الكريم، ولها معان كثيرة نذكر منها قد تعني الله سبحانه أو القرآن الكريم والإسلام والعدل والرسول والصدق والبيان والحاجة والحظ والنصيب والتوحيد والدين وغيره من المعان...، والسياق هو الذي يحدد المعنى، وقيل: ﴿أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالقرآن، أو بالإسلام.

﴿بَشِيرًا﴾: من البشارة: هي الإخبار، بخبر سار لأول مرة، سابقاً لكل خبر سواه.

والبشارة مشتقة من البشرة، وهو طبقة ظاهرة الجلد أو الوجه الّتي تتأثر وتتغير حين سماع الخبر السار.

وإذا استعملت البشارة في خبر غير سار؛ فذلك من باب التهكُّم والاستهزاء، مثل قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وبشير صيغة مبالغة من بشرَ. ارجع إلى الآية (٢٥) من نفس السورة لبيان معنى البشارة.

﴿وَنَذِيرًا﴾: الإنذار، إعلام مع تخويف، وتحذير.

الإنذار؛ لا يكون إلَّا بالزجر عن أمور، منهي عنها؛ أي: سيئة، أو قبيحة، تسيء إلى الفرد أو الجماعة، وكلما كانت المخافة أشد، كان الإنذار أعظم وأشد،

والإنذار إحسان من المنذِر للمنْذَر، كي يأخذ استعداده، فلا يفاجأ بالأمر المحذر منه، وكل الرسل والأنبياء كانوا مبشرين منذرين، وكان رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً معاً. ونذيراً: صيغة مبالغة من أنذر، وقدم بشيراً على نذيراً؛ لأن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فناسب تقديم البشارة.

﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾: ولا: الواو عاطفة. ﴿وَلَا﴾: النّافية.

أي: لست بمسؤول عن أعمال أصحاب الجحيم، أو تعني: النهي عن السّؤال عن أصحاب الجحيم، ولا تسأل عنهم، فإنهم في أمر عظيم، على وجه التعظيم.

﴿أَصْحَٰبِ﴾: من المصاحبة الملازمة؛ أي: كأنهم لا ينفكوا عنها وهي ملك لهم.

﴿أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾: مثل أصحاب الدار.

﴿ٱلْجَحِيمِ﴾: مشتقة من جحم النار؛ أي: أوقدها، وجحمت النار: تأججت، وجحمت العينان: اشتدت حمرتُهما، والجحوم: مصدر جحم؛ أي: النار المتأججة، فلا تخمد أبداً. وقيل: الجحيم اسم من أسماء النار، أو دركة من دركاتها.

❖❖❖

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا
لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢

سورة البقرة [الآيات ١٢٠ - ١٢٦]

[١٢٠] ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿وَلَن﴾: الواو عاطفة، لن: حرف نفي، ينفي المستقبل، القريب، والبعيد، ولن؛ من أقوىٰ حروف النفي؛ أي: لن ترضىٰ عنك اليهود، ولا النصارىٰ، لا في المستقبل القريب، ولا في المستقبل البعيد.

﴿تَرْضَىٰ عَنكَ﴾: الرضا: القبول.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية؛ أي: لن يرضوا عنك، حتّىٰ يبلغوا غايتهم كاملة، وهي؛ اتّباعك ملّتهم.

﴿تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: الملَّة: هي جملة الشرائع (الشريعة)، ولا تضاف إلَّا إلىٰ النبي، وتسند إليه، وسمِّيت بالملَّة؛ لأنّ الإنسان يميل إليها، وتختلف عن الدِّين، فالدِّين أعم من الملَّة.

الدِّين: جملة الشرائع إضافة إلىٰ القرآن، والسنة.

وتكرار لا: اليهود، ولا النصارىٰ، ولم يقل: ولن ترضىٰ عنك، اليهود والنصارىٰ.

تكرار النفي؛ يفيد أنّ رضا اليهود غير رضا النصارىٰ، ودليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة:١١٣].

ولو قال: لـــن ترضىٰ عنك اليهود والنصارىٰ، لكان ذلك يعني: أنّ رضاهم واحد، وهذا ليس صحيحاً؛ أي: حتّـــىٰ ولو حضيت برضا النصارىٰ، لن تحضىٰ برضا اليهود، والعكس بالعكس.

﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: ولـــم يقل: ملتيهما؛ لأنّ اليهود، يريدونك أن تتبع ملتهم فقـــط، ولا يريدونك أن تتبع ملّة النصارىٰ، وكذلك النصارىٰ نفس الشـــيء، ولو قال: ملتيهما؛ يعني: لن يرضىٰ عنك الجميع حتّىٰ تتبع ملتيهما معاً.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾:

قل لهم يا محمّد ﷺ، إن: للتوكيد.

﴿هُدَى اللَّهِ﴾: أي: الإسلام.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد، ويفيد الحصر.

﴿الْهُدَىٰ﴾: الهدىٰ، الكامل، الصحيح، لا هدايتكم، وما أنتم عليه.

(الهدىٰ الحق الصحيح)، وليس وراءه هدىٰ، وما تدعون إليه ليس بهدىٰ.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾:

لام التّوكيد؛ إن: شرطية، تفيد الشك؛ أي: يشك أن تتبع ملتهم.

﴿اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾: أهواءهم؛ جمع هـــوىٰ، والهوىٰ؛ ما تميل إليه النفس، ويقتضيه الرأي من غير أن يستند إلىٰ دليل شرعي.

والهوىٰ: ما تريده النفس باطلاً بعيداً عن الحق.

﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: أي: القـــرآن. ﴿الَّذِي﴾: اســـم موصول، بالمفرد المذكر المحدد؛ أي: العلم بالقرآن، والعلم بالإسلام.

﴿مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿مَالَكَ﴾: ما: النّافية. من: استغراقية.

﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٠٧) من سورة البقرة لبيان معنىٰ الولي والنصير، ولم يذكر في هذه الآية (من دون الله)؛ أي: لم يقل مالك من دون الله من ولي ولا نصير؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق الآخرة، فلا داعي لذكر من دون الله؛ لأنه سبحانه هو الولي والنصير فقط في الآخرة، وأما حين يذكر من دون الله فيأتي ذلك في سياق الدنيا؛ لأن هنالك من قد يكون ولياً أو نصيراً، أو قد تعني مالك من الله من ولي ولا نصير؛ أي: لن ينصرك الله أو يكون ولياً لك، ومن دون الله؛ أي: لن ينصرك غير الله سبحانه من البشر أو يكون لك ولياً.

لنقارن هاتين الآيتين من سورة البقرة الآية (١٢٠): ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

والآية (١٤٥): ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

الآية (١٢٠): جاءت في سياق القرآن؛ لأنّ كلمة الذي تشير إلىٰ القرآن، والذي اسم موصول، يشير إلىٰ شيء محدد، وهو القرآن أو الدِّين.

الآية (١٤٥): جاءت في سياق تحويل القبلة، ﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾؛ تعني: مباشرة، ومن دون تأخير، غير اتجاهك من المسجد الأقصىٰ إلىٰ الكعبة.

﴿مَا﴾: اسم موصول، ومطلقة، وأشمل؛ وأعم من (الذي)، وتستعمل للأمور العامة، بينما الذي؛ تستعمل للأمور المهمة، والمحددة. (الذي)؛ أقوىٰ وأكد من ما، ولذلك نرىٰ (الذي)؛ استعملت للقرآن، أو الدِّين، و(ما) استعملت لتحويل القبلة، وهو أمر مهم؛ ولكن لا يقارن بأهمية القرآن.

[١٢١] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾: قيل: هم المؤمنون، من أهل الكتاب (اليهود والنصارىٰ).

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التّوراة والإنجيل. وقد يعني: القرآن، وقوله تعالىٰ الذين آتيناهم الكتاب، ولم يقل الذين أوتوا الكتاب، أو أوتوا نصيباً من الكتاب فيه مدح لهم أو لرفع شأنهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: هم المؤمنون بمحمد ﷺ.

يتلونه ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: التلاوة: تعني قراءة آية تلو الأخرىٰ، ولا تكون إلا من الكتاب (القرآن أو التوراة أو الإنجيل)، ولها أجر، وأما القراءة تختلف عن التلاوة ليس لها أجر، وقد تكون من كتاب أو غيره، وقد تكون كلمة أو عدة كلمات؛ يتلونه حق تلاوته؛ أي: لا يحرفونه، ولا يكتمون منه شيئاً، من صفة محمّد ﷺ، أو أي آية.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد؛ أي: لهم المنزلة والدرجة العليا.

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: يصدقونه، ويعملون به.

﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾: من شرطية، ﴿يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: أي: يحرفونه ويكتمون ما جاء فيه من صفات، وأوصاف النّبي ﷺ، (من للمفرد والمثنىٰ والجمع).

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء؛ للتوكيد، أولئك: اسم إشارة.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد، والمبالغة.

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: لأنفسهم يوم القيامة؛ أي: إذا كان هناك خاسرن، فهم في طليعة هؤلاء الخاسرين، وأشدهم خسارة.

[١٢٢] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٤٠، و٤٧) من سورة البقرة.

والسؤال هنا؛ لماذا يكرر قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مرتين؟

قيل: كل آية جاءت بعد معصية، تقتضي أو تحتاج إلىٰ تنبيه جديد، وتذكير، وتحذير.

فالآية (٤٧) جاءت بعد: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

وأما الآية (١٢٢)، جاءت بعد: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

والتكرار؛ يفيد التّوكيد، لعل إذا فاتتهم الموعظة الأولىٰ، سيستيقظون علىٰ الموعظة الثانية.

[١٢٣] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٤٨)، من سورة البقرة للبيان.

[١٢٤] ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَإِذِ﴾: ظرف زمان للماضي، تعني: واذكر إذا ابتلىٰ، أو اذكر حين ﴿ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾.

﴿ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾: ابتلىٰ: اختبـره، والابتلاء: الاختبـار. ارجع إلىٰ الآية (٤٩) للبيان.

ابتلاه ربُّه: تربيته له، وإعداده لحمل الرسالة، وليظهر استحقاقه للإمامة.

إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن مالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

إبراهيم: معناه في السـريانية والعبرية: الأب الرحيم، وإبراهيم في العبرية: إبراهام، وكلمة إبراهيم كلمة أعجمية الأصل، اسـم إبراهيم ورد في (٦) لغات: إبراهِم، إبراهَم، إبراهام، أبرهم.

وورد ذكر اسم إبراهيم (٦٩) مرة في القرآن الكريم.

﴿رَبُّهُۥ﴾: أولاً: فيه تقديم المفعول علىٰ الفاعل، فيه تشريف لإبراهيم عليه السلام.

﴿بِكَلِمَٰتٖ﴾: أي: بتكاليـف (أوامر ونواهٍ)؛ ولأنّ التكليف من الله هو مجرد كلمة افعل أو لا تفعل، وما هي هذه التكاليف؛ اختلف العلماء فيها؛ نذكر منها:

صبـره علىٰ إلقائه في النار، الهجرة إلىٰ الشـام، الهجـرة إلىٰ مصر، وبناء الكعبة، وبذبح ابنه.

وقيل: هي مناسـك الحج، وقيل: هي خصال الفطـرة، وهي المضمضة، والاستنشـاق، والسواك، وقص الشـارب، وقص الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء.

وربّما كان ابتلاؤه بكل هذه الأمور معاً، والله أعلم.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: الفاء للتوكيد، أتمهن: أداهن تامات، وأخبر عن ذلك ﷻ في قوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧].

وبعد أن أتمهن كاملات، وفاز بالابتلاء؛ قال ﷻ له: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾:

﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ﴾: اللام في (النّاس): لام الاختصاص. النّاس: ارجع إلىٰ الآية (٢١).

﴿إِمَامًا﴾: الإمام؛ اسم من يؤتمُّ به، في الدِّين.

والإمام تعني: القدوة في الدِّين، أو الرسول.

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾: استقبل إبراهيم البشرىٰ؛ بجعله إماماً، بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾.

وقول إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾: من: ابتدائية؛ تعني: بعض ذريتي، فمن يصلح للإمامة. والذرية: هم نسل الرجل؛ أولاده، وأحفاده.

واستجاب له ربه، بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

وذرية مشتقة من: ذرأ الله الخلق؛ أي: أظهرهم بالإيجاد.

﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قال: تعود علىٰ الحق سبحانه.

﴿لَا﴾: النّافية؛ لكل الأزمنة.

﴿يَنَالُ﴾: النيل، الظفر، أو الحصول.

﴿عَهْدِى﴾: الإمامة، وقيل: النبوة بالرسالة.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكفار، أو العصاة؛ أي: من كان ظالماً لن ينال عندي.

[١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف زمان، واذكر إذ جعلنا، أو واذكر حين جعلنا.

﴿جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾: البيت الحرام؛ أي: الكعبة.

﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مثابة: اسم مكان؛ مآباً ومرجعاً للحجاج والعمار.

﴿مَثَابَةً﴾: من ثاب يثوب مثاباً بمعنىٰ: رجع، وزيدت فيه التاء؛ للمبالغة في كثرة الثيب إليه، يثوبون إليه من كل حدب وصوب، ومن كل فجٍّ عميق، المرة تلو الأخرىٰ. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص. النّاس: ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

﴿وَأَمْنًا﴾: مأمناً، وملجأً آمناً فيه سكون وطمأنينة؛ كقوله: ﴿حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧].

﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران:٩٧].

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾:

﴿وَاتَّخِذُوا﴾: وجعلوا. من: لابتداء الغاية.

﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾: الحجر؛ الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام، أيام كان يبني الكعبة؛ حيث احتاج إبراهيم إلىٰ حجر ليرقىٰ عليه ليواصل البناء، فالمقام؛ مكان قيامه، أو وقوفه.

﴿مُصَلًّى﴾: مكان للصلاة، تصلون خلفه ركعتي الطواف.

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾:

﴿وَعَهِدْنَآ﴾: العهد؛ تكليف وأمر، فقد يكون من طرف واحد.

ولم يُسند العهد في القرآن إلَّا لله وحده، والعهد أقوىٰ من الوصية، والعهد موثق.

﴿إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: إلىٰ إبراهيم عليه السلام وإسماعيل بن إبراهيم، وإسماعيل؛ اسم أعجمي، لفظ إسماعيل وإسماعين.

﴿أَن﴾: حرف مصدري، يفيد التّوكيد.

﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾: من الأوثان، الرجس ومخلفات الذبح، ومخلفات الهدي؛ هذا في القديم، أما الآن؛ فلله دره في نظافته وطهارته.

﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، الطائفين: جمع طائف، مأخوذة من الطواف، وهو الدوران حول الكعبة سبع مرات.

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: جمع عاكف، والاعتكاف (الإقامة) في المسجد، للصلاة والعبادة مدَّة من الزمن، فالعاكفون هم الملازمون للمسجد الحرام، سواء أكانوا من أهل مكة أو من الزائرين.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: جمع راكع؛ أي: المصلون. والسجود يشمل الظاهر الذي نراه والسجود الباطن الخفي الذي يعني الخشوع والخضوع لله تعالىٰ، وأما

ركعاً سجداً كما في سورة الفتح آية (٢٩) سجداً تعني: كثرة السجود والمداومة عليه.

ولنقارن كلمة ﴿مَّقَامِ﴾: الّتي وردت في هذه الآية، مع كلمة: مَقَام ومُقَام.

مَقام: بفتح الميم مع التشديد؛ تعني: مكان القيام، أو الوقوف أو العمل، وزمن البقاء فيه قصيراً، مثال ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥].

وأما كلمة مُقام: بضم الميم؛ فهو مكان الإقامة والسكن، وزمن البقاء فيه طويل، مثال: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:٦٦].

مَقام: فتح الميم؛ المنزلة والمكانة، مثال: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:١٦٤].

وفي هذه الآية؛ قال ﷺ: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

وفي سورة الحج الآية (٢٦): ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، ذكر القائمين بدلاً من العاكفين؛ لأنه سبق ذكر العاكفين.

في الآية (٢٥) حين قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾؛ أي: سواء العاكف: المقيم فيه، من أهل مكة، أو القادم إليه؛ كزائر، ولكونه جاء بذكر العاكفين فلم يكرر، وأبدلها بكلمة القائمين.

﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾: في الصلاة، أو قيل: المقيمون بمكة.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: ذكرهما؛ لأنهما أهم أركان الصلاة، وفيه عطف الخاص؛ أي: الركع السجود على العام (القائمين)؛ لإظهار أهمية الركوع والسجود. وقال الركع السجود، ولم يقل الركع السُّجَّد؛ لأن السجود يعني:

السجود الظاهري، والسجود الباطني (الخشوع)، وأما السُّجَّد: فهو يدل على السجود الظاهر فقط، وقوله الركع السجود: تدل على التكثير؛ أي: كثرة الركوع والسجود.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف زمان؛ تعني: واذكر إذ قال إبراهيم، أو واذكر حين قال إبراهيم.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ﴾: ﴿رَبِّ﴾: حذف ياء النداء، ولم يقل: يا رب؛ لأنّ الله سبحانه قريب مجيب، لا يحتاج إلى أداة نداء، فلو كان بعيداً لقلنا: يا رب، فهو أقرب إلينا من حبل الوريد.

﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾: ﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يفيد القرب، ويشير إلى مكة، ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾: نكرة؛ حيث كان عبارة عن وادٍ غير ذي زرع، وخالياً من النّاس، وغير آمن.

وجاءت هنا نكرة؛ لأنّ دعاء إبراهيم هذا، كان قبل بناء الكعبة، عندما جاء بزوجته هاجر وإسماعيل إلى واد غير زرع، وكانت مكة بلداً قفراً، قبل أن تسكنها قبيلة جرهم.

﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمن، واستقرار، وكان دعاء إبراهيم؛ هنا، دعاء عاماً قبل بناء البيت وقبل أن تكون مكة بلداً معروفاً.

وإذا رجعنا إلى الآية السابقة (١٢٥)؛ ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ

مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾، فما جدوى دعوى إبراهيم: ﴿اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾؟ أي: يا رب، داوم واستمر، على جعله آمناً، أو ردّه آمناً، وآمناً، يعني: الأمن التام، الكامل، الخالي من الخوف، وللتأكيد على أهمية الأمن، وفي الآية (٣٥) من سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ جاء بأل التعريف؛ ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٥) للبيان ومعرفة الفرق بين الآيتين.

﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ أي: بعض الثمرات.

من آمن: منهم، تعود على أهل هذا البلد؛ أي: ارزق فقط المؤمنين وحدهم؛ أي: من آمن بالله واليوم الآخر. من آمن: من: اسم موصول بمعنى الذي، وشرطية.

ولعل إبراهيم قال ذلك؛ عندما تذكر قول الحق: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فحاول أن يستثني من الرزق من كفر؛ لأنه ربما نسي أنّ الرزق هو من عطاء الربوبية، ولا علاقة له بالإيمان؛ لأنّ الله يرزق الكافر والمؤمن، والعاصي والمطيع؛ ولذلك خالفه الله في الدعاء ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

قال الحق سبحانه: سأرزق من آمن بالله واليوم الآخر، وسأرزق من كفر؛ لأنّ الرزق هو من عطاء الربوبية؛ فهو للمؤمن والكافر معاً.

﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾: لأنّ متاع الدّنيا قليل، ولو كثر وعظم، فهو قليل؛ مقارنة بمتاع الآخرة، وقليلٌ لكونه محدداً بأجلٍ معينٍ لكل إنسان، سنين قليلة، ثم يموت.

والمتاع هو: كل شيء ينتفع به ويتزود به، والتمتع هو شيء يحبه الإنسان، ويتمنى تكراره ودوامه.

والمتاع يتضمن الرزق، بما فيه الطعام، والشراب، والزواج، ويتضمن الأمن.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾: الاضطرار، الإلجاء، والحمل على الشيء، أو الإكراه.

﴿وَبِئْسَ﴾: بئس؛ من أفعال الذم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مصدر ميمي؛ لفعل صار، يصير، بمعنى: رجع؛ أي: بئس المنتهى، والمآل. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٤) في سورة لقمان، وهي قوله تعالى: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ نجد آية لقمان جاءت بصيغة الجمع فمتعهم؛ لأنها جاءت في سياق الدعوة والتبليغ للناس كافة، وآية البقرة خاصة متعلقة بالرزق، ونجد أيضاً أن عذاب النار وبئس المصير هو أشد وأبلغ من العذاب الغليظ؛ لأن العذاب الغليظ قد لا يكون في النار.

❖ ❖ ❖

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

سورة البقرة [الآيات ١٢٧ - ١٣٤]

[١٢٧] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي، ويعني: واذكر إذ يرفع إبراهيم، أو اذكر حين رفع إبراهيم القواعد؛ أي: انقضت جدرانه، وبقيت قواعده في الأرض، وأول من بناه، كما قيل: الملائكة في زمن آدم، ويرفع جاءت بصيغة المضارع، بدلاً من رفع؛ لاستحضار صورة الرفع، وكأنه يرفع الآن، وهذا ما يسمى: حكاية الحال.

والرفع: من الارتفاع؛ فكل بناء له طول، وعرض، وارتفاع، والارتفاع هو البعد الثالث؛ فما دام الطول، والعرض، محددين من قبل؛ منذ البناء الأول؛ فإبراهيم عليه أن يحدد الارتفاع، ومكان القواعد، أو مكان البيت؛ كان مطموراً، وغطته الرمال والأتربة، فلما أُمر إبراهيم بالرفع، أطلع الله سبحانه نبيه إبراهيم عليه السلام على مكانه؛ فوجد قواعده.

﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾: ساعد أباه إبراهيم، في الرفع، والبناء، وكان شاباً؛ حينذاك.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾: يقولان إبراهيم وابنه إسماعيل حين كانا يرفعان القواعد، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾؛ أي: يسألان الله القبول منهما، والثواب فهما لا ينسيان الدعاء، وذكر الله تعالى في زمن العمل والرفع.

﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾: أنت: تفيد التّوكيد. ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لما نقول، وندعوك،

ونرجوك، ولما يقوله عبادك في السر والعلن، وما يقوله كل من في السموات والأرض، من ملك، وإنس، وجان، ودابة، وطير، وكلّ شيء.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: العليم لما نفعل، وما يفعله جميع خلقك من خير وشر، والذي أحاط علمه بكل شيء، وفي أي مكان وزمان، وفي الظاهر، والباطن، والسر، والعلن، فلا يخفىٰ عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، والعليم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾: إسلام الوجه؛ أي: موحدين، مخلصين لك، واقمنا علىٰ دينك، وصراطك المستقيم، عابدين؛ خاضعين، وراضين لأمرك ونهيك، وامتد دعاؤهما؛ ليشمل ذريتهما، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾: من؛ للتبعيض، ولم يقل: واجعل ذريتنا أمة مسلمة لك؛ لكان ذلك يعني الكل؛ اليهود، والنصارىٰ، وأمة الإسلام؛ أي: أمة واحدة علىٰ ملَّة واحدة.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾: تعريف الأمة: جماعة من النّاس، تربطها عقيدة واحدة، أو مبادئ واحدة، هي عقيدة الإسلام، أمة خاصة، وفي تعريف الأمة لا يهم الكم البشري، ولا الحيز الجغرافي.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: أي: بيِّن لنا شرائع ديننا، وأعمال حجِّنا.

والمناسك؛ جمع منسك؛ والأصل أنّ المنسك مكان العبادة، أو زمنها، وقد يكون بمعنىٰ الفعل؛ أي: التعبد؛ أي: أرنا كيف نعبدك، وأين نعبدك، وشاع استعمال المناسك في معالم الحج وأعماله، مثل: الوقوف بعرفات، والإفاضة،

ورمي الجمار، والطواف، والسعي، والنسك؛ كذلك تطلق على الذبيحة. ارجع إلى سورة الحج آية (٣٤) للبيان.

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾: أي: تقبل توبتنا، سألاه التوبة، والتوبة قد تكون توبة إنابة؛ أي: تقريباً إلى الله، من دون ذنب أو توبة من ذنب، ولها شروط قبول. ارجع إلى سورة النّساء، الآيتان [١٧-١٨].

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾: لا تعني: أنّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قد فعلا معصية ما، وأنهما يطلبان التوبة، وقد يكون طلبهما التوبة لذريتهما القادمة.

﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾: (للتوكيد).

﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٧) من سورة البقرة.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: ولم يقل: يا ربنا؛ لأنّ إبراهيم عليه السلام، يعلم أنّ ربه قريب، لا يحتاج إلى (يا) النداء الّتي هي للبعد.

﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾: تعود على ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، وابعث من البعث. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: من العرب، من ذرية إبراهيم وإسماعيل.

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾: التلاوة؛ هي القراءة ﴿ءَايَٰتِكَ﴾: آيات القرآن، والتلاوة تختلف عن القراءة، والتلاوة لا تكون إلا من القرآن ولها أجر، ويعني: قراءة متتالية، والتلاوة أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، والقراءة قد تكون بكلمة.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التعليم؛ يعني: القراءة والأحكام والتبيين، ومعرفة المعنىٰ، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن الكريم؛ أي: يعلمهم فهم معاني آيات القرآن.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الفقه في الدِّين والأحكام، ومقاصد الشريعة، وإصابة الحق.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم من الشرك، والمعاصي، ويهديهم إلىٰ أحسن الأخلاق. وإذا قارنا هذه الآية بالآية (١٥١) في نفس السورة: نجد أن التزكية في الآية (١٢٩) جاءت بعد التلاوة ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأما في الآية (١٥١) التزكية جاءت بعد التلاوة مباشرة وقبل التعليم والحكمة؛ لأن الآية (١٢٩) هي دعاء إبراهيم عليه السلام فأراد لهم التلاوة والتعليم والتزكية، أما الآية (١٥١) هي قوله الله تعالىٰ في سياق المنة عليهم فجاءت قبل التعليم.

﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي، الذي لا يغلب، ولا يُقهر، ولا يمتنع عليه شيء، له العزة جميعاً، ولا يعجزه شيء، عزة القوة، والقهر، والغلبة، والامتناع، لا يحتاج إلىٰ أحد، ولا ينفعه، أو يضره أحد.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في خلقك، وشرعك، وكونك، وحكيم: مشتقة من الحكمة، أحكم الحكماء، واهب الحكمة، لا تخلق شيئاً عبثاً، وأنت أحكم الحاكمين، الحاكم المسيطر علىٰ السموات والأرض وما فيهن، ذو الحكمة المقرونة بالعلم والقدرة والعزة.

وحكيم؛ علىٰ وزن فعيل؛ أي: دائم الحكمة، حكيم بذاتك لا اكتساباً.

وحكيم؛ مشتقة من الحكم، الحاكم علىٰ السموات والأرض، ومن فيهن.

الحاكم بين النّاس بالحق، والحاكم في كل أمر، وإليك ترجع كل الأمور.

[١٣٠] ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو؛ استئنافية. من: استفهام إنكاري، بمعنىٰ النفي؛ أي: لا ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾.

يرغب في الشيء؛ أي: إذا أحبه، وأراده، يرغب عن الشيء؛ أي: إذا كرهه، وتركه، يعرض عنه، ويرفضه، أو يصد عنه.

﴿مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: شريعة إبراهيم، والملَّة؛ اسم لجملة الشرائع المتبعة في الدِّين، والشريعة الكاملة؛ تسمّىٰ الملَّة، والملَّة لا تضاف إلَّا لنبيٍّ.

أما الدِّين: فهو أعم من الملَّة؛ إذ يشمل الشريعة كاملة، وما ورد في القرآن والسنة، وملة إبراهيم؛ هي الإسلام، الملَّة الحنيفية السمحة، والّتي ذكرها الله تعالىٰ في قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:١٦١]. ارجع إلىٰ الآية (١٣٢) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: أصل السفه؛ الخفة في العقل، وضعف الرأي والجهل، والسفه؛ نقيض الحكمة، ويقال للجاهل: سفيه. وسفه نفسه قد تعني: استخف بنفسه، وأهان نفسه؛ لأنه رغب عن اتباع الحق، وهو اتباع ملَّة إبراهيم.

والطيش: خفة مع خطأ في العقل. وإذا رغب عمّا لا يرغب عنه عاقل، يقال: في عقله شيء، من السفه أو الجنون.

﴿وَلَقَدِ﴾: الواو استئنافية. لقد: اللام للتوكيد، قد حرف تحقيق.

﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾: في ذلك الوقت، الذي عاش فيه. كما اصطفىٰ آدم ونوحاً من قبله.

وهو بيان لخطأ من رغب عن ملّة إبراهيم، الذي اصطفيناه في الدّنيا؛ أي: اخترناه من بين النّاس، ليكون إماماً، ونبياً.

وخليلاً: في الدّنيا، وهناك فرق بين الاصطفاء والاختيار في ملحق الآية، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (إن للتوكيد) في الآخرة، ﴿لَمِنَ﴾: اللام للتوكيد. ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي: إبراهيم عليه السلام من الأنبياء الصالحين.

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: جمع صالح، والصالحين لغةً: من صلح، يصلح، وصلح أمره أو حاله: صار حسناً، وزال عنه الفساد؛ عَفَّ، فَضُل، من أمن وعمل صالحاً (معجم المعاني الجامع)، والصلاح: الاستقامة والسلامة من العيب، والصالح المستقيم المؤدي لواجباته، وهو الذي قام بحق وحق العباد، والمؤهل لحمل الخلافة الإيمانية، ويمتاز بصفة الصلاح في العقيدة، والأخلاق، والسلوك، والتربية، ويقاوم الفساد الذي هو ضد الصلاح.

الاصطفاء: هو الاختيار من بين الأشياء المتشابهة، مثلاً: تختار من بين النّاس أحداً فيهم نبياً، أو رسولاً.

الاختيار: هو أن تختار من بين الأشياء غير المتشابهة، مثلاً: تختار قلماً من بين ورقة، وكتاب، وقلم، ومحبرة.

[١٣١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾: أي: واذكر إذ قال له ربه أسلم، أو واذكر حين قال له ربه أسلم، أسلم: هنا تعني: إسلام الوجه، أو الذات وهو أعلىٰ درجات الإيمان، وليس الإسلام العادي؛ أي: «الشهادة، والصلاة، والزكاة، والحج»، وإنما إسلام

الذّات؛ أي: الإخلاص والتوحيد والطاعة والخضوع والانقياد لله وحده حين يكون الله سبحانه سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به، ويده الّتي يبطش بها، ورجله الّتي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، كما ورد في صحيح البخاري، عن أبي هريرة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:١٢٥].

إذ قال له ربه: أسلم، ولم يقل: أسلم لي؛ لأنّ الإسلام مفهوم ومعروف فقط لله وحده، ولا حاجة لذكر لي أو له، وأجاب إبراهيم عليه السلام أسلمت لرب العالمين، والرّب تعني: الخالق، والمدبر، والمربي، والرّزاق، والحفيظ.

[١٣٢] ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ ﴾: من الوصية، والوصية:

ووصَّى بالتشديد أبلغ من وصَى؛ لأنّها تكون لمرات كثيرة، ولكلّ واحد من بنيه، ووصَّى تستعمل للأمور المعنوية، مثل أمور الدِّين، أما أوصى فللأمور المادية الملموسة. ارجع إلى سورة النساء آية (١١)، وسورة لقمان آية (١٤) لمزيد من البيان في وصى، والفرق بين وصَّى وأوصى.

﴿ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾: تقديم الجار والمجرور (بها) الّتي تعود على الوصية؛ أي: بدلاً من القول، ووصى إبراهيم بها، قال: ووصى بها إبراهيم؛ للدلالة على أهميتها، وعظمتها.

﴿ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾: بنيه: إسحاق وإسماعيل ويعقوب، (ابن ابنه) إسحاق.

﴿ يَٰبَنِىَّ ﴾: يا: النداء للبعد، قال: بني بدلاً من أبنائي. فيها تصغير يدل على

الرّأفة والشّفقة عليهم، الوصية: هي إنّ الله اصطفى لكم الدِّين فلا تموتن إلَّا وأنتم مسلمون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: الدّين: جاء بأل التعريف؛ أي: الإسلام ديناً (دين التّوحيد...) يا بني أنّ الله: اصطفى لكم الإسلام ديناً؛ لأنّ الدّين عند الله الإسلام. والاصطفاء يكون من بين الشرائع، وليس من بين الأديان؛ لأن ليس هناك إلا دين واحد هو الإسلام. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٤٤) لمزيد من البيان، والفرق بين الاختيار والاصطفاء والاجتباء.

والدِّين: هو الطاعة والانقياد والشريعة والجزاء والعقيدة، والمنهج، ويسمى الصّراط المستقيم، والدِّين أعم من الملَّة، والدِّين يضاف إلى الله تعالى، وإلى الأنبياء، وإلى الأئمة، أما الملَّة فتضاف إلى الأنبياء، وإلى الأئمة، والدِّين واحد هو الإسلام، والشرائع مختلفة؛ الشريعة الإسلامية، والشريعة اليهودية، والنصرانية...

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّاهية.

﴿تَمُوتُنَّ﴾: نون التّوكيد.

﴿إِلَّا﴾: حصراً وقصراً.

﴿وَأَنتُم﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿مُّسْلِمُونَ﴾: إسلام الوجه الّذي هو أعلى درجات الإيمان، كما بينا في الآية السّابقة (١٣١)؛ أي: على التوحيد والإخلاص (مخلصون موحدون).

وإذا كان إبراهيم عليه السلام قد وصّى بنيه بتلك الوصية، فالله ﷻ بذاته وصّى

الّذين آمنوا بنفس الوصية، بل بأحسن منها حين قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

[١٣٣] ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾:

أسباب النّزول: كما روىٰ الواحدي في أسباب النزول. قيل: نزلت هذه الآية في اليهود الّذين قالوا للنبي ﷺ: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصىٰ بنيه باليهودية، فرد اللهُ عليهم بقوله بهذه الآية: أكنتم شهداء؛ أي: حضوراً لما حضر يعقوب الموت، فقال:

﴿أَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري بمعنىٰ النّفي، والتّوبيخ.

﴿شُهَدَآءَ﴾: جمع شاهد، أو شهيد، واصل الشّهادة: الرّؤية والحضور، وشاهدت شيئاً؛ أي: رأيته، وكنت حاضراً، وقال بعضهم: الشّهادة في الأصل إدراك الشّيء من جهة سمع، أو رؤية الشّيء، والإحاطة به، والعلم بالمشهود.

والشّاهد: هو الّذي يرىٰ الشّيء، أو الحادثة فيشهد بما رآه وسمعه إذا دُعي إلىٰ ذلك، والشّاهد قد لا يعلم تفاصيل الحادثة وأسبابها وخفاياها.

أما الشّهيد: صيغة مبالغة والله سبحانه سمىٰ نفسه شهيداً، والشّهيد أكثر علماً من الشّاهد؛ لأنّه يعلم تفاصيل الحادثة، وأسبابها، وخفاياها، ويحيط بالمسألة إحاطة كاملة.

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾: حضر فيها معنىٰ القدوم، أو المجيء، مع المكث والبقاء؛ أي: حضر الموت يعقوب، وكأنّه جالس وحاضر معه، ولم يمت

بعد، ولم يستعمل جاء؛ لأنّ ليس فيها معنىٰ المكث، والبقاء، ويفارق الحياة مباشرة، وفي كلمة جاء معنىٰ الصّعوبة؛ أي: إذا جاء الموت والمشقة.

واستعمل حضر حتّىٰ يعطي يعقوب مدَّة، وزمن؛ لكي يوصي بنيه، وقدَّم يعقوب علىٰ الموت بدلاً من القول؛ إذ حضر الموتُ يعقوب؛ أي: قدَّم المفعول علىٰ الفاعل (والأصل أن يقدَّم الفاعل علىٰ المفعول)، وهذا التقديم له غرض بياني، فكأنّ الله سبحانه لا يريد أن يفاجئ يعقوب بالموت، فقدَّم يعقوب؛ لأن يعقوب وكلّ إنسان يكره الموت، ولذلك أخر ذكر الموت؛ لكي يخفف ويراعي حالة يعقوب النّفسية.

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾: إذ: ظرف زماني بمعنىٰ: حين قال لبنيه.

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: ما: الاستفهامية، وتعني: أي شيء تعبدون من بعدي، ما تعبدون، ولم يقل من تعبدون من بعدي؛ لأنّ ما تستعمل لغير العاقل، أو صفات العاقل، إذا استعمل ما هنا بدلاً من؛ لأنّه يقصد بالسؤال عن صفة أو صفات المعبود.

﴿مِنۢ بَعْدِى﴾: من بعد موتي.

﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾: هنا عطف الشيء علىٰ مرادفه بإله آبائه هو إلهه، ولذلك قال: إلهاً واحداً؛ للتوكيد.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: الواو: تفيد التّوكيد، مسلمون: مخلصون موحدون مطيعون، والجملة الاسمية تفيد الثّبوت؛ أي: صفة الإسلام ثابتة.

قال أولاد يعقوب لأبيهم يعقوب: نعبد إلهك (أي: الله)، وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق؛ أي: إله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهو الله.

وإبراهيم هو جد يعقوب، وإسماعيل هو عم يعقوب، فأطلق عليهم لقب الأب؛ لأنّ العرب كانت تسمي العم أباً، والجد أباً.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد.

﴿أُمَّةٌ﴾: أي: أمة إبراهيم.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق وتوكيد.

﴿خَلَتْ﴾: مضت وانتهى زمانها، وخلت قد تعني: انفردت، وخلا فلان بفلان؛ أي: انفرد به؛ أي: لها خصائصها وزمانها.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق، ما: اسم موصول، أو مصدرية، لها ما كسبت من الإيمان والأعمال الصّالحة، والكسب: هو الفعل العائد على فاعله بنفع أو ضر.

﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من الإيمان، والأعمال الصّالحة، أو الذنوب والسيئات؛ أي: لا ينفع الأبناء كسب الآباء، أو بالعكس، (الخطاب هنا للنبي ﷺ ولعامة المسلمين)؛ أي: لا تسألون عن أعمالهم، كما لا يسألون عن أعمالكم؛ أي: لا تزر وازرة وزر أخرى. ارجع إلى الآية (١٤١) في نفس السورة للمقارنة والبيان.

الفرق بين كسب واكتسب: كسب في القرآن تدل على فعل الخير، واكتسب على وزن افتعل تدل على فعل الشّر، ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة.

﴿عَمَّا﴾: ما: مصدرية، أو اسم موصول.

❖ ❖ ❖

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

سورة البقرة [الآيات ١٣٥ - ١٤١]

[١٣٥] ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾: فيه حذف؛ أي: وقالوا: يهود المدينة للمسلمين، كونوا يهوداً تهتدوا؛ لأنّ موسىٰ هو أفضل الأنبياء، والتّوراة أفضل الكتب، ودين اليهود أفضل الشّرائع، تهتدوا إلىٰ الطّريق الصّحيح.

وقال نصارىٰ نجران للمسلمين: كونوا نصارىٰ تهتدوا؛ لأنّ عيسىٰ أفضل الأنبياء، والإنجيل أفضل الكتب، وشريعتهم أفضل الشّرائع، تهتدوا إلىٰ الطّريق السّوي الصّحيح كما روىٰ ابن عباس.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا﴾: جمع هائد؛ أي: تائب، ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٢) من سورة البقرة للبيان.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي يبطل ما قبله من الأقوال.

﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾: أي: قل لهم يا محمّد: بل نتبع ملّة إبراهيم الّذين تدعون أنكم أتباعه، ﴿حَنِيفًا﴾: أي: المائل عن الأديان كلّها إلىٰ دين الإسلام، وأصل الحنف: هو ميل وعوج في القدَم حيث تميل القدَم اليمنىٰ إلىٰ اليسار، واليسرىٰ تميل إلىٰ اليمين، إذن الحنف هو اعوجاج في القدَم، فكيف يُجعل الحنف رمزاً للصراط المستقيم؛ لأنّ الرّسل حين يبعثهم الله يكون مجتمعهم

معوج، فيحاولــون أن يصلحوا هذا الاعوجاج كما يتم تقويــم القدَم بالاعتدال والاستقامة.

﴿وَمَا كَانَ﴾: الواو: عاطفة، ما: النّافية لكلّ الأزمنة.

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: من: ابتدائية. استغراقية.

[١٣٦] ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾:

الخطاب للمؤمنين:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾: قولــوا آمنا بالله: البــاء: للإلصاق؛ بالله: تعنــي: إيمان العقيدة بالله؛ وحده وبما أُنزل إلينــا؛ أي: القرآن الكريم، ولمعرفة الفرق بين أنزل، ونزل، وإلينا، وعلينا: أنزل: تعني: جملة واحدة، أو دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا.

نزل: تعني منجماً علىٰ دفعات، وبالتّدرج علىٰ مدىٰ (٢٣) سنة من السّماء الدّنيا علىٰ رسول الله ﷺ، وتستعمل للأمور المهمة، والمؤكدة، والمبالغ فيها، أو الموقف أشد.

﴿أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾: إلينا: تســتعمل في القرآن في ســياق الدّعوة والتّبليغ، إلىٰ: تفيد الانتهاء؛ أي: لينتهي إلىٰ النّاس، أو منتهىٰ الغاية.

أنزل عليك: تســتعمل في سياق التّشــريف بالأمور الخاصة برسول الله، علىٰ: تفيد العلو والاســتعلاء، وتفيد المشــقة والشّــدة؛ أي: علىٰ: تستعمل في سياق ما هو أشــق في الموقف، وعلىٰ: أقوىٰ وأكد من إلىٰ، وعلىٰ: تفيد البدائية بينما إلىٰ تفيد النّهاية.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: وإسماعيل، وإسحاق أولاد إبراهيم عليه السلام، ويعقوب ابن إسحاق عليهما السلام، وأما الأسباط: قيل: هم أبناء يعقوب، وقيل: هم من أحفاد يعقوب، أو ذريته، أو من صلبه، وكانوا أنبياء، وهذا هو المرجح؛ لأن أبناء يعقوب إلا يوسف لم يكونوا أنبياء، وأما معنى السبط: القبيلة، أو من شجرة واحدة، أو الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد، أو أحفاد الرجل، أو ابن البنت.

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾: موسى (التّوراة)، وعيسى (الإنجيل).

﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾: والإيتاء هو العطاء، ولكن الإيتاء ليس فيه تملك بعكس العطاء فيه معنى التّملك، الإيتاء يمكن أن تسترده أمّا العطاء فلا تستطيع أن تسترده والإيتاء أعم من العطاء، والإيتاء يشمل الأمور المعنوية الحسية، بينما العطاء يكون فقط في الأمور الحسية أو المادية.

وتكرار لفظي أنزل: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾، والإيتاء: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ دفعاً لمن ظن، أو توهم أنّ كل الذي أنزل على محمّد ﷺ هو نفسه الّذي أنزل على إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وكذلك ما أوتي موسى، وعيسى هو نفسه ما أوتي النّبيون من ربهم، فالأحكام، والشّرائع مختلفة.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾: أي: نحن نؤمن بكلّ رسل ونبي، ونصدق أنّ عقيدتهم واحدة، وهي: لا إله إلّا الله، وإن اختلفت الأحكام، والشّرائع، باختلاف العصور، فنحن لا نؤمن ببعض، ونكفر ببعض.

﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: نحن لله مطيعون، مخلصون، موحدون.

لنقارن هذه الآية (١٣٦) من سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

مع الآية (٨٤) من سورة آل عمران: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

في آية البقرة: ﴿قُولُوٓاْ﴾: الخطاب موجه إلى المسلمين.

في آية آل عمران: ﴿قُلۡ﴾: الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾: ﴿إِلَيۡنَا﴾: لأنّ الإنزال على رسول الله أوّلاً بأوّل، ثمّ انتهى، إلينا أي: إلى المؤمنين، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النّبيون من ربهم.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾: علينا: تعني الرسول والمؤمنون، وما أنزل على إبراهيم، وإسماعيل، وما أوتي موسى وعيسى والنّبيون من ربهم.

تكرار وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النّبيون من ربهم: ما أوتي موسى وعيسى هو غير ما أوتي النّبيون من الأحكام والشّرائع، وعدم تكرار ما أوتي في آية آل عمران؛ لأنّ ما أوتي موسى وعيسى والنّبيون هو نفسه (مثلاً عقيدة لا إله إلّا الله والتّوحيد والرّبوبية).

فالإيتاء يقسم إلى قسمين قسم مختلف ذكر في آية البقرة، وقسم نفسه ذكر في آية آل عمران، فنحن نؤمن بكلّ منهما، وفي آية آل عمران بما أنّ الخطاب موجه إلى رسول الله فالرّسول لا يحتاج إلى تكرار، وما أوتي مرتين للتوكيد.

[١٣٧] ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء للتأكيد. إن: شرطية.

﴿ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: أي: فإن آمن أهل الكتاب، وغيرهم من الأمم، ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: ما: اسم موصول بمعنىٰ الذي آمنتم به؛ أي: أقروا بالوحدانية، وصدقوا بكلّ الأنبياء والرسل، واتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً.

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾: أي: إلىٰ الصّراط المستقيم، أو الغاية أو الحق، فقد: الفاء تفيد التّوكيد، قد: تفيد التحقيق.

﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾: إن: شرطية، تولوا: ابتعدوا عما تدعوهم إليه من أتباع الحق، والهدىٰ، والإسلام، وفرّقوا بين الله ورسله، وصدقوا ببعض، وكفروا ببعض.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد، إنما: كافة مكفوفة تفيد زيادة التّأكيد.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل يفيد التّوكيد.

﴿فِى شِقَاقٍ﴾: في خلاف معكم، وخلاف مع بعضهم بعضاً، موقف العداوة والخلاف، والشّقاق مشتقة من الشّق، وهو الّذي يفصل بين الشيئين؛ أي: كل واحدٍ منهم في شق غير شق الآخر، بسبب ما بينهما من العداوة، وقيل: مشتقة من شق العصا؛ أي: أظهر العداوة، وإذا استمروا علىٰ موقفهم هذا:

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾: شرهم، وأذاهم، ومكرهم، وينصركم عليهم، وقد حدث ذلك علىٰ سبيل المثال حين قاتل رسول الله بني قريظة، وأجلىٰ بني النّضير، والسّين في ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾: للمستقبل القريب.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير يفيد التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٢٧) من سورة البقرة للبيان.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾:

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: أي: دين الله (الإسلام)، وشبه الدّين (الإيمان) بالصّبغة؛ لأنّ آثاره تظهر علىٰ المؤمن، كما يظهر الصّبغ في الثّوب، والصّبغة هي إدخال لون علىٰ شيء بحيث يُغير لونه، والصّبغ ينفذ في المصبوغ كالقطن، أو الصّوف فيصبغه، والصّبغة غير الطّلاء: لأنّ الصّبغة تتدخل وتتسرب مادتها في مسام القماش، أو الصّوف، بينما الطّلاء: يبقىٰ كطبقة خارجية لا تتدخل، ولا تتسرب كثيراً في المسام، فكأنّ الإيمان بالله، والدّين صبغة إلهية تتغلل في الجسد البشري بدرجات مختلفة حسب إيمان الفرد، وأحياناً قد تصل هذه الصّبغة إلىٰ خلايا القلب، وكأنّ إيمان غير المسلمين كالطّلاء لا ينفذ إلّا قليلاً، وإيمان المسلمين إيمان يصل إلىٰ أعماق النفس والقلب.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: ومن أحسن، ومن: استفهام تقريري، والجواب لا يوجد من هو أحسن من الله ديناً.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾: له: لام الاختصاص والاستحقاق، وتقديم له علىٰ عابدون تفيد الحصر؛ أي: فقط له عابدون؛ أي: لا نعبد إلّا إياه وحده.

﴿عَٰبِدُونَ﴾: أي: مطيعون لأوامره، مجتنبون نواهيه.

[١٣٩] ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾:

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾: قل يا محمّد لهم: أتحاجوننا: الهمزة همزة استفهام إنكاري، وتوبيخ، والمحاججة: هي الحوار بين طرفين، أو أكثر؛ لإثبات الحجة،

وإظهار الحق من الباطل؛ كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة:٢٥٨]، أتحاجوننا في الله: أي: من شأنّ الله واصطفائه لمحمد كنبي من العرب، وأنّكم أحق بالنّبوة، أو أنّكم أولياء الله وأحبائه.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتّوكيد.

﴿رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: أي: نحن وأنتم الله ربنا، فهو الّذي يفصل بيننا وبينكم بالحق، فنحن:

﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: ولا حاجة للمحاججة والادعاءات الباطلة.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: لـه: اللام لام الاختصاص، والاستحقاق، وتقديم له الجار والمجرور على مخلصون بدلاً من القول، ونحن مخلصون له تفيد الحصر؛ أي: له وحده مخلصون؛ لأنّ العمل الصالح لا يُقبل إلّا إذا كان خالصاً لوجه الله تعالى.

ومخلصون جملة اسمية تفيد الثبات؛ أي: صفة الإخلاص عندنا ثابتة لا تتغير.

[١٤٠] ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام، والإنكار على قولهم: أنّ إبراهيم وأولاده كانوا هوداً ونصارى، أم للإضراب الانتقالي.

﴿تَقُولُونَ﴾: أي: تدّعون، أو تزعمون أنّ هؤلاء الأنبياء إبراهيم وأولاده، ويعقوب وأولاده كانوا هوداً، أو نصارى، أو للتخيير.

وهم قد جاؤوا قبل موسىٰ، وقبل عيسىٰ، واليهودية، والنّصرانية ما حدثتا إلّا بعد موسىٰ، وبعد عيسىٰ عليهما السلام.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمّد.

﴿ءَأَنتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، وتوبيخ.

﴿أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾: بما كانوا عليه من الدّين وهل هم يهود أو نصارىٰ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: ومن استفهامية تفيد التّعجب، والإنكار، والإقرار.

﴿أَظْلَمُ﴾: علىٰ وزن أفعل؛ أي: لا أحد أشد ظلماً من هذا الّذي يكتم شهادة.

﴿عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أي: يخفيها عن النّاس، ومن الثّانية هي استغراقية تشمل كل فرد.

والشّهادة هي علمهم بأنّ إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، ولم يكونوا هوداً، ولا نصارىٰ، أو قد تكون الشّهادة إنكارهم لأوصاف محمّد وصفاته ﷺ، وأنه الرسول المنتظر ويجب تصديقه واتباعه.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: النّافية، وأقوىٰ في النّفي من ليس.

﴿ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ﴾: الباء: للتوكيد، والإلصاق، غافل: من الغفلة وهي عدم حضور الشيء في البال، عدم التّفطن للشيء؛ لعدم اليقظة، أو الانتباه. ارجع إلىٰ الآية (٧٤) من نفس السورة، لمزيد من البيان.

﴿عَمَّا﴾: عن: تفيد المجاورة؛ أي: الابتعاد، ما: اسم موصول، أو حرف مصدري.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: أي: تقولون، أو تفعلون.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية السّابقة (١٣٤)، فالآية (١٣٤) الخطاب فيها للنبي ﷺ، ولعامة المسلمين، أما الآية (١٤١) فالخطاب فيها لليهود والنّصارىٰ الّذين زعموا أنّ إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب كانوا هوداً ونصارىٰ.

وزعموا لكونهم ينتسبون إلىٰ هؤلاء الأنبياء؛ فإنّ ذلك سوف يشفع لهم يوم القيامة، فجاء الرّد علىٰ ذلك تلك أمّة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم؛ أي: أنتم لن تسألوا عما كانوا يعملون، وهم لن يسألوا عما أنتم تعلمون، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩]، وهناك من قال: إنّ الآيتين بخصوص بني إسرائيل والنّصارىٰ.

فالآية (١٣٤): تعني: أنّ نسبكم إلىٰ إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق لن يشفع لكم يوم القيامة بما قدّمتموه، وحرفتموه، وعصيتموه.

والآية (١٤١): تعني: حجتكم بكونكم هوداً، أو نصارىٰ بالفعل لن يشفع لكم أيضاً، أو من جاؤوا قبلكم من أهل الكتاب لهم ما كسبوا من الأجر ولكم ما كسبتم من الإثم بمخالفتهم.

❖ ❖ ❖



سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۖ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ
ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

سورة البقرة [الآيات ١٤٢ - ١٤٥]

[١٤٢] ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

سبب النّزول: روىٰ البخاري عن البراء قال: لما قدِم رسول الله ﷺ المدينة، فصلّىٰ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجَّه نحو الكعبة، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤]، فقال السّفهاء من النّاس وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الآية.

﴿سَيَقُولُ﴾: السّين للاستقبال القريب.

﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: أل: التّعريف؛ أي: نعرف من هم السّفهاء، السّفهاء: جمع سفيه: من السّفه، وهو الخفة، وضعف الرّأي، والسّفهاء: هم الجُهلاء.

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: من: ابتدائية، النّاس: من المشركين (أهل مكة)، والمنافقين، ومن اليهود، ولماذا اقترنت كلمة النّاس بالسّفهاء؛ لأنّ السّفهاء تعني حتماً من النّاس للدلالة علىٰ أنّ السّفه هو سمتُهم، وقد بلغوا أعلىٰ درجات السّفه.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾: ما: استفهامية، ولاهم: أي: ما صرفهم (أي: النّبي ﷺ والمؤمنين) وحولَهم.

﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾: أي: قبلة بيت المقدس، والقبلة: اسم للجهة الّتي يتوجه إليها الإنسان في صلاته، أو الوجهة الّتي يتوجه إليها بوجهه.

﴿ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا﴾: فإن رسول الله ﷺ والمسلمون كانوا يصلون باتجاه بيت المقدس (باتجاه الشمال) بعد الهجرة إلىٰ المدينة، كما روىٰ البخاري في حديث البراء الّذي سبق ذكره في سبب النّزول، وكان استقباله إلىٰ بيت المقدس بأمر من الله ووحيه، كما قال ابن عبّاس.

﴿قُل﴾: يا محمّد لهؤلاء السّفهاء.

﴿لِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾: مُلكاً، وخلقاً، وشمالاً، وجنوباً، فالكون له وحده، وله الخلق والأمر. لله: اللام لام الاختصاص تدل علىٰ الحصر؛ أي: لله حصراً.

﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾: من يشاء إلىٰ صراط مستقيم، لم يُبين لنا ما هو الصّراط المستقيم، ولكن بينه في سورة الحمد آية (٦-٧)، وقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: الإسلام. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة، آية (٦) لمزيد من البيان.

[١٤٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: عاطفة، الكاف: للتثبت، ذلك: اسم إشارة للبعد، يفيد بُعد منزلتهم.

كذلك: تعني: مثل، أو كما هديناكم إلىٰ القبلة جعلناكم أمة وسطاً.

﴿جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ الخطاب للرسول ﷺ ولأمته.

والأمـــة هي الجماعة الّتـــي تجمعها عقيدة واحدة بغـــض النّظر عن الكم البشري، والحيز الجغرافي.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: الوســـط في الأصل: هو المنتصف، ووســـط الشّيء، وله طرفان متساويان القدر. وقيل: الوسط: العدل (قال ابن عباس) والخيار.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: أي: جعلناكم الخيار العدول؛ أي: لا غلو، ولا تقصير في العقيدة والعبادات.

﴿لِّتَكُونُوا﴾: اللام: لام التّعليل.

﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: قيـــل: هـــؤلاء الشّـــهداء هـــم أولو العلـــم من أمة محمّد ﷺ، فقط الّذين يســـألون أن يشـــهدوا يوم القيامة، أو يدعون إلىٰ الشّهادة للأنبياء علىٰ أممهم أنهم قد بلغوا رســـالات ربهم بعـــد أن تكذبهم أممهم، فقد روىٰ البخاري في صحيحه عن أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعىٰ نوح يـــوم القيامة فيقول: لبيك وســـعديك يا رب، فيقـــول: هل بلغت؟ فيقـــول: نعم؛ فيقال لأمتـــه: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا مـــن نذير؛ فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته؛ فيشـــهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شـــهيداً، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، والسّؤال هنا ما دلالة تقديم الشّهداء علىٰ رسول الله ﷺ؛ لأنّ شهادتهم علىٰ الأمم والأنبياء هو الهدف العام الأول، وكون الرّسول شـــهيداً عليهم هو الهدف الخاص بهم، وكيف يشـــهدون علىٰ غيرهم من الأمم وعلىٰ الرســـل وهم لم يدركوهم؟ يقولـــون بما معناه: ربنا قرأنا كتابك وقصصت علينا أنهم قد بلغوا فشـــهدنا بما عهدت إلينا فيقول الرب: صدق نوح (أو الرسل) وصدقت أمة محمد.

وهذه ميزة لأمة محمّد ﷺ على سائر الأمم الأخرى. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة؛ لمعرفة معنى النّاس. وارجع إلى سورة الحج آية (٧٨) لمزيد في معنى شهداء على الناس.

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: يكون على أمته شهيداً في الآخرة على أنّه قد بلغهم (الرّسالة)؛ أي: شرعُ الله، أو يشهد على أعمالكم، ولم يقل لكم شهيداً، أو شهيداً لكم أي: يشهد لمصلحتكم، وإنما قال عليكم؛ أي: على أعمالكم؛ لأنّ على تفيد الاستعلاء؛ لأنّ حياة ومصير المشهود عليه رهن بشهادة الشّهيد، وليس الشّهيد بمنزلة المشهود له؛ أي: المتهم، أو شهيداً على صدقكم فيما شهدتهم به للرسل.

﴿وَمَا﴾: النّافية.

﴿جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: هذا بيان للحكمة في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة: إنّه اختبار إيماني لهم، فالله سبحانه يعلم علم اليقين ماذا سيحدث، وما فعل ذلك إلّا ليكون الإنسان شهيداً على نفسه يوم القيامة، ويعلم درجة إيمانه، ومن يتبع الرّسول فيما أوحى اللهُ إليه ممن سينقلب على عقبيه، والعقب هو مؤخَّر القدَم؛ ويعني: الرّجوع إلى الوراء، والمراد به الارتداد عن الإسلام، والعودة إلى اليهودية، أو الشّرك، وينقلب على عقبيه استعارة تمثيلية للمرتد عن دينه.

﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾: وإن المخففة تفيد التّوكيد، لكبيرة: اللام للتوكيد، إلا: للحصر.

وإن كانت هذه العملية تحويل القبلة لكبيرة؛ أي: أمر ثقيل، أو عملية شاقة إلّا على الّذين هداهم الله، والصّادقين في إيمانهم في اتباع الرّسول ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾: ما: النّافية، ليضيع: اللام للتوكيد.

ثباتكم على الإيمان والاستقامة. وقيل: نزلت فيمن صلّى إلى بيت المقدس، ومات قبل تحويل القبلة فصلاته غير ضائعة وله أجره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾: انتبه إلى إن حرف توكيد، واللام في رؤوف حرف تأكيد ثان، بالناس: الباء للإلصاق. النّاس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان. رؤوف: من الرّأفة أشد من الرّحمة، والرّحمة أعم من الرّأفة.

﴿رَّحِيمٌ﴾: لا يضيع أجر، عمل عاملٍ منكم مهما كان.

والصّلاة إلى بيت المقدس في البداية كان لها حِكم كثيرة لا يعلمها إلّا الله إضافة إلى الاختبار الإيماني، قد يكون من بينها دلالاتها على وحدة الرّسالات السّماوية، ولتهدئة الصّراع النفسي لهؤلاء الّذين خرجوا من مكة، ولنعلم أنّ الكعبة كانت في ذلك الزّمان محاطة بالأصنام، ولم يتم تطهير الكعبة من رجس الوثنية بعد، والعبادة ليس وقفاً على جهة معينة، والتّسليم لما أمر الله هو أساس الطّاعة.

[١٤٤] ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق توكيد، ويفيد الكثرة.

﴿نَرَىٰ﴾: تدل على مرات كثيرة، ولم يقل قد رأينا؛ لأنّ رأينا تدل على مرة واحدة.

﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: تردُّد وجهك بالنّظر إلىٰ السماء المرة تلو المرة طالباً قبلة غير الّتي أنت عليها (قبلة بيت المقدس).

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: الفاء: للتأكيد، والنّون في نولينك: للتأكيد.

لنولينك: من التّولية، وتولية الوجه المكان؛ أي: اجعله أمامك، أو استقبله بوجهك، فلنولينك؛ تعني: لنوجهنك.

﴿قِبْلَةً﴾: أي: الجهة الّتي يستقبلها الإنسان في الصّلاة.

﴿تَرْضَىٰهَا﴾: الرّضا هو اطمئنان القلب إلىٰ أمر فيه نفع، والرّضا: هو المحبة النّاتجة عن التّعقل، والتّفكير؛ أي: محبة ممزوجة بالفكر والعقل؛ لأنّ الحب من دون فكر، وعقل قد لا يدوم، أو لا تحمد عقباه.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي: استقبل بوجهك في الصّلاة المسجد الحرام، والمراد بالوجه (الذّات؛ أي: جملة البدن) من قبيل المجاز؛ أي: إطلاق الجزء، وإرادة الكل.

شطر المسجد الحرام، وقال المسجد الحرام لم يقل الكعبة تحديداً؛ لإزالة الحرج علىٰ المسلمين؛ لأنّ المسجد الحرام يضم الكعبة حجر إسماعيل، ومقام إبراهيم، وكل ما حوله إلىٰ حدوده.

الشّطر: الناحية الجهة؛ أي: جهته وناحيته، ونحوه وتلقاءه، والشّطر: هو النّصف، فإذا وقفت في وسط دائرة فيكون نصفها أمامك، ونصفها خلفك.

أي: اجعل وجهك جهة المسجد الحرام؛ أي: نحوه، وتلقاءَه، وبهذا الأمر الإلهي تحوَّلت القبلة من بيت المقدس إلىٰ المسجد الحرام.

روىٰ البخاري عن البراء قال: لما قدِم رسول الله ﷺ المدينة فصلّىٰ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً.

وروي عنه ﷺ: أنه كان يصلِّي في مكة نحو بيت المقدس، وكان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فكأنه يستقبل القبلتين معاً.

وبعد الهجرة لم يعد يمكنه ذلك، فصار ﷺ يكثر تقلب وجهه في السّماء، ويدعو الله أن يوجهه نحو المسجد الحرام، وهكذا حتّىٰ نزلت هذه الآية.

وروي عنه أنّه ﷺ كان يصلِّي الظّهر في مسجد بني سلمة المعروف الآن بمسجد القبلتين، فنزل الوحي (جبريل) بهذه الآية فصلّىٰ ركعتين إلىٰ بيت المقدس، ثم صلّىٰ ركعتين إلىٰ المسجد الحرام، وصلّىٰ وراءَه المسلمون.

وقد جاء في صحيح البخاري: أنّ الصّلاة الّتي وقع فيها التّحويل (تحويل القبلة) كانت صلاة الظّهر في المسجد النّبوي فصلّىٰ ركعتين متّجهاً إلىٰ المسجد الأقصىٰ، وركعتين إلىٰ المسجد الحرام.

وخلاصة أقوال المفسرين: أنّ صلاة الظّهر صلاها ﷺ كانت في بني سلمة صلّىٰ فيها ركعتين (من أصل ٤ ركعات) نحو المسجد الأقصىٰ، وصلّىٰ الركعتين الباقيتين من صلاة الظّهر نحو المسجد الحرام، وصلّىٰ صلاة العصر في المسجد النّبوي كاملة نحو المسجد الحرام.

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: وحتىٰ لا يعتقد أحد أن تحويل القبلة خاصاً بأهل المدينة؛ لذلك قال ﷻ: وحيث ما كنتم: في أي بلد، أو مدينة، أو قرية، أو فلاة، أو كهف فولوا وجوهكم شطره.

وحيث: للمكان والزّمان والحال، وحيث: اسم مكان مبهم يفسِّره ما يضاف إليه، وإضافة ما (المطلقة) إلىٰ حيث تزيدها إبهاماً وغموضاً.

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾: في أي مكان على وجه الأرض، وأي ناحية من النواحي معروفة أو غير معروفة (مبهمة، غامضة).

﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: اتجهوا بوجوهكم نحو المسجد الحرام، وقد يتساءل سائل لماذا لم يستعمل وأينما كنتم بدلاً من حيثما كنتم؛ لأنّ أينما أشد غموضاً، وإبهاماً، وأوسع شمولاً وعموماً من حيثما، واستعمل حيثما بدلاً من أينما؛ لأنّ هناك أمكنة لا تصح الصّلاة فيها كالمقبرة، وسطح الكعبة مثلاً، وأزمنة: والأزمنة المكروه فيها الصّلاة.

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أي: اليهود والنصارى (أي: علماء اليهود، والنّصارى الّذين يعلمون التّوراة والإنجيل).

﴿لَيَعْلَمُونَ﴾: اللام للتوكيد، أنّه الحق من ربهم؛ لأنّه مكتوب عندهم: أنّ النّبي الجديد سوف يحول القبلة إلى البيت الحرام، أو لأنّهم يعلمون أنّ المسجد الحرام قبلة إبراهيم، أو في كتابهم الأمر بالتوجه إلى الكعبة، أو أنّ محمّداً (النّبي المنتظر) الذي لا يأمر إلّا بالحق.

﴿أَنَّهُ﴾: إن للتوكيد.

﴿الْحَقُّ﴾: بأل التّعريف: أن تحويل القبلة إلى المسجد الحرام هو الحق، والحق هو ما كان من عند الله، والحق هو الأمر الثّابت الذي لا يتغير.

﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾: الرّب الخالق، والحاكم، والمالك.

واستعمل الّذين أوتوا الكتاب، ولم يقل أهل الكتاب اليهود والنصارى؛ لأنّ استعمال كلمة أهل الكتاب فيها تكريم لهم وأوتوا الكتاب يستعملها في

سياق الذّم، أو التّقصير وينياديهم بالّذين أوتوا جزءاً من الكتاب؛ لأنّهم نسوا جزءاً منه وحرَّفوا كتابهم.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٤) من نفس السورة، لمزيد من البيان.

[١٤٥] ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَلَئِنْ﴾: الواو: عاطفة، لئن: اللام للتوكيد، إن: شرطية.

﴿أَتَيْتَ﴾: من أتىٰ؛ أي: ولئن جئت.

وأتىٰ فيها سهولة أكثر من جئت (المجيء فيه معنىٰ المشقة والصّعوبة)، والإيتاء في القرآن غالباً ما يستعمل في الكتب السّماوية، والرّحمة، والمال، والزّكاة، والأمور الخطيرة، والمعنوية، ويختلف عن العطاء بأنّ الإيتاء ليس فيه تملك. ارجع إلىٰ الآية (١٣٦) من سورة البقرة.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (١٤٤).

﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: الباء: للإلصاق، آية برهان ودليل، أو حجة علىٰ أنّ الحق هو تحويل القبلة من ربهم أملاً في اتباع قبلتك.

﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾: ما: النّافية للحال والاستقبال، تبعوا قبلتك: إلىٰ المسجد الحرام عناداً وتكبراً.

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: وما أنت بتابع قبلتهم بعد اليوم إلىٰ بيت المقدس، ولا فائدة ترجىٰ من فعل ذلك، ما: النّافية، أنت: ضمير فصل للتوكيد والحصر.

﴿بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: الباء: للتوكيد (الإلصاق)، قبلة اليهود نحو بيت المقدس، وقبلة النّصارىٰ نحو المشرق مطلع الشّمس.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: وما: للنفي والاستبعاد؛ أي: فلن تترك اليهود قبلتها، وتتجه إلىٰ المشرق (مطلع الشّمس)، ولا النّصارىٰ ستترك قبلتها نحو المشرق (مطلع الشّمس)، وتتّجه إلىٰ بيت المقدس مهما جاءتهم من الآيات.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾: ثم جاء التّهديد من الله لنبيِّه، ويقصد به أمته، ومن خطر مخالفة أوامر الله، ونواهيه، واتباع الأهواء.

﴿وَلَئِنِ﴾: الواو: عاطفة، لئن: اللام للتأكيد، إن شرطية.

﴿اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾: فصلّيت إلىٰ قبلتهم حرصاً علىٰ أن يتبعوك، ويؤمنوا لك ويصدِّقوك بعدما جاءك من الحق إنك إذن لمن الظّالمين.

﴿أَهْوَاءَهُم﴾: جمع هوىٰ: والهوىٰ ما يدور في العقل، وما تريده النّفس، وتميل إليه باطلاً، أو بما لا ينبغي، ولا دليل عليه، والهوىٰ يغلب عليه صفة الذَّم، والهوىٰ بالأداء والاعتقادات، والشّهوة تختص بنيل الملذات.

﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: من: لابتداء الغاية؛ أي: تعني: مباشرة من بعد ما: لغير العاقل (تحويل القبلة) جاءك به الوحي، من العلم: علم اليقين من عند الله بأنّ الكعبة هي القبلة، وليس بيت المقدس إلىٰ يوم القيامة. ارجع إلىٰ الآية السابقة (١٢٠) للمقارنة ومعرفة معنىٰ ﴿بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾؛ الذي: تعني: القرآن والإسلام؛ ما: تعني: تحويل القبلة.

﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إنــك: إن للتوكيد، إذن: حرف جواب، لمن: اللام للتوكيد.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أنفســهم، وهذا في الحقيقة خطاب للمسلمين، بلا أدنىٰ شــك، بأن يتبعوا أوامر الله، ويتجنَّبوا أهواء الظالميــن، وظلم النفس من جراء الخروج عن منهج الله وأوامره سبحانه.

الظالمين: جملة اسمية تفيد الثّبوت صفة الظّلم عندهم ثابتة لا تتغير ارجع إلىٰ الآية (١٥٤) لمزيد من البيان من ســورة البقرة. وإذا قارنا هذه الآية (١٤٥) مع الآية (١٢٠) نجد الاختلاف بيــن قوله تعالىٰ: ﴿مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]، ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقــرة:١٤٥] ﴿مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أشد وأبلغ في التحذير من ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

❖❖❖

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

سورة البقرة [الآيات ١٤٦ - ١٥٣]

[١٤٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: أولوا العلم من أهل الكتاب، وليس الأميون منهم؛ لأنّ الأميين منهم لا يعرفون الكتاب إلَّا أماني.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾: تعود على النّبي ﷺ.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾: الكاف: للتشبيه. ﴿يَعْرِفُونَ﴾: معرفة واضحة كما يعرفون أبناءَهم.

﴿يَعْرِفُونَ﴾: من عرف، والمعرفة تعني العلم بالذوات. وأما العلم: يتعلق بالصفات؛ أي: يعرفون رسول الله ﷺ بأوصافه وصفاته المذكورة في كتبهم، وما شاهدوه يفعل ويقول أمامهم قبل بعثته ﷺ.

مثال: فقد جاء في التّوراة: «يا أيها النّبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيتك المتوكل ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سخَّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو، ويغفر، ولن يقبضه الله حتّى يُقيم به الملَّة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله ويفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً».

﴿وَإِنَّ﴾: الواو: عاطفة، ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾: أي: علماؤهم، ومن درسوا التّوراة والإنجيل، عاندوا وكتموا الحق.

﴿لَيَكْتُمُونَ﴾: اللام: لام التّوكيد، ﴿يَكْتُمُونَ﴾: من كتم الشيء؛ أي: سكت عن ذكره، والكتمان يختص بالمعاني، الأسرار والأخبار، أما الإخفاء فيكون للأشياء المادية، (أو الحسية)، فيقول: أخفيت الدراهم، ولا يقول كتمت الدراهم، والإخفاء أعم من الكتم.

﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: الحق هو الأمر الثابت، الذي لا يتغير، وهو ما جاء في ذكر رسول الله ﷺ، وأوصافه، وأنه النّبي المنتظر.

وما أمر الله به في القرآن، وأمرُ القبلة، وأنّ عليهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وما جاء به.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنه حق، ويعلمون عاقبة الكتمان، وهم ليس بجاهلين، أو أميين، ويعلمون أنّ الحق غالب على أمره، وسيظهر في النهاية، ويعلمون أنّ عليهم أن يؤمنوا بمحمَّد ﷺ ويصدِّقوه.

[١٤٧] ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾:

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: أي: هذا الذي يكتمون هو الحق من ربك (أمر محمّد ﷺ، وصفاته، ونبوته، ورسالته، والقبلة، واتِّباعه وتصديقه)، وما دام أنه الحق من ربك؛ فلن يستطيع أحد أن يبدِّله.

والحق بطبيعته لا بد أن يظهر ويبرز وينتشر؛ لأنّ المعركة بين الحق والباطل لا بد أن تنتهي بهزيمة الباطل.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ تكونن: ولم يقل تكن؛ الزيادة التوكيد (بالنون الثقيلة)؛ الممترين: جمع ممترٍ، وممترٍ اسم فاعل من امترىٰ.

المراء: هو الجدال بالباطل بعد ظهور الحق.

إذن الممتري هو من يبقىٰ يجادل بالباطل، بعد أن تبيَّن له الحق، أو أُخبر به.

والمراء: مأخوذة من مرئ الناقة أي: مسح ضرعها؛ أي: حلب الناقة وبقي يستحلب الناقة بعد أن أفرغت حليبها ظانّاً بأنه لا يزال في ضرعها حليب.

﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: تعني: الشاكين (من الشك)، أو المتحيرين المتردِّدين.

حاشا لله أن يكون رسول الله ﷺ من الممترين، والخطاب؛ وإن كان لرسول الله ﷺ فهو موجَّه إلىٰ أمته عامَّة، ولذلك يجب علىٰ المؤمنين أن لا يدخلوا في جدال عقيم مع أهل الكتاب بعد ظهور الحق.

لنقارن هذه الآيات المتشابهة:

سورة البقرة، آية (١٤٧): ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

سورة الأنعام، آية (١١٤): ﴿أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

سورة يونس، آية (٩٤): ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

سورة آل عمران، آية (٦٠): ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

في آيات سورة البقرة والأنعام ويونس: أكد بالنون، ففي آية البقرة أكد؛ لأنّ السياق في تحويل القبلة، وما صاحَب ذلك من إرجاف وأقاويل، وحرب نفسية علىٰ المسلمين؛ حتّىٰ ارتدَّ بعض ضعاف الإيمان.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٣].

وفي آية الأنعام؛ أكد؛ لأنّ السياق في تكذيب الرّسول ﷺ وعدم الإيمان به؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

وفي آية يونس؛ أكد؛ لأنّ السياق في الشك مما أنزلنا إليك، فلإزالة الشك نحتاج إلىٰ التّوكيد، فجاء بالنون. واللام في ﴿لَقَدْ﴾، وقد للتوكيد.

أما آية سورة آل عمران؛ جاءت في سياق خلق عيسىٰ عليه السلام، وأنّ الله خلقه، كما خلق آدم، وليس في ذلك خلاف وإرجاف، كما في الآيات الأخرىٰ، لذلك لم يؤكِّد بالنون، وقال: ﴿فَلَا تَكُنْ مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

الواو: استئنافية، ولكل: اللام لام التّوكيد؛ أي: لكل أمة، أو لكل أهل ملَّة، الإسلام، واليهودية، والنصرانية، في صلاتهم وجهة؛ أي: قبلة، ووجهة، هي: اسم للمكان المتوجَّه إليه كالكعبة، أو بيت المقدس.

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: ﴿هُوَ﴾: إما ترجع إلىٰ الله؛ أي: اللهُ موليها لهم، وإما ترجع إلىٰ المتولي، والمعنىٰ يكون هو موليها نفسه؛ أي: متجه إليها في صلاته، فيكون المعنىٰ أنّ الله موٍّل كل ذي وجهة، وجهتهُ.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: الفاء: للتأكيد، فاء السببية؛ لربط السبب بالمسبب.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾: من فعل سبق، ولم يقل: فسارعوا في الخيرات، من فعل سارع.

فما هو الفرق بين: سابقوا وسارعوا؟

﴿سَابِقُوٓا۟﴾: السباق يحتاج إلىٰ أكثر من واحد للمسابقة، أما المسارعة؛ فتحتاج إلىٰ واحد فقط، فإن أردت أن تسرع يمكن تسرع لوحدك، وإذا أردت أن تسابق تحتاج إلىٰ آخر، أو أكثر، والسباق يحتاج إلىٰ سرعة كذلك.

﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: ومنها استقبال القبلة، والفاء: للتأكيد، فاستبقوا من فعل سبق، واسبقوا غيركم من الأمم؛ أي: ليسبق كل منكم الآخر في فعل الخيرات: والطاعات، ويسرع في أدائها، والنوافل، وأعمال الخير، والبر، والإحسان، ولنسلم أنّ الخير مطلق، حتّىٰ ولو وقع عن سهو.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾: ﴿أَيْنَ﴾: ظرف مكان مبهم، وإضافة ﴿مَا﴾: تزيدها إبهاماً وشمولاً.

للمقارنة بين ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ﴾؛ ارجع إلىٰ الآية (١٤٤).

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ﴾: أي: في أي مكان في السماء والأرض.

﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾: يأت من أتىٰ، وأتىٰ تعني: بسهولة، ويسر يوم القيامة؛ للجزاء، والحساب.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، لا تعجزونه، لا يعجزه؛ أي: شيء مهما كان في السموات ولا في الأرض.

﴿قَدِيرٌ﴾: صيغة مبالغة لقادر. ارجع إلىٰ الآية (٢٠) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[١٤٩] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَمِنْ﴾: الواو عاطفة، من استغراقية؛ حيث: ظرف للمكان.

﴿خَرَجْتَ﴾: إلىٰ أي جهة خرجت، ودخل وقت الصلاة.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي: اتّجه بوجهك في صلاتك شطر المسجد الحرام، ارجع إلىٰ الآية (١٤٤)، نحو المسجد الحرام.

﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: وإنه: الـواو حالية للتوكيـد، إن: للتوكيد (لزيادة التّوكيد).

﴿لَلْحَقُّ﴾: اللام: لام التّوكيـد، ﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: ﴿لَلْحَقُّ﴾: أي: الوحي الأمر الثابت، الذي لا يتغيَّر من عند ربك المتولي، والقائم بتدبير أمورك.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٤) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[١٥٠] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

هذه هي المرة الثالثة الّتي يكرِّر سبحانه ذكر هذه الآية؛ فما تعليل ذلك؟

في هذه الآية يُبيِّن ﷻ أن تحويل القبلة سـيثير بعض الشـبهات والأباطيل الّتي تراود عقول الضعاف والمنافقين والمشـركين، وبعض أهل الكتاب والّذين ظلموا، سواء وجهت وجهك شطر المسـجد الحرام، أم عكفت في التوجه إلىٰ بيـت المقدس، ومن هذه الادعاءات الباطلة، أو الحجج؛ لو اسـتمر ﷺ يصلِّي تجاه بيت المقدس؛ لقالوا:

١ - كيف يدَّعي محمّد ﷺ أنه من ولد إسـماعيل، وإبراهيم، وهم الّذين بنوا الكعبة، وقبلتُهم الكعبة، ويصلِّي تجاه بيت المقدس، ويطعنون في نبوته.

٢ - أو ظنوا إذا اتَّجه بصلاته إلىٰ الكعبة، فغداً سيرجع إلىٰ قبلة أبيه، وسيرجع إلىٰ دينهم، ويترك ما جاء به (أي: الإسلام).

وغيرها من الحجج الواهية.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: اللام: للتعليل. إن: حرف مصدري.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: للاختصاص. النّاس: ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾:

﴿إِلَّا﴾: هنا تعني: أي: والّذين ظلموا منهم.

فتصبح: لئلا يكون للناس عليكم حُجة والّذين ظلموا منهم، ولا تعني الاستثناء.

﴿فَلَا﴾: لا: الناهية. ﴿تَخْشَوْهُمْ﴾: من الخشية، وهي الخوف، والرهبة، والتعظيم المقرون بالعلم.

أي: لا تخافوا جدالهم في التولي إلىٰ الكعبة، ولا ترهبوهم.

﴿وَاخْشَوْنِي﴾: أي: بامتثال أمري، والخشية كما ذكرنا: الخوف المقرون بالعلم والتعظيم، واخشوني جاءت بإثبات ياء المتكلم في هذه الآية مقارنة بالآية (٣) في سورة المائدة وهي قوله فلا تخشوهم واخشون بحذف الياء؛ ارجع إلىٰ سورة المائدة آية (٣) للمقارنة والبيان.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾: بالهداية إلىٰ معالم دينكم في الدّنيا وفي الآخرة بالثواب.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: الواو: عاطفة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: للتعليل تهتدون إلى الحق والصراط المستقيم، الذي يوصلكم إلى الغاية. وإذا نظرنا إلى كلمة ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾: في هذه الآية، وإلى الآية (٣) من سورة المائدة ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ من دون ياء، ونظرنا في سياق الآيتين نجد أنّ آية سورة البقرة قد جاءت في سياق تحويل القبلة، الذي أدّى إلى هزة عنيفة في نفوس كثير من النّاس، وإلى قيام معركة بين الحق والباطل، ولذلك جاء التحذير أشد وظهرت الياء.

أما في آية المائدة؛ فقد جاءت في سياق الأطعمة المحرمة، وما ذبح على النصب فالتحذير فيها أقل، ولذلك جاء (واخشون) من دون ياء.

أما تكرار الآية: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: ثلاث مرات، يمكن تفسيره بعدة احتمالات:

الاحتمال الأول: قيل: التكرار يفيد التّوكيد، ربما أنّ تحويل القبلة إلى المسجد الحرام بدلاً من المسجد الأقصى كان حدثاً مهمّاً وخطيراً في المعركة بين الحق والباطل، فلا بد أن يُذكر هذا الأمر عدَّة مرات ليستقر في أذهان وقلوب النّاس، ويسمعوا الأمر بالتحويل عدَّة مرات حتّى يكون الأمر حاسماً، ولا يبقى شك في نفوس المؤمنين، وليعلم أهل الكتاب أنّ المسلمين لن يرجعوا عن قبلتهم.

الاحتمال الثّاني: الآية الأولى؛ وهي الآية رقم (١٤٤): ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: جاءت استجابة لتقلُّب وتردُّد وجهه ﷺ في السماء، حيث قال سبحانه في مطلع الآية (١٤٤): ﴿قَدْ

نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾؛ أي: لنسخ القبلة عن المسجد الأقصىٰ.

وأما ذكر الآية في المرة الثانية وهي الآية رقم (١٤٩): جاءت لتبين أنّ تحويل القبلة هو الحق من ربك، وأضاف حرف (إنّ)، واللام في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾: للتأكيد، فليطمئن المؤمنون، فهذا الأمر ثابت، ولن يتغير إلىٰ يوم القيامة؛ أي: لتبيان السبب.

وأما ذكر الآية للمرة الثالثة، وهي الآية (١٥٠)؛ وجاءت: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾: لتبيِّن أنّ التحويل هو من النعم، الّتي أنعمها الله علىٰ هذه الأمة؛ أي: لتبيان العلة.

الاحتمال الثالث: أنّ التكرار في المرة الأولىٰ يشير إلىٰ هؤلاء، الّذين هم داخل المسجد الحرام أن يصلوا تجاه الكعبة لمن يرىٰ الكعبة ولمن لم يرها، وفي المرة الثانية جاءت لتشير إلىٰ هؤلاء، الّذين هم خارج المسجد الحرام في مكة، وما حولها والمدينة بالاتجاه إلىٰ المسجد الحرام، وفي المرة الثالثة جاءت لتشير بالتوجه إلىٰ المسجد الحرام لمن هو موجود في أي بقعة من بقاع الأرض.

[١٥١] ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ كَمَآ ﴾: الكاف للتشبيه، وما المصدرية، هذه الآية قيل: متعلقة بقوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾؛ أي: اذكروني لأجل إرسالي فيكم رسولاً منكم، أو كما ذكَّرتم بإرسال الرّسول فاذكروني.

﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾: الإرسال يكون برسالة أو من دون رسالة، وليس فيه مشقة، وتهييج وإثارة، كما لو قال: ﴿بَعَثْنَا﴾. ارجع للآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾: ولم يقل: وأرسلنا إليكم. ﴿فِيكُمْ﴾: أي: هو فيكم من قبل الرسالة، وليس غريباً عنكم من بلد آخر.

﴿رَسُولًا مِّنكُمْ﴾: من العرب والأميين، ومن أسلم أو لم يسلم، ولو قال: من أنفسكم كما سنرىٰ في آيات أخرىٰ، تعني: الخصوص؛ أي: من أهل مكة من قريش، أو من بني عبد المطلب، من نفس القوم.

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾: أي: آيات القرآن، وقوله: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: فيها معنىٰ التشريف والتعظيم أكثر مما لو قال: آياته، أو الآيات، والتلاوة القراءة. التلاوة اتباع الشيء الشيء، ويعني القرآن.

والتلاوة أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، وفي هذه الآية تعني القراءة.

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: والتزكية: التطهير من عبادة الأصنام، والشرك، والمعاصي؛ ومنه: وأد البنات، والخمر، والميسر، والزنىٰ.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن الكريم.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: السنَّة والفقه في الدِّين، ومعرفة الأحكام والشرائع.

﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾: مثل: بعض الأمور الغيبية، وسير الأنبياء، وقصص الأقوام الغابرة، وكذلك العلوم الدنيوية، من طبٍّ، وفلك... وغيرها.

[١٥٢] ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾:

﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾: الفاء: تعليلية، أو تفيد للتوكيد. اذكروني: بالطاعة، والعمل الصالح، والفرائض، والنوافل، والذكر من أعظم العبادات القلبية، مثل: الحمد، والتسبيح، والاستغفار، وقول: لا إله إلَّا الله، والتفكير بآيات الله، وقراءة القرآن، وتدبر آياته، اذكروني بالسر والعلن.

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بالمغفرة والثواب.

وفي الحديث القدسي: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه» رواه البخاري.

﴿وَٱشْكُرُواْ لِي﴾: اشكروا المنعم على إنعامه عليكم شكراً يتعدَّى لذاته.

أما: ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾؛ يعني: واشكروا له نعمه. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لبيان معنى الحمد والشكر، والفرق بين الحمد والشكر.

والشكر لله؛ كما قال ابن القيم الجوزية: هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً.

وأركان الشكر: الاعتراف بنعم الله تعالى، والتحدُّث بها، والاستعانة بها على طاعة الله المنعم ﷻ، وكما قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: الواو: عاطفة. لا: الناهية.

﴿تَكْفُرُونِ﴾: بالله أو بنعمه، النون (نون الوقاية)؛ تفيد التّوكيد. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة.

[١٥٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾:

نداء إلىٰ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بياء النداء، والهاء: للتنبيه، بالاستعانة بالصبر، والصلاة، وفي الآية السابقة (١٥٢) حضهم علىٰ الذكر والشكر؛ لأنه هداهم إلىٰ معالم دينهم وقبلتهم، وهنا يسألهم بالصبر والصلاة، علىٰ أذىٰ المشركين، وافتراءاتهم، وحسدهم، ولأنّ معركة الحق والباطل مستمرة، فقال تعالىٰ: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ لأنّ الله ﷻ، سيفرض عليكم صيام رمضان، وأنّ معركة بدر علىٰ الأبواب.

ففي شهر واحد تحولت القبلة شطر المسجد الحرام، وجاء الأمر الإلهي بفرض الصّيام، وكان ذلك في شعبان علىٰ رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة، وكانت غزوة بدر يوم الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان علىٰ رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، وقيل في تاريخها أقوال أخرىٰ.

فكان صرف القبلة أولاً، ثم فرض صيام رمضان، ثم جاءت غزوة بدر الكبرىٰ.

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: نداء بتكليف جديد بالاستعانة بالصبر والصلاة.

ولماذا قدَّم الصبر علىٰ الصلاة؟ ارجع إلىٰ الآية (٤٥) من سورة البقرة للبيان. ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾: فكلمة الصبر ومشتقاتها، وردت في القرآن في حوالي (٩٠) آية.

والصبر كما عرَّفه ابن قيم الجوزية: حبس النفس عن الجزع، والسخط،

وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية. وقدم الصبر على الصلاة؛ لأن الصلاة عبادة تحتاج إلى صبر، وكل العبادات تحتاج إلى الصبر، وهذا الصبر يعتبر من أشد أنواع الصبر.

والصبر درجات: صابر، مستصبر، متصبر، صبار، صبور، وهي أعلاها.

والصبر أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله، وصبر على الطاعة، وصبر على المعصية، وصبر على الشدائد والنوازل.

واعلم: أنّ الله مع الصابرين، وأنّ الله يحب الصابرين، وهناك الصبر الجميل. انظر: سورة يوسف، آية ١٨.

والصلاة أعظم العبادات، وأفضل القربات، وخير الطاعات، مقرونة بالتوحيد والخشوع، فقد كان ﷺ إذا حَزَبَه أمرٌ (أي: جاءه أمر شاقٌّ أو مكروه)، قام إلى الصلاة، رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: إن للتوكيد. ﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالعون والنصرة. ارجع إلى سورة النحل، آية (١٢٧) لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

ربع الحزب ٣

سورة البقرة [الآيات ١٥٤ - ١٦٣]

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾:

المناسبة: نزلت هذه الآية في شهداء بدر من المسلمين، حيث استشهد (١٤) رجلاً من المسلمين، وكان النّاس يقولون: مات فلان، فنزلت هذه الآية، ولا: الواو عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ﴿لِمَن﴾: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد. ﴿مَن﴾: للجمع والمثنى والمفرد.

﴿لِمَن يُقْتَلُ﴾: بدلاً: لمن قتل؛ لاستحضار القتل في نفس السامع، وتصوره أمام عينيه، كأن يحدث الآن.

﴿أَمْوَاتٌ﴾: جمع ميت.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾: حرف إضراب إبطالي؛ أي: ليسوا أمواتاً، بل هم أحياء، وهم عند ربهم يرزقون، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: كما بيَّن ذلك في سورة آل عمران الآيات (١٦٩-١٧١).

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك يفيد التّوكيد.

﴿لَّا﴾: النّافية لكل الأزمنة.

﴿لَّا تَشْعُرُونَ﴾: لا تدركون، ولا تحسون أنهم أحياء؛ أي: لا تعلمون العلم الكامل الخفي أنهم أحياء؛ لأننا إذا فتحنا قبر الشّهيد نجده رفاتاً وعظاماً، فهو في عالم الآخرة، أو عالم البرزخ في عالم الغيب، ونحن في عالم الدّنيا.

ولتقريب ذلك إلى الأذهان: لو نظرت إلى إنسان، وهو نائم نوماً عميقاً، وهو يسبح في أحلامه ورؤياه، وأنت تكلمه وهو لا يكلمك، ولا ينظر إليك وأنت واقف بجانبه، فهو في عالم الوفاة، وأنت في عالم اليقظة (الدّنيا).

[١٥٥] ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾: الواو: استئنافية. لنبلونكم: اللام: للتأكيد، وكذلك النون في (نبلونكم): لزيادة التّوكيد.

(نبلونكم): من الابتلاء، ارجع إلى الآية (٤٩) لبيان معنى الابتلاء، وقد يكون بالخير أو بالشر، والابتلاء أشد من الاختبار، والفتنة أشد من الابتلاء، وقمة الابتلاءات الاستشهاد في سبيل الله ﷻ.

﴿بِشَيْءٍ﴾: الباء: للإلصاق. ﴿بِشَيْءٍ﴾: نكرة، والتنكير هنا؛ يفيد التقليل، وتعريف الشيء هو أقل القليل، ثم بين هذا الشيء بخمسة أنواع، وهي: الخوف، والجوع، ونقصٍ من الأموال، والأنفس، والثمرات.

﴿مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾: (الابتلاء الأول): من الابتداء ابتداء الخوف، ويمكن أن يقال: التبعيض بعض الخوف

﴿ٱلْخَوْفِ﴾: هو اضطراب نفسي، وعدم الشعور بالأمن من توقع شيء ضارٍّ مقبلٍ، لا قدر له على دفعه، والخوف أحياناً خور لا ضرورة له، فإذا أراد الإنسان أن يؤمن نفسه من أمر يخيفه، فما عليه إلَّا أن يأخذ بالأسباب لمحاربة هذا الخوف، والخوف له أسباب متعددة.

وبشيء من ﴿وَٱلْجُوعِ﴾: (الابتلاء الثّاني): بشيء قليل من الجوع، والجوع: هو خلو المعدة من الطعام؛ أي: الصبر على عدم الطعام، وقدَّم الخوف على

الجوع؛ لأنّ هذه الآيات جاءت في سياق الاستعداد لمعركة بدر الكبرىٰ، وغيرها من المعارك، وخلال القتال قلما يفكِّر الإنسان بالجوع، وإنما بالخوف، وأما في حالات السلم؛ فإن الخوف أكثر شيوعاً من الجوع، والجوع إذا اشتد في المجتمع قد يؤدي إلىٰ السرقة، ثم إلىٰ القتل، وبالتالي السرقة تؤدي إلىٰ الخوف.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ (الابتلاء الثالث): بالهلاك، والضياع، وتعطل حركة التجارة، والإيراد والتصدير، والبيع والشراء.

﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ (الابتلاء الرابع): ونقص من الأنفس، بالقتل، والمرض، والكوارث الطبيعية، والزلازل، والفيضانات، والموت الطبيعي، وموت الأولاد، والأقارب.

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (الابتلاء الخامس): ونقص من الثمرات: بفساد الثمار، أو إتلافها بالحشرات، والحرائق، أو إمساك المطر، أو البرد، وغيرها.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل من يتأتىٰ منه الصبر، وهو محتسب لوجه الله، وراضٍ بقضاء الله وقدره، وبشر الصابرين في كل هذه الابتلاءات.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: وصفهم الله بأنهم إذا أصابتهم مصيبة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

[١٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول، يفيد المدح والثناء عليه.

﴿إِذَآ﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: مصيبة نكرة؛ أي: مصيبة: والمصيبة كل ما يؤذي

الإنسان في نفسه، أو ماله، أو عياله، ومن أعظم المصائب، أو الفتن: المصيبة في الدِّين.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾: ﴿إِنَّا﴾: أي: نحن.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص الملكية؛ أي: نحن مُلك لله وعبيده، نتقبل ما يحدث لنا، وكل ما يحدث لنا، أو يُصيبنا، يحدث بإذنه، وبحكمة، وصلاح فهو أحكم الحاكمين، وإنا إليه راجعون، وتكرار ﴿إِنَّا﴾: للتوكيد، وفصل كلاً من الملكية عن الرجوع، أو كلاهما معاً.

﴿إِلَيۡهِ﴾: تقديم إليه يفيد الحصر؛ أي: إليه حصراً راجعون، بعد الموت، أو بعد البعث.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾: أي: نقرُّ بعبوديتنا وملكنا، لله وحده، نؤمن بقضائه وقدره، ونؤمن بالبعث والحساب، وقد علمنا رسول الله ﷺ عند الإصابة بمصيبة أن نقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم، عن أم سلمة رضي الله عنها، أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها إلَّا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها».

[١٥٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، يشير إلى الصابرين، ذوي المنزلة، والدرجة العالية. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: على تفيد الاستعلاء.

﴿صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾: صلوات: جمع صلاة، والصّلاة في اللغة: هي الدعاء،

والصّلاة من الله على عبده تعني المغفرة، والذكر الحسن، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]، والصّلاة من الملائكة تعني الاستغفار.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: يغفر لهم، ولا يعذبهم، ويدخلهم الجنة.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: تكرار (أولئك): يفيد التّوكيد، ويفيد المدح.

﴿هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾: هم: ضمير منفصل، يفيد التّوكيد؛ أي: إذا كان هناك مهتدون، فأولئك هم الأوائل، الّذين ساروا على درب الهداية للوصول إلى الغاية، واستقاموا عليها. فمن صبر عند الصدمة الأولى ورضي بقضاء الله تبارك وتعالى، وقدَّره، واحتسب ذلك عند الله، ولم يبدر منه سوء، عوضه الله خيراً من صبره؛ صلوات من ربِّه ورحمة، وزاده هدىً وصلاحاً، وسعادة في الدارين.

[١٥٨] ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾:

سبب نزول الآية: أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ، أنه سُئل عن الصفا والمروة، فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام، أمسكنا عنهما، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، يفيد التّوكيد.

﴿ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: من شعائر دين الله، جبلان (في مكة)، داخل المسجد الحرام الآن، كانت هاجر زوج إبراهيم عليه السلام، تسعى بينهما؛ للبحث عن الماء لولدها إسماعيل، وظلت تتردد بينهما سبع أشواط، ثم وجدت الماء ينبع تحت قدَمي إسماعيل عليه السلام.

﴿شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: جمع شعيرة: وهي العلامة؛ أي: النُسك؛ أي: أعمال الحج والعمرة والمشاعر: جمع مَشْعر وشعائر الحج، هي معالمة الظاهرة للحواس،

ومواضع العبادة، يطلق عليها المشاعر؛ أي: المعالم المكانية، مثل: الصفا والمروة. ومقام إبراهيم والحجر الأسود.

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: الفاء استئنافية من شرطية.

﴿حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾: الحج لغة: القصد.

شرعاً: قصد البيت الحرام؛ لأداء مناسك الحج المعروفة، ومنها: لباس ثياب الإحرام، والخروج إلى منىٰ، والوقوف بعرفات، والنزول إلىٰ مزدلفة، ورمي الجمرات، والطواف، والسعي، والحلق.

﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: أدَّىٰ مناسك العمرة، فلا جناح عليه؛ أي: لا إثم عليه من جنح؛ أي: مال عن القصد؛ أي: الإثم: للميل عن الحق، فاعتبر ذلك إثماً، ولم يقل حرجاً أي: ضيقاً، أو مشقة.

ولم يقل: ليس عليه جناح، والفرق بينهما: لا جناح عليه: جملة اسمية، والجملة الاسمية أقوىٰ من الجملة الفعلية؛ لأنها تدل علىٰ الثبوت، ومؤكدة، وأما الجملة الفعلية فتدل علىٰ التجدُّد، ولذلك نجد القرآن، يستعمل ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في العبادات، والحقوق، والواجبات الزوجية، وتنظيم الأسرة، بينما يستعمل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: في الأمور العادية؛ كالطعام والشراب والبيع والشراء، ولذلك النفي في ﴿لَّا جُنَاحَ﴾: أقوىٰ من النفي في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾.

أن: حرف مصدري؛ للتعليل، والتوكيد: ﴿يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: أصلها يتطوف، أدغمت التاء في الطاء؛ لقرب مخارج الحروف، وقال يطَّوف بالتشديد، ولم يقل: يطوف بهما؛ لأن يطَّوف بالتشديد فيها معنىٰ الحث والإكثار من السعي

والطواف، وتكرار ذلك، بينما يطوف، من دون تشـــديد؛ يعني: السعي بين الصفا والمروة سبع أشواط، وتبدأ بالصفا.

السّـــؤال هنا: لم قال تعالىٰ: ﴿فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ مع أنّ الصفا والمروة من شعائر الله؟

كما روي عنه الطبري: أنّ وثناً كان في الجاهلية علىٰ الصفا، يسمىٰ إسافاً، ووثناً علىٰ المروة يســمىٰ نائلةً، وكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت، مســحوا بالوثنين، فلما جاء الإسلام، وكسرت الأوثان، قال المسلمون: إن الصفا والمروة إنما كان يطاف بهما من أجل الوثنين، وليس الطواف بهما من الشعائر، قال: فأنزل الله أنهما من الشعائر؛ أي: فلا حرج علىٰ المسلمين في السعي بينهما؛ لأنهما من شعائر الله.

وبما إنــا لا ندور حول الصفا والمروة، كما نعمــل بالبيت الحرام، فلماذا سماها طواف؟!

سماه (طواف): لأنّ السعي تبدأ من نقطة بداية، وهي الصفا، ثم الذهاب إلىٰ المروة، ثم العودة إلىٰ الصفا، فذهابه، وعودته يشــبه الطواف الذي يبدأ بالحجر الأسود، ثم يعود إليه.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: ﴿وَمَن﴾: شــرطية. ﴿تَطَوَّعَ﴾: فَعــلَ الطاعــة، طوعاً لا كرهاً، والزيادة علــىٰ الواجب؛ أي: أدَّىٰ الحج والعمــرة عدَّة مرات، فالحج والعمــرة لأول مرة، يعتبر فرضاً، وبعد ذلك تعتبر تطوعاً، والتطوع يعني: الإكثار من النوافل، ويعني: طوعاً بحب، وليس كرهاً.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾: الفاء وإن: للتوكيد، ﴿شَاكِرٌ﴾: أي: مثيب العبد علىٰ طاعته، يقبل العمل القليل، ويعطي الثواب الجزيل عليه.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم، محيط علمه بأعمال عباده، من فرض ونفل، وظاهر وباطن، وسر وعلن، وخير وشر.

لنقارن بين هذه الآية والآية: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٤].

هنا التطوع في هذه الآية، آية الصّيام، هو أن يزيد في الفدية، فيطعم أكثر من مسكين، أو يزيد في المبلغ المصروف له.

بينما في آية الحج والعمرة: آية (١٥٨): التطوع في حج آخر أو عمرة، والدليل على ذلك زيادة الواو في قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾؛ فلذلك في آية الحج، أتبعها بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: يثيبه الله ويجازيه على إحسانه، والشكر يعني الثواب، والثواب يكون بقدر الطاعة، والحج والعمرة أشق من الفدية بالطعام.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل يفيد التّوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يشير إلى دنو منزلة.

﴿الَّذِينَ﴾: يشمل كل من يكتم سواء أكانوا من أهل الكتاب، أو الأحبار، أو العلماء، أو الرؤساء، أو علماء المسلمين، أو أي إنسان يكتم آية أو حديثاً.

﴿يَكْتُمُونَ﴾: من الكتم. وكتم الشيء: سكت عن ذكره.

والكتمان: ترك إظهار الشيء مع الحاجة إلى الإظهار، وقيل: الكتمان يختص بالمعاني، والأسرار، والأخبار، والإخفاء يختص بالأشياء المادية

الحسية. قال: ﴿يَكْتُمُونَ﴾، ولم يقل: كتموا، يكتمون: تدل على تجدد، وتكرار كتمانهم، فهم لا يزالون يكتمون، ولم يكفوا عن ذلك.

﴿مَآ﴾: اسم موصول، لغير العاقل، والعاقل.

﴿أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: جمع بينة، وهي ما يثبت به الشيء المراد إثباته، والمراد هنا ما يثبت نبوة محمّد ﷺ من نعوت وصفات، جاءت في التّوراة والإنجيل، وكل ما أنزله الله على الأنبياء من الكتب، والوحي، والبينات، والآيات، والأحكام، والحلال، والحرام، والحدود، والفرائض، والأحاديث النبوية الصحيحة.

﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: القرآن، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ من الدِّين الحق (الإسلام).

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: اسم جنس شامل لكل الكتب السماوية، والكتاب هنا يعني: التّوراة، والإنجيل، والقرآن، والزبور، والصحف؛ أي: لم ندع موضع شك، أو اشتباه على أحد إلّا بيناه لهم فيها، ومع ذلك هم عمدوا إلى ذلك الأمر المبين فكتموه ولبسوا على النّاس، وحرفوه، أو بدلوه.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص. النّاس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة يفيد التحقير، ودنو منزلتهم يشير إلى الّذين يكتمون ما أنزل الله تعالى من الوحي على الأنبياء والرسل أياً كانت ملتهم.

﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: اللعنة الطرد والإبعاد من رحمة الله، والمنع من الخير.

﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: تكرار يلعنهم يفيد التّوكيد، واللاعنون: هم الملائكة،

والمؤمنون من الثقلين: الجن والإنس، وقيل: كل من يتأتى منه اللعن، ويشمل الحيوان والنبات.

واللعن: يكون بالدعاء عليهم باللعنة.

وقوله: ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: جاء بالفعل المضارع (يلعن): ليدل على التجدد، والتكرار، ولم يقل: لعنهم وانتهى الأمر.

فالله يلعنهم، ويلعنهم اللاعنون ما داموا يكتمون ما أنزل الله، وما داموا أحياء، وإذا انتهوا، وأصلحوا، أو بينوا للناس ما كتموه، وتابوا فإن الله يتوب عليهم، كما بينه الله تعالى في الآية (١٦٠)، وفي الحديث الصحيح عن النّبي ﷺ قال: «من سُئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار». ارجع إلى الآية (١٦١) في نفس السورة لمقارنة آيات اللعن في القرآن.

[١٦٠] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾: على ما فعلوا من بعد الكتمان، واعترفوا بذنبهم، وندموا على ما فعلوا، ولن يعودوا لمثله، وأكثروا من فعل الصالحات.

﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: بمقدار ما أفسدوا أصلحوا ما أفسدوه بكتمانهم.

﴿وَبَيَّنُوا۟﴾: ما كتموه. وما أنزل الله من البينات. وانظر كيف حذف (من بعد ذلك) كما في الآية (٨٩) في سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾؛ لأنه لو جاء بذلك في آية البقرة لكان المعنى: إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا من بعد أن يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتأكيد، أولئك: اسم إشارة يفيد المدح.

﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أقبل توبتهم.

﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٧) من سورة البقرة.

[١٦١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: يفيد التّوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: أي: أصروا علىٰ عدم التوبة، وماتوا، وهم في حالة الكفر. ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ﴾: عليهم خاصة، أو عليهم حصراً؛ لأنه قدَّم الجار والمجرور علىٰ لعنة الله، ولم يقل أولئك لعنة الله عليهم، ولعنة الملائكة، والناس أجمعين، تعني بالدعاء عليهم باللعن.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد، وهذا اللعن، أو الدعاء عليهم باللعن يكون يوم القيامة حيث يلعن الله الكافر، ثم تلعنه الملائكة، ثم النّاس أجمعين.

وإذا قارنا الآية (١٥٩) من سورة البقرة، مع الآية (١٦١) نجد الآية (١٥٩) من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: تعني: اللعن عليهم يتم في الحياة الدّنيا؛ أي: هم ما زالوا أحياء.

وأما الآية (١٦١) من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ

﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: تعني: اللعن عليهم يتم يوم القيامة، أو في الآخرة من قبل الله سبحانه، والملائكة، والناس أجمعين.

وقوله: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: وبما أنّ الكافر هو من جملة النّاس فهو إذن سيلعن نفسه، أو هو يلعن الظالمين والكافرين، ومن يلعن الظالمين والكافرين، وهو منهم، فقد لعن نفسه، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت:٢٥].

ولمعرفة معنىٰ النّاس، ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة.

[١٦٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في النار (جهنم) خالدين من الخلود، وهو استمرار البقاء منذ زمن دخولهم إياها، والخلود: البقاء من دون تغيير، أو استحالة.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾: لا: النّافية.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾: من شدة العذاب، أو من زمنه، ولو يوماً واحداً، أو ساعة واحدة، كما قال سبحانه في سورة النّساء، آية (٥٦): ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: ولا: النّافية، هم: ضمير منفصل يفيد التّوكيد في عدم الإنظار.

والإنظار: هو الإمهال؛ أي: لا يؤخرون عن عذابها، أو يمهلون؛ لينظر في حالتهم، بل يبدأ العذاب مباشرة، ولا ينظر إليهم نظرة رحمة، ولا رأفة.

لنقارن آيات اللعن في القرآن، وأنواعه:

١ - البقرة (١٥٩): ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾: ﴿يَلْعَنُهُمُ﴾: جاء بالفعل

المضارع؛ مما يدل على أنّ لعنهم مستمر. ومتجدد، ولا ينقطع لهؤلاء الّذين يكتمون ما أنزل الله من البينات، والهدىٰ من بعد ما بينه الله للناس.

٢ - البقرة (١٦١): ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾: جاء بالاسم (اللعنة): ليدل على ثبوت اللعنة عليهم، فلا يتغير الحكم لهؤلاء الّذين كفروا وماتوا وهم كفار.

٣ - آل عمران (٨٧): ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

نفس الحكم ثبوت اللعنة على هؤلاء الّذين كفروا بعد إيمانهم، وشهدوا أنّ الرّسول حق، وجاءهم البينات، ثم ماتوا، ولم يتوبوا.

٤ - الرعد (٢٥): ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: لهم خاصة؛ أي: لهؤلاء الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض.

٥ - النّساء (٥٢): ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾:

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: جاء بالفعل الماضي، شيء انتهى ومضى لهؤلاء الّذين أوتوا نصيباً من الكتاب وآمنوا بالجبت والطاغوت.

٦ - ص (٧٨): ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾:

﴿لَعْنَتِي﴾: أي: اختصه الله وحده، بلعنته مع أنّ هناك لعنة الملائكة والناس، ولم يقل: لعنة الله، وإنما قال: لعنتي.

(هذا هو أعظم اللعن) عندما ينسب إلى الله ﷻ.

الخلاصة: عندما يقول سبحانه: لعنتي، فهي أشد وأعظم أنواع اللعن، ثم

يأتي أقل منها شـــدة قوله: لعنة الله، ثم أقل منها شدة قوله: يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون، وأقل من ذلك شدة قوله: لعنهم الله.

إذن من الأشد إلى الأدنى: لعنتي، لعنة الله، يلعنهم الله، لعنهم الله.

[١٦٣] ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾:

الإله هو الله ﷻ، ولم يرد في القرآن لفظ الإله، وإنما وردت كلمة إله.

في الآية السابقة تحدثت على وجوب بيان ما أنزل الله من البيان والهدى، وعدم كتمانه، وفي هذه الآية يبين أول وأهم هذه الأمور الّتي يجب تبيانها للناس هو أمر التوحيد، توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء، والصفات، فيقول تعالى:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾: تدل على الألوهية، والعبودية.

﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: لا يتجزأ ولا يصبح اثنين، أو ثلاثة؛ أي: ليس مركب من أجزاء لم يلد ولم يولد، فليس له ولد.

وأما أحد: يعني ليس له شـــبيه، ولا مثيل في ذاته وصفاته؛ أي: ليس كمثله شيء. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي: لا معبـــود إلّا هو، وفي هذه الآية نجد النفي والإثبات في نفس الوقت.

﴿لَّا﴾: النّافيـــة. ﴿إِلَٰهَ﴾: معبود، ﴿إِلَّا﴾: حصر، هـــو: ضمير فصل يفيد التّوكيد، ويعود على الله.

فكلمة: ﴿لَّا إِلَٰهَ﴾: تفيد النفي، نفى سبحانه عن نفسه وجود الشريك، والند،

والمثيل، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: هو: تفيد الإثبات، وأنت واحد في الألوهية، والربوبية، والأسماء، والصفات.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: مشتق من الرّحمة على وزن فعلان: تفيد التجدد، والتكرار.

رحمن الدّنيا: لأنّ رحمة تشمل المؤمن والكافر معاً.

طط ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: مشتق من الرّحمة على وزن فعيل؛ تفيد الثبوت.

رحيم الآخرة: لأنّ رحمة خاصة بالمؤمنين في الآخرة.

فكلمة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: تعني: رحمته متجددة، ومتكررة، ومستمرة، وثابتة للمؤمن والكافر في الدّنيا، وللمؤمن فقط في الآخرة، ولو اكتفى بكونه الرحمن فقط، ولم يقل: الرحيم، فربما يظن ظانٌّ أنّ رحمته قد تزول، ثم تعود، وتتجدَّد، ولذلك جاء بالرحيم؛ لتدل على ثبوت رحمته، وإن تجدَّدت وتكرَّرت. ارجع إلى سورة الفاتحة، الآية (١).

❖❖❖

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

سورة البقرة [الآيات ١٦٤ - ١٦٩]

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: أنه لما نزلت: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: تعجب المشركون، وقالوا: إله واحد؟ إن كان صادقاً فليأتِ بآية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل يفيد التّوكيد.

﴿فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خلق السموات والأرض مرَّ بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى: مرحلة الرتق؛ حيث كانت السماء والأرض عبارة عن جرم صغير، مليء بالطاقة والمادة، ثم مرحلة الفتق الانفجار، ثم مرحلة الدخان، ثم تمايزت الأرض إلى سبع أرضين بإنزال الحديد، وتمايزت السماء إلى سبع سموات، ثم مرحلة الإتيان، ثم مرحلة الدحو؛ حيث أخرج الله سبحانه من الأرض غلافها المائي، والغازي، ثم تشكلت الجبال، ثم مرحلة تقدير الأقوات،

ومرحلة الدحو: تعني: مرحلة المد، والبسط، فقد بدأت الأرض من جزيرة بركانية، فلم يكن هناك يابسة، وغُمرت الأرض بالماء.

ثم فجَّر الله سبحانه قاع المحيطات بثورة بركانية، وبدأت البراكين تلقي بحممها فوق قاع المحيط، فتكونت سلسلة جبلية في قاع المحيط، ارتفعت تدريجياً، وظهرت فوق سطح الماء، وتشكلت الحياة وسط المحيط، وكانت أرض مكة هي أول جزيرة بركانية.

ثم توالت ثورة البراكين، وكوَّنت القارة الأم الّتي فتتها ربُّنا بشبكة من الصدوع إلىٰ قارات سبع، وبدأت هذه القارات تتباعد حتّىٰ وصلت إلىٰ مكانها الحالية، وبقيت مكة وسط اليابسة. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٢، ٢٩)، وسورة الأنبياء، آية (٣٠) لمزيد من البيان.

واختلاف الليل والنهار، الدالُّ علىٰ كروية الأرض، هذا الاختلاف الناتج عن دوران الأرض حول محورها، وحول الشمس، هذا الاختلاف الضروري لاستقامة الحياة علىٰ هذه الأرض.

﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾.

الفلك: السفن، والفلك: تستعمل للواحد والجمع. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم، آية (٣٢) للبيان.

﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: أي: السفر، والنقل، وما تحمله من أمتعة، وبضائع، وطائرات، وصواريخ في السلم، والحرب تذهل العقول. ولمعرفة معنىٰ النّاس، ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة.

﴿مِن مَّآءٍ﴾: ماء المطر، تشير إلىٰ دورة المياه حول الأرض. ارجع إلىٰ سورة النازعات، آية (٣١)، وسورة الحج (٥)، وسورة فصلت، آية (٣٩) لمزيد من البيان.

كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الروم:٤٨].

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾:

﴿فِيهَا﴾: في الأرض.

﴿وَبَثَّ﴾: نشر، وفرق فيها بالتوالد.

﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: من: استغراقية.

﴿كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: كل ما يدب علىٰ الأرض من حيوان، وإنس، وجنٍّ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، والدابة في العُرف الخاص، تعني كل ما يدب علىٰ الأرض من حيوان. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٦٠) لمزيد من البيان في معنىٰ دابة، وهل تشمل الإنسان أم لا.

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

التصريف: لغةً: التغيير؛ أي: تغييرها تارة تأتي بالرحمة، وتارة تأتي بالعذاب، وتارة تؤلف بين السحاب، وتارة تفرق السحاب، وتارة تهب من الغرب، وتارة تهب من الشرق.

﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾: كلمة الرياح في القرآن تستعمل في سياق الرّحمة. وأما كلمة الريح فتأتي في سياق العذاب، كما سنرىٰ في الآيات الأخرىٰ.

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾: [الحجر:٢٢].

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [فاطر:٩].

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية:٥].

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ [الرعد:١٢].

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [الأعراف:٥٧].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ﴾ [النور:٤٣].

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [الروم:٤٨].

لها أوصاف عدَّة عقيماً، أو صراً، أو لينة، أو عاصفة، أو مصفرة، وتصريفها شمالاً، وجنوباً، وشرقاً، وغرباً.

﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾: اللام: للتوكيد. وآيات: وردت نكرة؛ للتعظيم، والتضخيم؛ أي: آيات عظيمة دالة على القدرة الإلهية.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾: اللام في كلمة لقوم: تفيد الاختصاص؛ أي: هذه الآيات تحتاج إلى قوم ينظرون في هذه الآيات، ويتأملونها ويقومون بالاستقراء، والتجربة، والاستنتاج؛ حتّى يصلوا إلى فهم الحقائق العلمية والّتي هي أدلة واضحة على عظمة الخالق، وقدرته، وعلى وحدانيته، ورحمته، وانه هو الخالق البارئ المصور، وأنه هو الإله الحق، ولا إله إلَّا هو.

[١٦٥] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا

أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾:

﴿وَمِنَ﴾: الواو: عاطفة. من: ابتدائية (بعض) النّاس. ارجع إلىٰ الآية (٢١) من سورة البقرة للبيان.

وكلمة النّاس: لا تدل علىٰ عدد معين، وليست محدودة، وقد تشمل كل النّاس، وكلمة النّاس فيها معنىٰ النوس؛ أي: الحركة، والحركة يتصف بها الجن والإنس.

﴿مَن﴾: اسم موصول، يتخذ: من أفعال التحويل والتصيير، اتخذ وتَخِذَ بمعنىٰ واحد، أو أصل واحد، ويختلف معناهما عند أخذ اتخذ علىٰ وزن افتعل. فيها معنىٰ التكلف، والجهة والمشقة، كما نرىٰ في أفعال الشر تنفذ بمشقة وصعوبة وجهد، مقارنة بأفعال الخير تنفذ بسهولة، واتخذ فيها معنىٰ الاختيار، والاصطفاء، وليس فيها معنىٰ القهر، والجبر، وكذلك فيها معنىٰ الاستمرار.

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: بمعنىٰ من غير، أو سوىٰ، وأصلها ظرف مكان بمعنىٰ تحت.

﴿أَندَادًا﴾: جمع ند، والتناد تعني: التنافر، والتضاد، وقد تعني: المثل (كل من هو مثل)، فكل ند هو مثل، وليس كل مثل ند، وتعني: الشركاء، مثل الأوثان، والأصنام، والطاغوت، والرؤساء. ارجع إلىٰ الآية (٢٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾: الحب من الأعمال القلبية؛ أي: تعلق القلب أو

الميل إلىٰ الخير أو الشر، والحب له أنواع، منها حب عبادة، أو حب شهوة، وغريزة، أو حب مصلحة ومنفعة، حب عطف ورحمة.

يحبونهم؛ أي: يحبون آلهتهم، كما يحبون الله؛ أي: يحبون كِلا الأمرين يحبون الله، وفي نفس الوقت يحبون آلهتهم، والكاف للتشبيه، وتعني: يسوون بين الأنداد، وبين الله في المحبة، فيعظمون أندادهم، ويتوسلون إليهم، ويتقربون إليهم بالصدقات، والقرابين، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، أو يقربونا إلىٰ الله زلفىٰ.

وجاء بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تجدد الحب والاستمرار عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾: من حب هؤلاء لأندادهم.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية. وجواب الشرط محذوف ليترك لكل ذي عقل أن يتصوره، ويتخيل شدته، وهوله؛ أي: لما أو حين اتخذوا من دون أنداداً، أو لا يعلمون أنّ القوة لله جميعاً.

﴿يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: يرىٰ من الرؤية، والرؤية في اللغة علىٰ ثلاثة أوجه:

١ - الرؤية بمعنىٰ العلم، يرىٰ يعلم، كقوله: ونراه قريباً؛ أي: نعلمه قريباً.

٢ - الرؤية بمعنىٰ الظن إنهم يرونه بعيداً؛ أي: يظنون بعيداً.

٣ - الرؤية بالعين رؤية بصرية.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: أي: الّذين أشركوا (الظلم هنا الشرك) أن الحب لله: هو حب عبادة، ويجب أن يكون لله وحده، وإلا فهو شرك.

﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾: إذ: ظرف زمان لما يستقبل من الزمان، (وقد يكون للماضي أحياناً)، وتسمى أحياناً إذ الفجائية؛ أي: يفاجَؤون بالعذاب؛ إذ يرون بعين اليقين يرون حالتهم عند رؤيتهم العذاب يوم القيامة، وقد سبق أن أنذروا به، وهم بالحياة الدّنيا؛ فلم يصدقوا ذلك.

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: أن: للتوكيد، توكيد القوة لله، وجميعاً لزيادة التّوكيد: أنّ القوة لله جميعاً، وليس لآلهتهم وشركائهم أي قوة، وأنها عاجزة عن دفع العذاب عنهم.

﴿ٱلْقُوَّةَ﴾: القدرة، والمنعة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: أن: للتوكيد شديد العذاب.

[١٦٦] ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾:

﴿إِذْ﴾: الفجائية.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾: حالة رؤيتهم العذاب ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾.

التبرأ: البعد، والخلاص، تخلوا عنهم.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾: هم القادة والرؤساء المضلين، وأئمة الكفر.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾: الأتباع.

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: الواو: واو الحال؛ للتأكيد.

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: بعين اليقين.

﴿وَرَأَوُا۟﴾: تعود على المعبودين والعابدين (الرؤساء والقادة والأتباع).

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾: جاء بالفعل الماضي؛ كأنّ الأمر حدث وانتهى، رغم أنه لم يحدث بعد، وسيحدث يوم القيامة.

﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: جمع سبب، والسبب في اللغة: الحبل، ثم استعمل في كل ما يربط بين شيئين، وكل ما يتوصل به إلى مقصد أو غرض، والحبل أحد طرفيه بيد المتبوع، والآخر بيد التابع.

﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: القرابات، والصدقات، والصلات، والعلاقات الّتي كانت بينهم في الدّنيا، وتنحل كل الروابط الاجتماعية يوم القيامة من نسب وصدقات. . . ولا تبقى إلّا رابطة الإيمان.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾: أي: الأتباع.

﴿لَوْ﴾: حرف تمنٍّ وشرط.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كَرَّةً﴾: رجعة، وعودة إلى الحياة الدّنيا.

﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾: والفاء للتوكيد؛ أي: نتخلّى عنهم، ونبتعد.

﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: كما أراهم الله العـذاب فرأوه بعين اليقين، يريهم الله أعمالهم القبيحة «مثل الشّـرك والظلم»، فتكون عليهم حسـرات، ويريهم أعمالهم الصالحة الّتي أوجبها عليهم فتركوها، ولم يفعلوها أيضاً.

﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾: والحسرة: هي أشـد النّدم، أو الندم الشّديد الّذي يكاد يحسر صاحبه فيقعده عن الحركة والعمل.

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: أي: لن يجدي ندمهم في إخراجهم من النّار؛ أي: فهم فيها خالدون.

[١٦٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾:

نزلت هذه الآية في ثقيف، وخزاعة، وغيرهما من القبائل الّتي حرمت ما لم يحرمه الله، مثل البحيرة، والسّائبة، والوصيلة، والحام، بعدم ذبحها، أو ركوبها، أو الاستفادة منها. والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: نداء للناس، ارجع إلى الآية (٢١)؛ لمعرفة معنى النّاس. والهاء في أيها: للتنبيه، والإصغاء، والاستماع لهذا الأمر المهم.

﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: مما: من + ما، من: ابتدائية للتبعيض؛ لأنّ كلّ ما في الأرض ليس بمأكول.

﴿حَلَٰلٗا﴾: الحلال: ما نص الشّـارع على حله، «والّـذي لا يتعلّق به حق الغير»، أما المباح: فهو ما لم ينص الشّارع على تحريمه في حكم عام، أو خاص.

﴿طَيِّبًا﴾: الطّاهر غير النجس، وفيه شيء من اللذة أو تقبله النفس.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ لمعرفة معنى الشّيطان.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: النّاهية.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾: جمع خطوة، وهي المسافة بين قدَمي الماشي.

﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: سبل الشّيطان، وساوس الشّيطان، وهمزاته، ونزغاته، وتزينه.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: إن: للتوكيد، ﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، لكم: خاصة.

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة، عداوته لا تخفى على أي إنسان، وهو لا يُخفي عداوته، وعداوته ظاهرة وبيِّنة، لا تحتاج إلى مَن يظهرها.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿يَأْمُرُكُم﴾: شبه وساوسه وتزينه وإغوائه ونزعه وإضلاله بمنزلة الأمر على سبيل الاستعارة، مثال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النّساء، آية ١١٩].

وهو ليس له سلطان؛ كقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٩-١٠٠].

﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾: الباء: للإلصاق، والاستمرار، والسوء: سمي سوءاً؛ لأنه تسوء عواقبه، أو سمي سوءاً يسوء إظهاره، ويسوء إلىٰ النّفس مثل الغيبة والنّميمة.

﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: ما يوجب الحد فيه مثل الزّنىٰ، واللواطة، وشرب الخمر.

﴿وَأَن﴾: أن مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: ويوسوس لكم الشّيطان أن تقولوا علىٰ الله ما لا تعلمون: أنّ الله حرم البحيرة والسّائبة والوصية والحام مثلاً، وهو لم يحرم، وأنعام، وحرث لا يطعمها إلَّا من نشاء بزعمهم، وأنعام حُرمت ظهورها، وما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكرنا، ومُحرم علىٰ أزوجنا، أو حرم هذا، وهو لم يحرِّمه، أو أحلَّه وهو حرمه. وهكذا. . .

❖❖❖

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

سورة البقرة [الآيات ١٧٠ - ١٧٦]

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية للمستقبل.

﴿قِيلَ﴾: مبني للمجهول؛ أي: لا يهم من هو القائل، وإنما المهم المقولة هنا.

﴿لَهُمُ﴾: أي: للناس، ومنهم كفار العرب، واليهود.

﴿ٱتَّبِعُواْ﴾: ما أنزل الله لكم في كتابه من رزق هذا حلال، وهذا حرام، ولا تشركوا به شيئاً.

﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: بل حرف إضراب انتقالي، ما اسم موصول، أو مصدرية.

﴿أَلْفَيْنَا﴾: بمعنى وجدنا، وهناك اختلاف بين ألفينا ووجدنا في القرآن الحكيم:

أما ألفينا: تستعمل للأمور المشاهدة؛ أي: المحسوسة، أو المادية، وتستعمل في سياق الذّم، والأمور غير المستحبة.

وأما وجدنا: تستعمل لأفعال القلوب وللأفعال غير المحسوسة، والأمور المحسوسة والمشاهدة، فوجدنا: أعم وأشمل، ولا تستعمل للذَّم الشديد.

﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: الآباء: تأتي في سياق التربية والرعاية، والوالدان: تستعمل

في سياق الإحسان لهما والمعروف والإنفاق والوصية؛ فهم اختاروا الاستمرار على تقليد آبائهم، والتّقليد هو قبول الحكم بلا دليل من القرآن أو السّنة؛ أي: سنن آبائهم.

﴿أَوَلَوْ﴾: الهمزة: للتعجب، والإنكار، الواو: للحال.

﴿كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾: لا: النّافية المطلقة، يعقلون شيئاً: نفى عنهم العقل؛ أي: الفهم والإدراك.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: تكرار (لا) تفيد توكيد النّفي، وفصل كل من العقل والهداية على حده، أو كلاهما معاً، ولا يهتدون إلى الحق، أو الفهم الصحيح.

انتبه إلى استعمال: ألفينا هنا جاءت في سياق الذّم، ولذلك جاء معها ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: فيها ذم أكبر، أو أكثر من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؛ لأنّ نفي العقل أشد من نفي العلم.

مثال على ذلك: في هذه الآية (١٧٠) من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

وفي سورة المائدة، آية (١٠٤): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

فآية سورة البقرة جاءت في سياق الّذين اتخذوا الأنداد والأصنام (في سياق الشرك) وعبادتها، فهؤلاء أشركوا بالله، وحرَّموا ما أحلَّ الله، واتَّبعوا خطوات الشّيطان، ولذلك وصفهم بأنّهم: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

بينما آية المائدة (١٠٤): جاءت في سياق الّذين اتخذوا البحيرة، والوصيلة، والسّائبة، والحام، فهؤلاء شرعوا من الأنعام من دون علم، وقلّدوا آباءَهم، ولذلك وصفهم بأنّهم: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، فكلا الفريقين ضلّ، ولكن ضلال الفريق الأوّل أسوأ من الفريق الثّاني.

ولذلك وصف الفريق الأوّل بـ: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ «نفىٰ عنهم العقل».

والفريق الثّاني: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ «نفىٰ عنهم العلم».

ونفي العقل أسوأ وأشد من نفي العلم، كما سبق، والاعتماد علىٰ العقل، أو العلم وحدهما لا يكفي، فلا بد من هداية الرّب، فكم من عالم مُلحد ضال، وكم من حكيم يدعي الحكمة والعقل، وهو ضال أيضاً.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾: أي: حالهم يشبه الّذي ينعق، وهو الرّاعي الّذي يصيح بالماشية الّتي يرعاها ليزجرها، أو يوجهها إلىٰ طريقها.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿بِمَا لَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: لغير العاقل «الماشية»، لا: النّافية.

﴿لَا يَسْمَعُ﴾: أي: لا تفهم من الرّاعي.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾: وهناك فرق بين الدعاء والنداء:

فالدعاء: يكون بخفض الصوت، ويكون عادة للقريب.

أما النداء: فيكون برفع الصوت، ويكون عادة للبعيد.

﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾: بصيغة النكرة؛ أي: مهما كان صيغته وسياقه لا يهم؛ لأنه مجرد دعاء ونداء غير مفهوم للماشية.

فالماشية تسمع الدعاء، والنّداء، ولكن لا تفهم ما يقوله الرّاعي، فهو يمشي أمامها، أو خلفها، وحين تخالف أمره يصيح بها، ومع مرور الزّمن تدرك الماشية أنّ رفع الصّوت لزجرها، ومنعها، ولذلك تغير مسيرها هنا، أو هناك، ومع الزّمن والتّكرار «بالتّقليد» تعرف أمكنتها مكان المبيت والرّعي والشّرب.

فالرّسول ﷺ هو الرّاعي «أي: الدّاعي»، يدعو الّذين كفروا إلىٰ الإيمان «وهم كالماشية والغنم»، فهم لا يسمعون ما أُنزل إليهم من ربهم إلّا مجرد سماع لا طاعة معه «كما أنّ الماشية تسمع الرّاعي ولا تعقل ما يقوله، كأنّ في آذانهم صمم أو وقر»، وهم بكم لا ينطقون بالشّهادة، ويصدقون الرّسول كما أنّ الماشية تنطق بكلمات لا يعقلها الراعي، أو من يسمعها.

وهم عميٌ لا يبصرون آيات الله الكونية، ويؤمنون بالله «كما أنّ الماشية تبصر وترىٰ طريقها، ولكن لا تعلم أنّها تساق أحياناً إلىٰ أماكن ذبحها»، وهكذا حال الّذين كفروا صمٌّ بكمٌ عميٌ معاً؛ أي: كلّ من هؤلاء الكفرة صمٌّ بكمٌ عميٌ في نفس الوقت.

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد أيضاً، ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: لماذا خلقوا وما هو مصيرهم الأبدي.

وفي سورة الأنعام، الآية (٣٩): قال سبحانه: ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾.

وفي سورة الإسراء، الآية (٦٧): ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾.

ففي هاتين الآيتين إضافة الواو تجعل هؤلاء فئات مختلفة فئة صم وفئة

بكم وفئة عمي، أما في آية سورة البقرة فهم فئة واحدة لها ثلاث صفات في نفس الوقت صمٌّ بكمٌ عميٌ.

[١٧٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء جديد للذين هم على درب الإيمان؛ إما بتكليف جديد، أو فعل شيء، أو الكف عن شيء، أو أمر، أو بيان حكم، أو تحذير، أو تخيير، وهكذا، والهاء: للتنبيه، والياء: للبعد، والأمر هنا هو.

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: ﴿مِن﴾: ابتدائية، وتعني بعض.

﴿طَيِّبَٰتِ﴾: الطّيبات جمع طيب، والطّيب هو الحلال الطّاهر.

﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: ما: اسم موصول، ما هنا لغير العاقل.

﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾: واشكروا المنعم على نعمه الّتي فيها أكل الطّيبات، واشكروا لله فيه انتقال من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب للفت الانتباه.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: ﴿إِن﴾: شرطية تفيد القلة؛ أي: قليلاً ما تشكرون، ولم يقل: إن كنتم إياه تشكرون، بل قال: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: فهذا يدل على أنّ الشّكر عبادة، والعبادة أعم من الشكر، وقدَّم إياه للاختصاص والحصر، وأنّ الشّكر لله وحده المنعم.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد الحصر والتّوكيد.

﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾: وتعريف المحرَّم: هو ما طلب الشّارع الكف عن فعله طلباً؛ كقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾، أو نهياً؛ كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾، أو الأمر باجتنابه: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ فاجتنبوه، أو أن يترتَّب على الفعل عقوبة مثل الّذين يرمون المحصنات.

﴿الْمَيْتَةَ﴾: أي: ذهبت منها الحياة، وانتهت؛ أي: خرجت روحها، وانتبه إلى كلمة الميت كيف تشكل مَيْت، بسكون الياء، وهذه تعني: مات بالفعل، أما كلمة مَيّت بتشديد الياء هذه فمعناها لم تمت بعد لا زالت حية، وستموت فيما بعد.

﴿وَالدَّمَ﴾: الدّم المسفوح السّائل محرم شربه، أو طبخه، أو استعماله كغذاء بأي شكل، ويستثنى من ذلك الدّم المختلط باللحم، أو العروق.

﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾: المعروف لدى النّاس.

﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: ما ذُبح ولم يذكر اسم الله عليه، فقدم به على اسم الجلالة (الله)؛ لأن السياق في المأكول (الحلال والحرام)، وقد قيل: نزلت هذه الآية في المدينة على المؤمنين لبيان ما حل لهم وحرم عليهم فقدم به (المأكول).

أما قوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كما ورد في سورة المائدة آية (٣)، والأنعام آية (١٤٥)، والنّحل آية (١١٥)، تعني: ما ذبح تقرباً للأصنام، والآلهة، والأولياء، وقدم اسم الجلالة؛ لأن هذه الآيات جاءت في سياق الأمر بطاعة الله وتقواه وتعظيم شعائره، وقيل: نزلت آية النحل والأنعام في مكة، فقدم ذكر الله على ذكر الأصنام على ذبائحهم.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: ﴿فَمَنِ﴾: الفاء: استئنافية، مَن: شرطية، ﴿اضْطُرَّ﴾: أي: أُلجِئَ، أو أُكرِه بحكم الضّرورة، أو الضّرر؛ كأن خاف

على نفسه الهلاك بعد أن استنفد الأسباب فيحلُّ عندها الأكل من الميتة، أو الدَّم، أو لحم الخنزير، أو ما أهل به لغير الله على شرطين:

الشّرط الأوّل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: أي: لا يأكل فوق حاجته، أو فوق ما يسد رمقه.

الشّرط الثّاني: ﴿وَلَا عَادٍ﴾: أي: لا يأكل من هذه المحرمات، وعنده أطعمة أخرى تسد رمقه.

﴿فَلَآ﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّافية للجنس.

﴿إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: فلا ذنب عليه، ولا معصية، ولا حرج. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿غَفُورٌ﴾: كثير المغفرة يغفر الذّنوب مهما عظمت، أو كثرت، ولو كانت مثل زبد البحر، والغفر هو الستر، وبالتالي العفو. وإذا قارنا آية البقرة (١٧٣) مع آية المائدة (٣)، وآية الأنعام (١٤٥)، وآية النحل (١١٥): نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وفي آية الأنعام فقط: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لأن آية الأنعام بدأت بكلمة ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ فقال: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وبقية الآيات خطاب من الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿رَّحِيمٌ﴾: لا يعجل العقوبة، أو العذاب لعباده، فهو دائم الرّحمة، رحيم صيغة مبالغة يمحو السّيئات، ويثيب على الحسنات، وللضرورة والحاجة ضوابط شرعية، والّذي يقرر الضّرورة والحاجة في الأمور المستجدة هم علماء الأمة الموثوق بدينهم، وعلمهم مع أهل الخبرة والاختصاص. ارجع إلى الآية (١١٥) من سورة النحل للبيان المفصل.

[١٧٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا

أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾: ارجع إلى الآية (١٥٩) من سورة البقرة، والّذين: تعود على أحبار اليهود، ورهبان النصارى، وتشمل كلّ من يكتم ما أنزل الله في التّوراة، والإنجيل، والقرآن.

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾: في أوصاف وصفات النّبي ﷺ، وضرورة الإيمان به واتّباعه؛ حيث كتموا اسم النّبي ﷺ، وغيّروا صفاته، أو غيّروا، أو حرّفوا في كتبهم.

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: أي: التّوراة والإنجيل.

﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾: يشترون بما كتموا، وما حرّفوا في اسمه وصفاته ﷺ ثمناً قليلاً. ارجع إلى الآية (٧٩) من سورة البقرة، والآية (٧٧) من سورة آل عمران.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾: أي: ما يأخذونه من رشوة، أو منفعة من جراء تغيُّر شرع الله، أو كتم أحكامه، سوف يتحوَّل يوم القيامة إلى ماء حميم يقطع أمعاءهم، ويصهر به ما في بطونهم، والجلود.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾: بسبب ما أنكروه وحرّفوه، أو افترائهم الكذب على الله، واشترائهم به ثمناً قليلاً، وهذا يعتبر بحد ذاته من أشد أنواع الحرمان.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾: ولا يطهرهم من الذّنوب، ويعفو عنهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اللام في لهم: للاستحقاق، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام، لا يُطيقُه أحد.

ولننظر إلى هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فإذا قارنَّاها بالآية (٧٧) من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

نجد في آية البقرة العقوبات الأربع، وهي:

١ - ما يأكلون في بطونهم إلا النار.

٢ - لا يكلمهم.

٣ - لا يزكيهم.

٤ - ولهم عذاب أليم أشد وأبلغ وأسوء من العقوبات في آية آل عمران؛ لأن ذنب أو إثم الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمناً قليلاً أعظم من ذنب الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً؛ لأن ضرر الكتمان لا يقتصر على أنفسهم وإنما يتعدى لغيرهم مقارنة بالذين يشترون؛ ارجع إلى الآية (٧٧) من سورة آل عمران لمزيد من البيان.

[١٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾: اسم إشارة يشير إلىٰ الّذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، ويشترون به ثمناً قليلاً، ويشير إلىٰ سوء عملهم؛ لأنّهم اشتروا «استبدلوا أو اختاروا»، اشتروا في الدّنيا الضلالة بدلاً من الهداية، والعذاب بدلاً من المغفرة؛ أي: فضلوا الضّلالة علىٰ الهدىٰ.

﴿ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾: تعني: أنهم ابتعدوا عن دينهم، وضلوا الصّراط، والغاية، وتركوا الهدىٰ والصّراط (الدّين) وساروا في طرق الغي والضّلال والعصيان، والعذاب علىٰ المغفرة: أي: أخذوا أو اختاروا العذاب في نار جهنم علىٰ المغفرة، ورضوان الله.

﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾: ﴿ فَمَآ ﴾: الفاء: استئنافية، ما: استفهامية، تحمل معنىٰ التعجب، ﴿ أَصۡبَرَهُمۡ ﴾: من أصبر علىٰ وزنه أفعل، وهي إحدىٰ صفتي التّعجب، والتّقدير: أي شيء أصبرهم علىٰ النّار، أو ما أشد صبرهم علىٰ النّار؛ لأنّ ذلك من أعجب الأمور، وهذا إعلام وإنذار لكلّ من يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، ويفتري علىٰ الله الكذب، أو يبدِّل دين الله، ويحلل، ويحرم من دون علم، ولا دراية.

[١٧٦] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾:

﴿ ذَٰلِكَ ﴾: اسم إشارة إلىٰ ما تقدَّم من الوعيد بالعذاب الّذي ينتظرهم، وهو غاية العدل.

﴿ بِأَنَّ ﴾: الباء: للإلصاق، أن: للتوكيد.

﴿ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾: أي: «التّوراة، أو الإنجيل، أو القرآن».

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، هو الحق الثّابت الّذي لا يتبدل، ولا يتغير، ولا يغالب، ولا يحاد عنه.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التّوراة، وهم اليهود، والنّصارىٰ، اختلفوا في صفة عيسىٰ المذكورة في التّوراة، أو صفة محمّد ﷺ في التّوراة، والإنجيل، وهكذا. . . أو آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وفي القرآن قالوا: إنه شعر، أو سحر، أو افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، أو أنه أساطير الأولين.

﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: ﴿لَفِى﴾: اللام: للتوكيد، شقاق: خلاف مع بعضهم البعض، ﴿بَعِيدٍ﴾: بعيد عن الحق ولم يصفه بالكبير أو العظيم، بعيد صفة للشقاق؛ أي: لن يستطيعوا أن يرجعوا عنه؛ أي: يصلحوا فيما بينهم؛ ارجع إلىٰ الآية (١٣٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

❖❖❖

نصف الحزب ٣

لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ
بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ
بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

سورة البقرة [الآيات ١٧٧ - ١٨١]

[١٧٧] ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾:

المناسبة: أدّىٰ تحويل القبلة إلىٰ المسجد الحرام إلىٰ فتنة كبرىٰ، وخلاف، وبلبلة بين أتباع كلّ ملّة، وأخرىٰ، وكلّ ملّة دعت إلىٰ اتباع قبلتها، سواء كانت المسجد الحرام، أو بيت المقدس، أو المشرق، أو المغرب.

حتّىٰ نزلت هذه الآية فأبان الله ﷻ للناس كافة: أنّ مجرد التّوجه إلىٰ أي قبلة ليس في ذاته هو البر الحقيقي المقصود، ثمّ أبان البر الحقيقي فقال:

﴿لَّيْسَ﴾: أداة نفي.

﴿ٱلْبِرَّ﴾: قيل: هو الشّيء الحسن النّافع، والبر: اسم جامع لكلّ خير ولكلّ طاعة، وعمل صالح، يؤدي إلىٰ خلق حميد وقربىٰ إلىٰ الله.

﴿أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: أي: ليس البر هو مجرد تولية الوجه في الصّلاة نحو المسجد الحرام، أو بيت المقدس، أو المشرق، أو المغرب.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: لكن: حرف استدراك وتوكيد.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: الإيمان الّذي يتضمن توحيده في ألوهيته، وربوبيته، وفي أسمائه وصفاته من دون تشبيه، أو التحريف، أو تعطيل، أو تكييف، وعبادته، وطاعته بإخلاص ومحبة.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾: أي: الإيمان بكلّ ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، أو أخبر به رسوله ﷺ، الإيمان بأحداثه المروعة، وأهواله، ويشمل البعث، والحشر، والحساب، والعرض، والموازين، وتطاير الصّحف، والصّراط، والجنة، والنّار.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: بأنّ لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ولهم وظائف، ولهم صفات وأعمال نؤمن بها من دون زيادة، ولا نقصان، ولا تحريف.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: الكتب الّتي أنزلها الله على أنبيائه، ورسله، ومنها: القرآن، والتّوراة، والإنجيل، والزّبور، والصّحف الّتي أنزلها على إبراهيم، وموسى، والكتب الّتي أنزلها على سائر الرّسل، ولم يخبرنا بها.

﴿وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾: ومنهم الرّسل فكلّ رسول نبي، وليس كلّ نبي رسول، وقد ورد ذكر أسماء بعضهم في القرآن، والبعض الآخر لم يذكر، فالإيمان بهم يأمرنا أنّ نؤمن بهم جميعاً، ولا ننكر نبوّة أحد منهم، ولا رسالته، ونؤمن أنّ كلّاً منهم أدّى أمانته، وبلّغ رسالته. . . وأنّ الله أمدّهم بالمعجزات، فقد قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء:٧]، ثم ينتقل وصف البر من الأمور العقدية إلى الأمور المادية، ومنها:

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: ﴿وَءَاتَى﴾: معناها أعطى المال على حبه، والهاء تعود إلى حب المال، أو تعود إلى حب الإيتاء، فيصبح معناها:

أعطى المال، وهو يحب المال، أو يحب أن يتصدق به، أو كلاهما معاً، والإيتاء غير العطاء.

وآتى المال، ولم يقل يعطي المال؛ لأن العطاء: دليل التّملك، دون الإيتاء، وأنت حين تؤتي المال، ولا تقول تعطي؛ لأنك إذا قلت: تعطي؛ أي: يصبح المعطى له مالكاً له، وفي الحقيقة هو لا يملك المال، وإن أعطيته؛ لأنّ المال هو مال الله، والملكية هي ملكية غير حقيقية؛ لأنّك سوف تموت، وتتركه لغيرك، أو تدفعه زكاة، أو صدقة، فكلمة تؤتي أحق وأفضل من استعمال تعطي، ثم إن هناك أمراً آخر قال سبحانه: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: ولم يقل: آتى المال وهو يحبه؛ لأنّ استعمال على أفادت على تمكُّن حب المال في قلبه وشدة التّعلق به.

إذن فعلاً هو يحب المال؛ كقوله سبحانه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، وقد تأتي بالمعنى الآخر آتى المال على حبه؛ أي: أعطى المال كصدقة، وهو يحب الصّدقات؛ لأنّ حب ما عند الله من ثواب أعلى وأفضل من حبه لفطرة المال وجمعه، والرّأي الأوّل أقوى.

﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أوّل من تؤتي المال ذوي القربى، الأقارب جميعاً الأقرب فالأقرب؛ لأنه كما جاء في حديث سلمان بن عامر: أنّ رسول الله ﷺ قال: «صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذي رحمك اثنتان؛ لأنّها صدقة وصلة رحم» أخرجه النّسائي، والتّرمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وأحمد.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: جمع يتيم، وهو من فقد أباه، ولم يبلغ مبلغ الرجال؛ أي: الحلم.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾: جمع مسكين، وهو المحتاج الّذي له مال لا يكفيه.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: السّبيل: هو الطّريق، وابن السّبيل: هو ابن الطّريق؛ أي: ليس لديه مكان يأوي إليه؛ إلّا الطّريق؛ أي: رجل منقطع في سفره، وقد يكون ابن السّبيل ذا مال في بلده، إلّا أنّ سفره قطعه عن ماله، وباعد بينه وبين أهله، وقد يشمل هؤلاء الّذين يعيشون في الطرقات، والله أعلم.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: جمع رقبة، وتعني فك رقبة: فك الأسير، أو العبد؛ لأنّ العبد يشبه من تملكه من رقبته عتق رقبة، أو فك رقبة: تحرير رقبة. ارجع إلى سورة البلد آية (١٣) للبيان.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة.

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة.

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾: العهد: وعد مقرون بشرط، والعهد يقتضي الوفاء، وقد يكون بين العبد وربه، أو يعاهده ربه على لسان رسوله، وأسند الله العهد إلى نفسه في القرآن كله، والعهد قد ينفرد به الفرد، والعهد يتمثل بقوله تعالى: وصينا، أمرنا، أوحينا، أو عهدنا.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث. والميثاق: هو عهد موثق مؤكد «موثق بأدلة وشهود، أو وثيقة».

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: ومن البر الصّبر. ارجع إلى الآية (٤٤) من سورة البقرة.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: عطف منصوب على مرفوع «الموفون» للاهتمام، والتّعظيم إظهاراً لفضل الصّبر في جميع الأحوال، والشّدائد، والطّاعات.

﴿فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: البأساء: من البؤس، وهو الفقر، والشّدة، والبطالة.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الضّر، والمرض، والألم، والعواصف، والبراكين، والأمراض، وسواء كانت المصيبة فردية، أو جماعية.

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾: البأس هنا يعني: الحرب، أو الشّدة في الحرب «الشّجاعة». وحين: زمن سواء كان سنة، أو شهوراً، أو أياماً، أو ساعات، زمن غير محدد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، يدل على بعد مكانتهم، وارتفاع درجاتهم. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: آمنوا بالله، واليوم الآخر، وملائكته، والكتاب، والنبيين، وآتى المال على حبه، وأقام الصّلاة، وآتى الزّكاة، والمؤمنون والصّابرون بشرط أن يفعلوا ما يقولون، ولا يكونوا من الّذين يقولون ما لا يفعلون.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: وأولئك هم المتقون: جمع متّقٍ، وهو من اتّقى غضب الله وسخطه، واتّقى النّار.

جمع لهم صفتين من أعظم الصّفات: الصّدق، والتّقوى، وأعاد ذكر أولئك لزيادة التّوكيد، وجاء بضمير الفصل هم؛ أي: إذا وجد متقون فهم حقّاً المتقون للمبالغة، والمتقون جملة اسمية تدل على الثّبوت؛ أي: أصبحت التّقوى صفة ثابتة لهم.

[١٧٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ

بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾: نداء جديد إلى الّذين آمنوا بتكليف جديد «لفعل أمر، أو نهي، أو بيان حكم، أو تحذير، أو تخيير».

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾: كتب عليكم: فرض عليكم، وثبت ولزم، وكتب فيها توكيد أشد من فرض.

لماذا جاء (كُتِبَ) بصيغة المجهول؛ لأن المشرع هو الله، ومعلوم من الّذي كتب، فلا داعي لذكر ذلك؛ لأنّ كل مؤمن يعلم ذلك، ويعلم مَن المنادي حين ينادي: يا أيها الّذين آمنوا.

وهناك من قال: بنيت للمجهول؛ لأنّ الأمر التكليفي فيه مشقة، ويحتاج إلى صبر، والأمور التّكليفية الصّعبة، أو فيها مشقة يبينها الله للمجهول كقاعدة عامة.

﴿عَلَيْكُمُ ﴾: جاء بعلى: للاستعلاء فيها، معنى المشقة، والإلزام، وعليكم تعني: تشريع للجميع، وليس لفرد واحد، وحين نستعمل اللام بدلاً من (على) كقوله: كتب لنا تعني لمصلحتنا، لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿ٱلْقِصَاصُ ﴾: من قصَّ، وقصى أثره؛ أي: تتبعه، والقصُّ: هو القطع؛ كالّذي يقص الثّوب بالمقص، والقصاص: هي المساواة، والمماثلة «مقابلة الفعل بمثله».

﴿فِى ٱلْقَتْلَى ﴾: جمع قتيل؛ بمعنى: مقتول.

﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ ﴾: الحر: هو غير المملوك، الحر مقابله العبد؛ أي: «لا نقص

للحر بعبد، أو بالعكس»؛ أي: يقتل الحر بالحر، ولا يقتل مسلم بذمي، أو يُقتل مسلم بكافر.

﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾: إذا قُتل عبدٌ نقتص له بعبد.

﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾: إذا قُتلت أنثىٰ نقتص لها بأنثىٰ، وليس بذكر.

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾: الفاء: استئنافية، مَنْ: شرطية، فمن تنازل له أخوه، ولي المقتول بالعفو والدّية، فعليه أن يقبل، أو قد لا يتنازل، وعندها يطبق عليه حكم القتل، «وهنا يعني القتل العمد».

أما إذا عفا عنه، وصفح؛ انتهىٰ الأمر، أما إذا طلب منه الدّية فاتباع بالمعروف، وأداء إليه بإحسان، فعلىٰ ولي المقتول أن لا يطالب بأكثر من حقه، وأن يستعمل الرّفق والأدب، وعلىٰ القاتل أن لا يماطل، أو ينقص من الدّية.

﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾: ذلك؛ أي: العفو، أو الدّية تخفيف؛ أي: تسهيل من ربكم ورحمة «حيث وسع عليكم ولم يفرض عليكم حكماً واحداً، وهو القتل فقط».

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: إذا عفا عن القاتل، أو أخذ منه الدّية انتهىٰ الأمر، أما إذا عاد ولي المقتول وانتقم من القاتل بأي شكل، أو ظلم، فله عذاب أليم، «لمن أخذ الدّية، ثم عاد وقتل الجاني».

[١٧٩] ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَلَكُمْ﴾: خاصة أيها المسلمون في الإسلام ثلاث شرائع: العفو، أو

القصاص، أو الدّية، فالدّية: غير مشروعة عند اليهود، فعندهم النّفس بالنّفس، والدّية هي المشروعة عند النّصارىٰ فقط، أما في الإسلام: فله إحدىٰ الاختيارات.

﴿ٱلْقِصَاصِ﴾: كما قلنا: أن يُفعل بالقاتل «أو الجاني» مثل ما فُعل بالمقتول «أو المجني عليه»، فالعقوبة في القصاص تكون من جنس الجريمة، أو أن يُعفىٰ عن القاتل، أو أن يدفع الدّية، فالقصاص تعتبر عقوبة مقررة لأجل صون حق الآدمي، أو البشر. فالقصاص شُرِعَ للحفاظ علىٰ حياة الفرد والمجتمع معاً.

وأما الحدود: فهي تعتبر عقوبة مقررة لأجل صون حق الله بسبب عصيان أمر شرعي، والحدود: هي حد السّرقة، والزّنىٰ، والقذف، والرّدة، وشرب الخمر، والحرابة، والعقوبة في الحدود لا تكون من نفس الجريمة، فالحدود «ليس لولي الأمر أو لولي القاتل تدخل فيها».

وعقوبة الحدود: هي إقامة الحد، مثل: الجلد، أو الرّجم، أو التعزير، أو قطع اليد، فحين يعلم القاتل «الجاني» أنّه سوف يُقتل إذا قام بفعل القتل؛ فقد تمنعه هذه العقوبة «والّتي نسميها القصاص»، من أن يقتل غيره، وعندها بهذا الرّدع يكون قد صان حياتين حياته، وحياة الّذي يريد قتله.

وجاء بكلمة حياة نكرة، ولها معانٍ كثيرة، نذكر منها:

أولاً: حياة للمجتمع بتوافر الأمن، والسّلام، وعدم فقدان أفراده بالقتل.

ثانياً: حياة في الآخرة للقاتل إذا استسلم لحكم الله، واقتص منه بقتله في الدّنيا؛ أي: سلامته من القصاص في الآخرة.

ثالثاً: حياة؛ أي: القصاص سبب حياة نفسين القاتل والمقتول؛ لأنّه لم تتم عملية القتل بسبب الرّدع بالخوف من القصاص.

رابعاً: حياة سبب دفع الدّية لولي القاتل، توفر له معيشة أفضل، وأفضل ما قيل في معنىٰ هذه: (القتل أنفىٰ للقتل)، ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، كلام في غاية البلاغة والإيجاز.

﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾: جمع لب، قيل: هو باطن العقل، أو صفوة العقل، أو ما زكىٰ من العقل، فكل صاحب لب له عقل، وليس كل صاحب عقل له لب، والألباب: من اللب، وليس القشرة؛ أي: لب الأشياء وليس ظواهر الأشياء.

فكلمة أولي الألباب تعني: الصّفوة من المؤمنين ذوي العقول النّيرة، الحكماء، والعلماء؛ الّذين هم أبعد نظراً، وأعمق فكراً في الأمور والآيات، فيجدوا الحكمة والفائدة فيما شرع الله، فيزدادوا هدىٰ وإيماناً وقرباً من الله. ارجع إلىٰ الآية (١٩٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾: لها معاني كثيرة منها: لعلكم: لعل للتعليل؛ أي: تتقون الله؛ أي: عذاب الله وانتقامه، تتقون النّار: بتجنبكم المعاصي، والقتل، تصلون إلىٰ منزلة التّقوىٰ، أو تعملون عمل أهل التّقوىٰ، تتقون الدّماء، وقتل الأرواح البريئة.

[١٨٠] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٧٨).

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية متضمنة معنىٰ الشّرط، وفيها معنىٰ الحتمية «حتمية الحدوث أو كثرته»؛ لأنّها جاءت في سياق الموت، والموت أمر حتمي لكل إنسان؛ لذلك استعمل إذا.

﴿حَضَرَ﴾: فيها معنىٰ شدة القرب، قرب الموت يحضر فجأة، وفيها معنىٰ المجيء مع المكث، والبقاء، ولو فترة قبل أن تخرج الرّوح «مرحلة الاحتضار».

﴿أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: قدَّم أحدكم «أي: المفعول» علىٰ الفاعل «وهو الموت» ليراعي شعور الإنسان بكراهية الموت «ولذلك أخَّر الموت»، ولتجنب عنصر المفاجأة، والمكروه للنفس وهو الموت.

﴿إِن﴾: شرطية: تستعمل للأمور النّادرة، أو المحتملة الحدوث، فقد يترك الإنسان ثروة بعد موته، وقد لا يترك.

﴿تَرَكَ خَيْرًا﴾: أي: مالاً بعد موته، أو غير المال.

﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾: الوصية علىٰ شرط ألا تتجاوز الثّلث، للوالدين والأقربين «اللام لام الاستحقاق»، ومن العلماء من قال: نزلت هذه الآية قبل آية تشريع الميراث الّتي حدد فيها نصيب الوالدين بالثّلث، أو السّدس، فقد كان النّاس يعطون كل ميراثهم لأولادهم، ويحرمون الوالدين، والأقربين، ولذلك جاءت هذه الآية لتمنعهم من الحرمان، وكذلك فيما لو كان الوالدين من الكفار يحق له يوصي بشيء من المال لهما، وحدود الوصية كما قلنا الثّلث، والباقي للورثة، مع العلم بأنّه لا وصية لوارث، وقال ابن عبّاس: المنسوخ هو وجوب الوصية للوارثين منهم «الآباء أو الأقربين»، وبقي الوجوب في حق من لا يرث منهم.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: يعني: بالعـــدل، وأن لا تتجاوز الوصية الثّلث، ولا يوصي لغني، ويترك الفقير من أقاربه.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: من باب الفرض، أو الواجب.

[١٨١] ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

كانت الوصية في البداية لا تكتب، بل بالسّماع، فإذا سمع الوصية أحد من الشّهود، ثمّ غير، أو بدل في الوصية؛ فالإثم والذّنب يقع عليه، والموصي لا ذنب عليه، وكذلك لا ذنب علىٰ الموصىٰ له، والتّبديل الّذي فيه إثم هو تبديل الهوىٰ، والباطل الّذي ليس فيه دليل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيـــد، لقول الموصين ولقول المبدلين لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض، ولا في السّماء.

﴿عَلِيمٌ﴾: يعلـــم بما تكن صدورهم، وما يعلنون إنـــه عليم بذات الصّدور، وعليم بما يعملون، من أقوال وأفعال، ويعلم ما في الســـموات وما في الأرض، وعليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.

❖ ❖ ❖

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ
عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

سورة البقرة [الآيات ١٨٢ - ١٨٦]

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾: ﴿خَافَ﴾: من الخوف، وهو توقع الضّرر، خاف: علم، أو توقّع من صاحب الوصية ﴿جَنَفًا﴾: ميلاً عن الحق والعدل خطأ من دون تعمد، أو ﴿إِثْمًا﴾: ميلاً عن الحق، والعدل تعمداً بأن زاد عن الثّلث، أو أوصى بأمواله إلى أحد أفراد عائلته؛ الّذين يرثون، أو أعطى من لا يستحق، وقالوا: الجور محصور في مخالفة النّص الشّرعي، والجنف: الظّلم النّاتج عن شهوة، أو حب، والحيف إذا مال الحاكم إلى أحد الطّرفين.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: قام بتعديل الوصية الّتي كانت مخالفة للشرع، أو بدل الباطل بالحق.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: الفاء للتأكيد، لا: النّافية للجنس، ﴿إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: لا ذنب عليه، ولا حرج. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن بدل الوصية للإصلاح. ارجع إلى الآية (١٧٣) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[١٨٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾:

نداء جديد من الله للذين آمنوا «والهاء لزيادة التّنبه» بأمر تكليفي جديد وهو الصّيام.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾: فرض، وكتب فيها توكيد أشد من فرض، وكان فرضه في السّنة الثّانية من الهجرة، كتب عليكم؛ أي: شرع لكم أيها الّذين آمنوا، فهو لم يشرعه إلّا لمن آمن، ولم يكتبه على الكافر، ولم يكتب على الكافر؛ أي: تكاليف؛ لأنّ التّكليف الإيمان لا يكلفه الله إلّا لمن آمن، ولذلك قال: كُتب عليكم بالبناء للمجهول، ولم يقل: كتبت عليكم، وعليكم تفيد العلو والمشقة. ارجع إلى الآية (١٧٨) من نفس السورة للبيان.

﴿ٱلصِّيَامُ﴾: لغة: من صام يصوم؛ أي: أمسك؛ كقوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾.

شرعاً: هو التعبد لله سبحانه بالإمساك عن الأكل والشّرب والفرج من الفجر حتّى الغروب.

﴿ٱلصِّيَامُ﴾: ولم يقل الصّوم؛ لأنّ الصّوم في القرآن؛ يعني: الصّوم عن الكلام «أي: الصّمت» كقوله: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ «وهذا من خصائص دقائق لغة القرآن».

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: كما: الكاف للتشبيه؛ أي: كما كتبنا عليكم حكم الصيام في وصفته لا في كيفيته وعدده، كتبنا على الّذين من قبلكم: إما من لدن آدم؛ أي: على الأمم السّابقة، وإما من قبلكم، تعني اليهود والنصارى.

وقوله: ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: لها معان كثيرة: أي: لكونها عبادة عظيمة فرضت على كلّ الأمم، أو فيها معنى التّرغيب، فالّذين من قبلكم صاموا، فأنتم أحق بالصّيام منهم، ونيل الثّواب، والأجر، وكذلك فيها معنى التّطمين؛ أي: لا تقولوا لن نقدر، أو نستطيع الصّيام، فمن جاء قبلكم فعلوا ذلك واستطاعوا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل، لعلكم إن صمتم تصبحوا من بين المتقين الّذين يطيعون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه، فبذلك تتقوا الله سبحانه «تتقوا غضبه وعقابه»، وتتقوا النّار.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: ﴿أَيَّامًا﴾: جمع يوم، واليوم في القرآن يعني: من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس، ولا يعني: (٢٤) ساعة.

﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾: جمع قلة، مقارنة بمعدودة جمع كثرة، والمعدودات في اللغة عشرة أو أقل، وأما أياماً معدودة تدل على أكثر من عشرة.

و﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾: هي صفة «في الإعراب» لـ(أياماً)، واتباعاً لهذه القاعدة كان من المفروض القول أياماً معدودة؛ لأنها تعادل (٢٩-٣٠) يوماً، وجاء بصيغة القلة: هذا ضرب من البلاغة كي يهون على الصّائم، ولا يظن أنّها شاقة، وكثيرة، بل هي قليلة ويسيرة ويجوز تنزيل القلة منزلة الكثرة، أو بالعكس للبلاغة.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: ﴿فَمَن﴾: الفاء:

عاطفة، ﴿مَن﴾: شـــرطية؛ أي: فمن كان منكم مريضاً فأفطر، أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أخر.

﴿كَانَ مِنكُم﴾: خاصة مريضاً، واختلف في المرض المبيح للإفطار منهم من قال: كل مرض، ومنهم من قال: المرض الّذي فيه مشـــقة، ويتضرر المريض، أو على سفر يشق معه الصّيام، فيباح له الإفطار.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾: ﴿وَعَلَى﴾: تعنـــي: العلـــو والمشقة.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: تعني: الكبير الهرم، والمريض مرضاً لا يرجى شفاؤه.

﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾: اختلف العلماء في تفسيرها على ما يلي:

منهم من قال: يطيقونه تعني: يتحمَّلونه من دون مشقة، أو ضرر هم مخيرين بين الصيام، أو الإفطار مع دفع الفدية، وهي طعام مسكين إذا أفطروا.

ومنهم من قال: يطيقونه يطيق الصّيام بمشـــقة، وضرر، أو كلفة؛ كالشّـــيخ الكبيـــر، والمريض مرضاً مزمناً، فلـــه حق الإفطار مع دفـــع الفدية، وهي طعام مسكين.

﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾: مشـــتقة من الطّاقة؛ لأنّ الطّاقة تعني: تحمل الشّـــيء بمشقة، وشدة، وعليه يكون المعنى يتحمَّلونه بجهد شديد، والأرجح: هو القول الثّاني.

﴿فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾: الفدية هي إطعام مسكين عن كلّ يوم أفطر فيه من أوسط ما يطعم أهله «أكلة واحدة».

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: ﴿فَمَن﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: التطـوع الزّيادة على القدر المذكور في الفدية «الزّيادة على ما هو مفروض»؛ أي: بدلاً من إطعام مسـكين واحد أطعم اثنين، أو أكثر، وهكذا له زيادة في الثّواب.

﴿فَهُوَ﴾: الفـاء للتوكيد، هو: ضمير منفصل يفيـد التّوكيد، وأن: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أفضل، فيه تأكيد على فوائد الصّيام الكثيرة.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد القلة، أو النّدرة.

﴿كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنّ الصّيام خير لكم، وليس فيه ضرر، أو مشـقة فصوموا تلك الأيام.

[١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

قبل البدء في تفسـير هذه الآية يجب الانتباه: أنّ هناك من المفسـرين من يعتقد أنّ تشريع الصّيام جاء على مرحلتين:

المرحلـة الأولى: المرحلة المكية الّتي تمتد إلى السّـنة الثّانية للهجرة «أو المرحلـة المكية + بداية الهجرة»، والّتي تتمثـل في الآية (١٨٤)، ويعتقدون أنّ تفسـير (أياماً معدودات) هي الأيام الثّلاثة من كلّ شـهر (١٣-١٤-١٥)، ويوم عاشوراء، وأنّ الصّيام في تلك المرحلة كان باختيار؛ أي: يحق للمسلم أن يصوم،

أو أن يفطر، ويفدي بإطعام مسكين؛ حتّىٰ اعتاد المسلمون علىٰ الصّيام فجاء قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، كما سنرىٰ.

المرحلة الثّانية: كانت بعد فرض الصّيام من السّنة الثّانية للهجرة حتّىٰ يومنا هذا، وتتمثل هذه المرحلة في الآية (١٨٥)، وهذا يفسر لماذا تكرر قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ في كلا الآيتين.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: كلمة رمضان مشتقة من رمض، ورمض الإنسان؛ أي: حر جوفه من شدة العطش، والرّمض: هي الحجارة المحماة، والرّمض: الاحتراق.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول فيه معنىٰ المدح والتّعظيم.

﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾: أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا، وفي ليلة القدر لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، ثم نزل منجَّماً «مفرَّقاً» علىٰ قلب رسول الله ﷺ، علىٰ مدىٰ (٢٣) عاماً.

الفرق بين أنزل ونزل: أنزل: تعني: دفعة واحدة، أمّا نزل فتعني: منجَّماً علىٰ دفعات كثيرة، وأنزل فيه: فيه تعود علىٰ الشّهر كلّه رغم أنّه أنزل في ليلة القدر، قال فيه تعظيماً لكامل الشّهر، وأنزل فيه: قد تعني: أنّ القرآن ابتُدئ بنزوله، فيه ظرفية تعود علىٰ رمضان.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: ﴿هُدًى﴾: مصدر هداية هادياً للغاية، وهي سعادة الدّارين.

﴿هُدًى﴾: جاءت بصيغة النّكرة؛ للتهويل، والتّعظيم لكلّ أنواع الهداية الّتي يتصورها الإنسان.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، النّاس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ﴾: بينات: جمع بينة من بان، وبان الشّيء أظهره، واتضح، وقيل: البينة: إظهار المعنى للنفس؛ أي: جملة من البينات؛ أي: الأحكام، فالقرآن نفسه هدىً مصدر هداية للناس كافة، ويتضمن بينات آيات، وأحكام لهداية النّاس، وفيها عطف الخاص على العام؛ للتوكيد على أهمية الأحكام الّتي جاءت في القرآن.

﴿وَالْفُرْقَانِ﴾: ما يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والهدىٰ والضّلال، وإذا كان القرآن هو الهدىٰ، فالفرقان صفة للقرآن.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: ﴿فَمَن﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾: كان شاهداً؛ «أي: حاضراً مقيماً غير مسافر»، فليصم فيه، ولا يفطر، وكان غير مريض، وكان غير مسافر، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر.

﴿مِنكُمُ﴾: أي: منكم خاصة؛ أي: من المسلمين، ولو لم يأت بكلمة منكم؛ لكان الخطاب موجه إلى كلّ إنسان، ويجب عليه الصّيام.

﴿الشَّهْرَ﴾: رمضان. ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾: الفاء: للمباشرة والتّعقيب.

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: انتبه: لم يقل منكم كما في الآية السابقة؛ لأنه سبق وقال: فمن شهد منكم الشهر، فلم يكررها لعدم الحاجة؛ أي: من كان مريضاً، أو على سفر؛ فأفطر بعذر شرعي مقبول فعليه قضاء العدَّة بعد العودة إلى بلاده، أو الشّفاء من ذلك المرض، انتبه إلى حذف

منكم بعد قوله: ومن كان مريضاً، أو على سفر، ولم يقل منكم مرة ثانية. . . حيث قال: فمن شهد منكم الشّهر فليصمه، فاكتفى بذلك.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾: اليُسر: السّهولة، وعدم التّشديد، العسر: المشقة، والضّيق.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ﴾: الباء: للإلصاق. ﴿ٱلْيُسْرَ﴾: من يُبيح لكم الإفطار في المرض، والسّفر، وتكرار كلمة يُريد مرتين يدل على التّوكيد، توكيد الإرادة باليسر، ولنفي الإرادة بالعسر.

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾: الواو: عاطفة، واللام في لتكملوا: لام التّعليل، والتّوكيد؛ كأنّه يقول: يُريد الله بكم اليسر، ويريد بكم أن تكملوا العدَّة عدَّة الشّهر (٢٩-٣٠) يوماً، ولتكملوا العدَّة: بقضاء ما أفطرتم في مرضكم، أو سفركم.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: واللام لتكبروا؛ للتعليل، والتّوكيد، وتكبروا؛ أي: تقولوا: الله أكبر، الله أكبر، وتبدأ عند إتمام صيام رمضان؛ أي: تبدأ من رؤية هلال العيد إلى القيام إلى صلاة العيد.

﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الّذي هداكم، أو مصدرية على هدايته لكم.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل لعلكم تشكرونه على التّيسير، وإباحة الإفطار في المرض، والسّفر، أو تشكرونه على مساعدتكم لإتمام صيام شهر رمضان، ونيل ثواب الصّيام، أو تشكرونه أن هداكم لصيام شهر رمضان، وإنزال القرآن. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠) لمزيد من البيان.

[١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾:

المناسبة: انتبه إلىٰ أهمية وقوع هذه الآية في منتصف آيات الصّيام:

جاء ليذكر المؤمن بأهمية الدّعاء في رمضان، وأثناء الصّيام، وبعد الصّلوات، وفي صلاة الوتر، وعند الإفطار، ووقت السّحر، وعند إكمال العدَّة، ولأنّ دعوة الصّائم لا ترد.

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، إذا: ظرفية شرطية تدل علىٰ حتمية حدوث الأمر الّتي جاءت في سياقه كثرة حدوثه، وهو الدّعاء، ولم يقل: وإن سألك عبادي، إنْ: تدل علىٰ الاحتمال والندرة.

﴿سَأَلَكَ﴾: يا محمّد ﷺ أي: سؤال في شأني، أو حاجة، روي أنّ أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: «أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه» أخرجه الطّبري، والدّارقطني.

﴿عِبَادِي﴾: النّاس ثلاثة أقسام: عبيد، وعبادي، وعباد، كلّهم عبيد لله في الدّنيا، ومن هؤلاء العبيد من يصبح مؤمناً مطيعاً لله ورسوله، فيرتقي بذلك من درجة العبيد إلىٰ عبادي، ومن هؤلاء العدد الكبير «عبادي»، من يرتقي إلىٰ درجة أعلىٰ من عبادي إلىٰ درجة عباد، وهم قلة وصفوة النّاس، أمثلة: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:١٨٢]، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر:٥٣]، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر:١٧٩].

فكلمة عبيد: تشمل الكافر، والمؤمن. وكلمة عبادي: أفضل وأعلىٰ درجة

من عبيد؛ أي: الذين اختاروا أن يكونوا عباداً لله تعالىٰ، وكلمة عباد: أفضل وأعلىٰ درجة من عبادي هم الصفوة.

أما في الآخرة: فالكلّ يصبح عباد؛ لأنه ليس هناك تكليف، أو عبادة، فالكل مطيع، ولا يعصي.

﴿عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: الفاء في فإني تفيد المباشرة، والتّعقيب؛ أي: بمجرد رفع صوتهم فإني أسمعهم، فالقرب هنا ليس قرب مكان، ولكن قريب بعلمه، فهذا يدل علىٰ سمعه، وكرمه، واستجابته، فهو يعلم أحوالنا، ويسمع أقوالنا، ويرىٰ أعمالنا، فهو قريب، بل أقرب من حبل الوريد، ولم يقل: فقل لهم إني قريب؛ أي: من دون قل، أو: فقل لهم؛ لأنها تبعد، أو تفصل القرب من الرّب، فلذلك حذفها؛ لتكون وسيلة الاتصال مباشرة بين العبد وربه، ومن دون تدخل الرّسول ﷺ.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾: أجيب، وقيل: بمعنىٰ اسمع دعوة الدّاع، أو دعاء الدّاع، إذا دعان، أجيب: أعطي السّائل سؤله، وإذا كان الدّعاء؛ يعني: العبادة؛ أي: أقبل عبادة من عبدني، وقدَّم الإجابة علىٰ الشّرط بدلاً من أن يقول: إذا دعان الدّاع أجيبه، أو أستجيب له للاهتمام، والإجابة من الله تعني: القبول، والإجابة من العبد تعني: الطّاعة، والعبادة، والإيمان.

﴿إِذَا﴾: شرطية، تستعمل للأمور الواقعة لا محالة، والكثيرة الحدوث.

﴿دَعَانِ﴾: ولم يقل: دعاني «بالياء»، وحذف الياء؛ ليقصر الكلمة؛ لتدل علىٰ مجرد ما يبدأ بالدّعاء أجيبه، أو تبدأ الاستجابة، فليس هناك فاصل زمني، وقد تعني دعان بدعاء واحد لأمر واحد، أو أمور متعددة أدعية مختلفة، أو دعان

لثوان فقط، دعـــاء قصير جداً، أو أطال الدّعاء «ذو دعـــاء عريض»، أجيب دعوة الدّاع إذا دعان إذا كانت الإجابة خيراً له، وأجيبه إن لم يســأل مُحالاً، وما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، وما لم يســتعجل بالإجابة، وما لم يتغذَّ بالحرام، وفي الآية حثٌّ وحضٌّ على الدّعاء، خاصة في شهر رمضان الفضيل.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾: الفـــاء: في فليســتجيبوا لـــي: تدل على المباشـــرة والتّعقيب؛ أي: ليستجيبوا لي بسرعة، ومن دون تردد مباشرة، واللام: لام التّعليل، والأمر فليستجيبوا لي بالطّاعة، والإيمان، والدّعاء، والعبادة.

﴿لِي﴾: لي لوحدي بإخلاص، ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾: اللام: لام الأمر، والتّعليل؛ أي: يداوموا على الإيمان بي، ويستمروا على ذلك.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: لعل: للتعليل؛ يرشـــدون: من الرَّشـــد: بفتح الراء، ويعنـــي: الصلاح فـــي أمور الديـــن؛ أي: ليرشـــدوا؛ أي: يهتدوا إلـــى الصّراط المستقيم، والحق والاســـتعداد للآخرة.، ويَرْشُدون تعني: الاستقامة على الدّين أيضاً، والبعد عن طريق الغي والضّلال، وأما الرُّشـــد: بضم الراء يعني: الصلاح في الأمور الدنيوية والأخروية، والرُّشد: أعم من الرَّشد. ارجع إلى سورة النّساء، آية (٦).

❖❖❖

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ
إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم
بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ
بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ
وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣

سورة البقرة [الآيات ١٨٧ - ١٩٠]

[١٨٧] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: في بداية الإسلام كان الصّيام يمتد من وقت العشاء إلىٰ غروب الشّمس، من الليلة القادمة، وكان يباح للمسلمين الأكل والشّرب والجماع من المغرب إلىٰ وقت العشاء؛ أي: أقل من ساعتين، وكانوا يجدون مشقة كبيرة، وحرج في قصر مدَّة الإباحة، فكان النّاس يشكون إلىٰ رسول الله ﷺ حتّىٰ نزلت هذه الآية، فأصبحت فترة الإباحة للطعام والشّراب والجماع من وقت المغرب إلىٰ وقت الفجر.

﴿الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾: الرفث في الأصل: الفُحش من القول، أو الكلام عن الجماع، واستعمل الرفث كناية عن الجماع من دخول وقت المغرب إلىٰ وقت الفجر.

واستعملت كلمة الرّفث في موطني عبادة فقط الصّيام والحج، هذه الآية،

والآية (١٩٧) من سورة البقرة: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾: فيها تشبيه كلّ واحد من الزوجين باللباس، فالزّوج لباس لزوجه، والزّوجة لباس لزوجها، فالزّوج يستر عورة زوجته، والزّوجة تستر عورة زوجها، فكلّ واحد ساتر للآخر عن الحرام، والزّنى، وهذا التّشبيه مأخوذ من حالة اجتماعهما تحت غطاء واحد، واللباس: هو الثّوب الدّاخلي الذي يستر السّوءة.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: ﴿تَخْتَانُونَ﴾: من الخيانة؛ أي: عدم أداء الأمانة: تخونون أنفسكم بارتكاب ما حرم الله عليكم من الجماع وقت الصّيام، والخيانة سببها قصر وقت الإفطار، تختانون أنفسكم، ولم يقل: تختانون نفوسكم: أنفسكم؛ أي: بعض الأنفس قامت بالخيانة، ونفوسكم تعني كلّ النفوس.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾: ﴿فَتَابَ﴾: الفاء: للتعقيب، والتّرتيب، تاب عليكم: شرع لكم التّوبة أوّلاً، فتوبوا ثانياً، ثمّ يقبل منكم توبتكم التّوبة ثالثاً، ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾: العفو هو ترك العقوبة عن الذّنب؛ أي: لا يعاقبكم على هذه الخيانة.

﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾: المباشرة تعني: الجماع.

﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: الآن بعد نزول هذه الآية التمسوا ما كتب لكم: مما يقع دون الجماع بين الزّوجين، أو ما كتب الله لكم من الولد، أو

ليلة القدر؛ أي: لا يشغلكم الرّفث عن ابتغاء ما كتب الله لكم من ليلة القدر والاعتكاف، أو أعمال البر، والتّقوىٰ، وقراءة القرآن والتراويح، وما كتب لكم: أي: فرض لكم من الإباحة.

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾: لم يقتصر التّرخيص الرّباني بالسّماح بالرّفث فقط، بل شمل كذلك الأكل والشّرب حتّىٰ يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، لا يعني ذلك أن نأتي بخيط أسود، وأبيض، وننظر إليهما، ومتىٰ يتبين الخيط الأبيض من الأسود فتتوقف عن الأكل والشرب والجماع.

وإنما المقصود بالخيط الأبيض هو علامة ظهور الشفق الأحمر، أو الطيف الأحمر الذي هو أطول ألوان الطيف المرئي المتكون من سبعة ألوان، وهي: الأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والبرتقالي، والنيلي، والبنفسجي، فظهور الشفق الأحمر، أو الطيف الأحمر. هذا يدل علىٰ دخول وقت الفجر، ولكن من الصعب تحرِّيه، أو إدراكه فأبدله الله ﷻ بظهور النور الأبيض (الخيط الأبيض) الذي هو ناتج عن وقوع أو امتزاج ألوان الطيف السبعة بالطبقة الغازية المحيطة بالأرض (الطبقة المضيئة) مما يعطينا هذا النور الأبيض الدال علىٰ دخول الفجر؛ أي: أول ما يتبين من بياض النهار.

والخيط الأسود: ما يبقىٰ من سواد الليل؛ كأنه خيط محدود رقيق ينتشر؛ أي: يتبين لكم بياض النّهار من سواد الليل، ثم: لا تفيد التراخي في الزمن، وإنما لتباين الفضل بين الأكل والشرب، وفضل الصّيام.

﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾: أي: أتموا الصّيام من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾: أي: غروب الشّمس.

﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾: ﴿وَلَا﴾: لا: النّاهية.

﴿تُبَاشِرُوهُنَّ﴾: كناية عن الجماع، أو الرّفث، وتعني: التقاء البشرتين.

﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾: في زمن الاعتكاف من عكف على الشّيء؛ أي: لزم الشّيء، وداوم عليه، والاعتكاف: سنة، ويعني: لزوم المسجد للعبادة، وطاعة الله، وخاصة في العشر الأواخر من رمضان.

﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾: جمع مسجد، والمسجد المكان الّذي تقام فيه الصّلوات الخمس، وللاعتكاف أحكامه. ارجع إلى كتب السّنة، فالمعتكف لا يحل له أمر الجماع، ولا ما يتصل بالجماع، حتّى يخرج من اعتكافه، فالجماع يبطل الاعتكاف.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، وتشير إلى حرمة الأكل والشّرب، والجماع وقت الصّيام.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: جمع حد، والحد هو الفاصل المانع، والحدود: تشمل المحارم، أو ما أحله الله من الأحكام، فإذا كانت الحدود تعني محارم الله يحذر عندها الله بقوله: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، وإذا كانت تعني ما أحلّه الله يحذر عندها الله سبحانه بقوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾، وقوله: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾: لا: النّاهية، ﴿تَقْرَبُوهَا﴾: أي: اجتنبوها، والنّهي عن الاقتراب أشد وأبلغ من النّهي عن التّحريم.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾: أي: كما بين آيات الصّيام مثل ذلك يبين سائر آياته الأخرىٰ في العبادات، آياته، ولم يقل الآيات، إضافة الآيات إليه تفيد التّشريف، والتعظيم لهذه الآيات.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: خاصة بالناس. ارجع إلىٰ الآية (٢١) للبيان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لعل: للتعليل، ﴿يَتَّقُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٨٣) من سورة البقرة للبيان.

[١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم﴾: الواو: استئنافية، ﴿وَلَا﴾: النّاهية، ﴿تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم﴾: أي: لا تأخذوها، والأكل هنا معناه الأخذ والاستيلاء عليها من دون حق، ولماذا استعمل لا تأكلوها بدلاً من لا تأخذوها؛ لأنّ عملية الأخذ عندهم أصبحت متكررة كعملية الأكل المتكررة ثلاث مرات باليوم، أو أكثر، وعدم الشّبع الّذي يقابله الجشع والطّمع.

﴿بَيْنَكُم﴾: الخطاب موجه إلىٰ الجميع بلا استثناء.

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: هو كلّ ما لم يُبيح الشّرع أخذه، أو أكله، وإن طابت به النّفس، والباطل هو الزّائل الّذي لا يدوم كالرّبا، والميسر، وثمن الخمر، والرّشوة، وشهادة الزّور، واليمين الكاذبة، والسّرقة، والخيانة، والغش والغصب، وأكل مال اليتيم، والباء: للإلصاق، باء السّببية؛ أي: لا يأخذ، أو يأكل بعضكم مال

بعض، وفي قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾: تعني أيضاً: لا تأكلوها أنتم، ولا تدخلوها في بطون من تعولون.

﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾: تدلوا: مأخوذة من أدلىٰ دلوه ليملأها بالماء من البئر؛ أي: أنزل الدّلو، ودلوتها تعني: إذا أخرجتها، والحبل الّذي يعلق به الدّلو يسمىٰ الرّشاء، والرّشوة مأخوذة من الرّشاء: لترشوهم بها؛ لكي يقضوا لكم بالباطل؛ لتأكلوا أموال النّاس بالباطل. وقيل: هذه هي آية الرّشوة في القرآن.

تدلوا بها: ترجع إلىٰ الأموال والخصومات، وما تدلون به من الحجج الباطلة في المحاكم ودور القضاء، إلىٰ الحكام الّذين يشرعون الأحكام الوضيعة، والقوانين المادية، ويتركون شرع الله، والحكام الّذين يقبلون أخذ الرّشاوىٰ مثل القضاء، وولاة الأمور، ومن يعملون في محاكم الدّولة، ومديرو الدوائر، تدلوا بها إلىٰ الحكام ليقضوا لكم بالباطل، والظّلم، والحيف.

﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ﴿لِتَأْكُلُواْ﴾: اللام: لام التّعليل، أو التّوكيد؛ أي: ليأخذوا، ﴿فَرِيقًا﴾: قسماً، أو شيئاً من أموال النّاس. ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

﴿بِٱلْإِثْمِ﴾: أي: بالظّلم وشهادة الزّور، واليمين الكاذبة، والإثم: الجرم كائن ما كان، والإثم (الذّنب العظيم)، والباء: للإلصاق؛ تعني: عمداً. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم آثمون، وهذه مبالغة في الجرأة، والمعصية علىٰ

الإثـــم، وعلىٰ الباطل، أو أنكم تعلمون حرمة هـــذه الأمر، ومع ذلك تقوموا بها، انتبه لتأكلوا الأولىٰ بالباطل، والثّانية بالإثم، وتفيد التّوكيد في الحرمة.

[١٨٩] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

سبب النّزول: قال ابن عبّاس ﷺ: نزلت هذه الآية في رجلين من الصّحابة قالا: يا رســول الله! ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقــاً مثل الخيط، ثم يزيد حتّىٰ يمتلئ ويستوي ويعظم، ثمّ لا يزال ينقص ويدق حتّىٰ يعود كما كان.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: بصيغة المبني للمجهول، لا يهم من هم السّائلين هنا، المهم هو السّـــؤال، وجاء بصيغة المضارع كأنّهم يسألون الآن؛ لأهمية السّؤال. ارجع إلىٰ الآية (٢١٥) من نفس السورة لمزيد من البيان عن معنىٰ كلمة يسألونك.

﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾: جمع هلال: وهو ما يبـــدو دقيقاً من حجم القمر في بداية الشّـــهر القمري، وســـمي هلالاً؛ لأنّ الإنسان ســـاعة يراه يهل؛ أي: يرفع صوته بالتّهليل، بالقول: لا إله إلّا الله.

الأهلة تعني: تغيرات حجم القمر خلال الشّهر. ارجع إلىٰ سورة ياسين آية (٣٩) لبيان معنىٰ الأهلة.

﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾: قل لهم يـــا محمّد ﷺ: ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾: جمع ميقات، مشـــتقة من الوقت؛ أي: الزّمن، فبالأهلة يعرف النّاس بدء الشّهر،

ومنتصفه، وآخره، ورمضان، وموسم الحج، والأشـهر الحرم، والهلال ميقات الشّهر، والميقات ظرف زمان، أو ظرف مكان.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصـاص، النّاس: ارجع إلىٰ الآية (٢١) لمزيد من البيان.

وبالنسـبة للحج الميقات الزماني هو: الزمن الّذي يُحرم فيه الحاج للحج والعمرة «الحج أشـهر معلومات تبدأ من أوّل يوم عيد الفطر، والجمهور حددها بشهرين وعشـرة أيام»، والميقات المكاني: الموقع، أو الأرض الّتي يحرم فيها الحاج للحج والعمرة، وقد حددها رسول الله ﷺ بخمس مواقيت، وهي مواضع الإحرام، كما فـي حديث الصحيحين، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ رسـول الله ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحُليفة، ولأهل الشام الجُحْفة، ولأهل نجد قَرْن المنازل، ولأهل اليمن يَلَمْلَم، ولمن كان مقيماً بمكة ميقاته الحرم في الحج، أو الجعرانة، أو التنعيم في العمرة.

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: السّـؤال هنـا ما وجه الصّلة في هذا الشّـطر من الآية وما قبلها، هم يسـألون عن الأهلة، وأجابهـم إلىٰ ذلك فقال هي مواقيت للناس والحج، انتهىٰ السّـؤال والجواب، قيل: هذا من باب الاسـتطراد في القرآن، أراد الله سبحانه أن يسألهم بالمقابل أو بالمناسبة لما تدخلون البيوت من ظهورها أيام الإحرام للحج.

وقال المفسـرون: كان النّاس في الجاهلية، وفي أوّل الإسـلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل بستاناً، ولا بيتاً، ولا داراً من بابه، فإن كان

من أهل مكة نقب نقباً في ظهر بيته، منه يدخل ومنه يخرج، أو يتخذ سلماً فيصعد فيه، وإن كان من أهل الخيام خرج من خلف الخيمة والفسطاط، ولا يدخل من الباب، حتّىٰ يحل من إحرامه، ويرون ذلك ذمّاً، إلَّا أن يكون من الحُمْس: وهم قريش، وكنانة، وخزاعة، وثقيف، وخثعم، وبنو عامر بن صعصعة، وبنو النّضير بن معاوية، سمّوا حمساً لشدتهم في دينهم.

قالوا: فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار علىٰ إثره من الباب وهو محرم، فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لِمَ دخلت من الباب وأنت محرم؟»، فقال: رأيتك دخلت من الباب، فدخلت علىٰ إثرك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أحمسيّ»، قال الرّجل: إن كنت أحمسيّاً فإنّي أحمسيّ، ديننا واحد، رضيت بهديك وسمتك ودينك، فأنزل الله هذه الآية، رواه ابن أبي حاتم، والحاكم عن جابر.

الحُمْس: جمع أحمس من الحماسة، وهي الشّدة، والصّلابة؛ لتشدُّدهم في الدّين، فهم كانوا يظنون أنّ دخول البيوت من ظهورها هو من التّقوىٰ والطاعة والبر، وهو في الحقيقة من أعمال الجاهلية، فنزلت هذه الآية لتدلَّهم علىٰ البر الحقيقي.

فقال تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾: ولكن ﴿الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾: أي: أطاع أوامر الله، واجتنب نواهيه، وعاد وأكَّد عليهم بدخول البيوت من أبوابها، قال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: أطيعوا الله بما أمر به ونهىٰ عنه،

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: للتعليل، ﴿تُفْلِحُونَ﴾: أي: لتفلحوا في دنياكم وآخرتكم، ﴿تُفْلِحُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة.

ومما يلفت النّظر قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾: جاءت كلمة البرُ مرفوعة وجاءت مرفوعة؛ لأنّها جاءت اسم ليس، أما في قوله: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾: فالبرُّ هنا خبر (ليس) المقدَّم المنصوب، وتفسير آخر ليس البرُّ: جاءت بالرّفع؛ لأنّهم يظنون أنّهم يعرفون ما هو البر، وهم لا يعرفونه، أو للفت الانتباه إلى أن ما يعملونه من دخول البيوت من ظهورها هو خطأ، واللهُ أعلم.

[١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية قال ابن عبّاس ﷺ فيما أخرجه الواحدي: نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لما صُدَّ عن البيت هو وأصحابه، نحر الهَدْي بالحديبية، ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه، ثمّ يأتي القابل، على أن يُخْلُوا له مكة ثلاثة أيام، فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء، وصالحهم رسول الله ﷺ، فلما كان العام المقبل، تجهَّز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشّهر الحرام في الحرم، فأنزل الله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: يعني قريشاً.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: جاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمته ونصر دينه، من المفسرين من قال: أنّ هذه الآية هي أوّل آية نزلت في القتال بالمدينة المنورة، ومنهم من قال: أنّ أوّل آية هي قوله تعالىٰ في سورة الحج الآية (٣٩): ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾، ثم نزلت آية: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦].

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: أي: في الأشهر الحرم، أو المسجد الحرام، أو غيرها، وأكد قتالهم بزيادة النّون في كلمة يقاتلونكم فقط، فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتل ويكف عمن كف.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾: بابتداء القتال، أو المفاجأة، أو لا تعتدوا بقتال النّساء، والشّيوخ، والصّبيان، والّذين بينكم وبينهم عهد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿لَا يُحِبُّ﴾: لا: النّافية، المعتدين. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٣٩) لبيان معنىٰ الجهاد والقتال في سبيل الله والفرق بين الجهاد والقتال.

❖❖❖

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ
بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ
وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ
فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

سورة البقرة [الآيات ١٩١ - ١٩٦]

[١٩١] ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: حيث ظرف مكان وزمان، واقتلوهم في أي مكان وزمان بشرط أن تثقفوهم: تستعمل في سياق الحرب أو القتال والمعاداة، وتثقفوهم: من ثقف الرّجل؛ أي: تمكن منه حيث وجده؛ أي: تجد العدو، وأنت متمكن على قتله، أو أسره، أو هزيمته فقد تجده وأنت غير قادر عليه، فهناك فرق بين حيث وجدتموهم «مجرد أن تجده سواء كنت قادراً عليه أم لا»، وبين ثقفتموهم «تجده وأنت قادر على قتله وهزيمته»؛ إذن ثقفتموهم: تستعمل في حال الحرب، أو قتال العدو، أو الخصومة؛ وجدتموهم: تستعمل في غير هذه الحالات. ارجع إلى سورة الحج آية (٣٩) لمعرفة معنى القتال والجهاد.

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾: أي: من مكة، وقد فعل بهم ذلك عام فتح مكة.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: الفتنة: هنا تعني الشّرك أي: ارتداد المؤمن إلى الشّرك بسبب «الفتنة»؛ أي: اضطهادهم إياه أشد عليه من أن يقتل، وبقاؤهم على الشّرك أعظم من قتلكم إياهم، والفتنة أي: الشّرك أعظم من القتل في الحرم، والفتنة: لها معان أخرى مثل التّشريد، والنّزوح من الدّيار، والاضطهاد أشد من القتل.

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ

ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: ﴿وَلَا﴾: النّاهية، ﴿تُقَٰتِلُوهُمْ﴾؛ أي: المشركين عند المسجد الحرام لحرمته، ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية ونهاية، ﴿يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: أي: إذا بدؤوا بقتالكم واجترؤوا عليكم، فعندها عليكم بقتالهم، ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ كذلك؛ أي: مثل هذا القتل والإخراج هو جزاء الكافرين.

[١٩٢] ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿فَإِنِ﴾: الفاء: عاطفة، وتعني: التّرتيب والتعقيب والمباشرة، إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشّك «أن ينتهوا».

﴿ٱنتَهَوْا۟﴾: عن الشّرك، والكفر، والفتنة، وقتالكم، وأسلموا.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء، وإن: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة يستر ذنوبهم ولا يفضحهم. ارجع إلىٰ الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

﴿رَّحِيمٌ﴾: لأنّه يعفو عنهم ويغفر لهم. ارجع إلىٰ الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

[١٩٣] ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: الفتنة: هنا الشّرك، كما قال ابن عبّاس وغيره، فهذه الآية تأمر المؤمنين بقتال المشركين «كفار مكة» حتّىٰ لا يبقىٰ في مكة من يضطهد في دينه، ويتعرض للفتنة والتّعذيب كي يرتد عن دينه، أو من يصد عن سبيل الله أي: الإسلام. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٣٩) لبيان معنىٰ القتال والجهاد.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾: فلا يُعبد غيره.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: انتهوا عن الشّرك، وأسلموا فلا عدوان؛ إلّا على من اعتدى عليكم، وبقي على شركه وظلمه.

وإذا نظرنا إلى هذه الآية وقارناها بالآية (٣٩) من سورة الأنفال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: ترى الاختلاف هو زيادة كلمة (كلُّهُ) في الأنفال، وحذفها في آية سورة البقرة، وهذا يعود إلى أنّ آية الأنفال تشمل قتال كلّ الكفار «ولذلك زاد كلّه» بينما آية البقرة محصورة في قتال كفار مكة فقط، وقد نزلت آية البقرة أولاً في السنة الأولى من الهجرة، وحثت على قتال كفار مكة، ونزلت آية الأنفال بعد آية البقرة بعد غزوة بدر وقتل كثير من صناديد قريش فحثت الآية على قتال الكفار جميعاً، أمّا نهاية آية البقرة، فلا عدوان إلّا على الظّالمين ردّاً على قوله سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: إذن فلا عدوان إلّا على الظّالمين، أما نهاية آية الأنفال، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ بعد اقتلاع الفتنة، فإن أسلموا كان خيراً، وإن لم يسلموا: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾، ﴿ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[١٩٤] ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

المناسبة: أنّ النّبي ﷺ أقبل هو وأصحابه، ومعهم الهدي معتمرين فصدهم المشركون فصالحهم الرّسول على أن يرجع عنهم، ثمّ يعودوا في العام القادم، وهو صلح الحديبية، فلما رجع رسول الله مع أصحابه افتخر المشركون؛ إذ ردُّوه يوم الحديبية، ومنعوه من دخول مكة في ذلك العام، فأقصه الله منهم، وأدخله مكة في الشّهر الّذي ردُّوه فيه من العام المقبل.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: أي: إذا قاتلوكم في الشّهر الحرام «اسم جنس» يعني: الأشهر الحرم فقاتلوهم في الشّهر الحرام، أو الأشهر الحرم والباء للإلصاق.

﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾: الحرمات جمع حرمة، والحرمة ما منع الشّرع من القيام به، والقصاص بمعنىٰ المساواة. ارجع إلىٰ الآية (١٧٩) من سورة البقرة للبيان، فمن جرح جرح بمثل ما جرح به، ومن قتل قتل بمثل ما قتل به، وإذا صدوكم عن الدخول إلىٰ المسجد الحرام في ذي القعدة من العام الماضي، فأنتم داخلون المسجد الحرام في ذي القعدة من العام المقبل.

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: فمن: الفاء: للتأكيد، من: شرطية، اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل «بمقدار وبنفس الطّريقة» الّتي اعتدىٰ بها عليكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: أطيعوا أوامره، وتجنبوا نواهيه.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: بالعون والنّصر.

هذه الآية: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: تشابه الآية: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل:١٢٦]، وكذلك الآية: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورىٰ:٤٠].

[١٩٥] ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَأَنْفِقُوا﴾: من الإنفاق هو إخراج المال من الملك؛ فإن لم يملكه لا يُعد إنفاقاً.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة، وإعزاز دينه يحتاج إلى الإعداد له بالمال والنّفس، فلا بد من الإنفاق في سبيل الله «لشراء السّلاح والعتاد والإنفاق على المحاربين وكلّ ما تحتاجه الحرب. . .».

﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾: الباء: للإلصاق والتّوكيد، بأيديكم أي: بأنفسكم، ذكر الجزء وإرادة الكلّ.

﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾: إلى الموت والهلاك، أو العذاب بترك ما فرضه الله عليكم من فرائض مثل ترك الإنفاق في سبيل، أو ترك الجهاد، ضد العدو؛ مما يؤدي إلى نيل العدو منكم وإهلاككم، أو اليأس من رحمة الله، وقتل أنفسكم، ولا تعني عدم الجهر والصّدع بالحق في وجه الحاكم الظّالم.

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أحسنوا من الإحسان في العمل والنّفقة كماً وكيفاً. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الّذين أصبحت صفة الإحسان عندهم ثابتة.

[١٩٦] ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾:

مقدّمة: كان الحج معروفاً منذ زمن إبراهيم عليه السلام، وبقي في عهد كلّ الأنبياء من بعده، وكان الحج مشوباً بأعمال الشّرك والبدع، وانتبه إلى أنّ هذه الآية: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: نزلت في السّنة السادسة من الهجرة، وفيها معنى الإتمام

إذا شـرع في القيام بالحج والعمرة سابقاً، ويحب الإتمام، ولكن هذا الشّروع في الحج والعمرة لم يُبين، أو تعني عليكم بـأداء الحج والعمرة، والإتيان بالأركان والشروط كاملة والمناسك، كما سنرىٰ.

ولما نزلت الآية: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: في السّنة التّاسعة من الهجرة دلّت علىٰ فرض الحج ووجوبه، ولم يبادر رسول الله ﷺ في الحج في السّـنة التّاسعة «سـنة نزول هذه الآية»؛ لأنّ المشركين كانوا لا يزالون يحجون في ذلك العام، وكانوا يطوفون عراة، كما سـنرىٰ في سورة الأنفال الآية (٣٥).

ولذلك أمر رسـول الله ﷺ أبا بكر، وعليّاً بالذّهاب في ذلك العام، وإنذار المشـركين بأنهم لن يقربوا المسـجد الحرام بعد عامهم هذا أي: العام التّاسع، كما جاء في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة:٢٧].

﴿ٱلْحَجَّ﴾: في اللغة القصد، وفي الشّرع: التّعبد لله ﷻ بأداء المناسك علىٰ ما جاء في سنة رسول الله ﷺ.

﴿وَٱلْعُمْرَةَ﴾: في اللغة: الزّيارة، وفي الشّـرع: التّعبـد لله بالطّواف بالبيت، وبالصّفا والمروة، والحلق، أو التّقصير.

والحج فرض بالكتاب والسّـنة، وإجماع المسـلمين، ومنزلته في الدّين أنـه أحد أركان الإسـلام، واجب مرة واحدة في العمر لمن توافرت له شـروط الوجوب.

والعمرة: اختلف العلماء هل هي واجبة، أو سنة، والّذي يظهر أنّها واجبة.

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: ﴿وَأَتِمُّوا۟﴾: اختلفوا في معنىٰ إتمامها، فقالوا الإتمام:

ـ هو أن يتمهما بمناسكهما، وحدودهما، وسننهما هو قول ابن عبّاس ﷺ وغيره.

ـ أتموها بإخلاص دون قصد دنيوي من تجارة، أو حاجة أخرىٰ.

ـ أتموها أي: إذا شرع في أحدهما العمرة والحج لم يفسخه حتّىٰ يتم وإذا نسي شعيرة يأتي بها.

ـ قد يعني إتمامهما التّمتع يقوم بالعمرة ويتمها، ويتحلل، ثمّ يحرم من مكة، ويتم الحج.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، خالصة لله وحده.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾: الإحصار: أي: عرض لكم شيء يكون سبباً لفوات الحج، أو مانعاً يمنع من الوصول إلىٰ البيت الحرام، والإحصار بسبب أمر عارض مفاجئ غير متوقع بسبب عدو أو خطر، أو عدم الأمن، أو الإرهاب، أو انتشار مرض معدٍ أو وباء، وأما إذا كان بسبب الحبس يقال عندها حُصرتم؛ فالحصر: هو الحبس مع التضييق.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: إن: شرطية تفيد الشّك في وقوع ذلك. ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾: من الأحصار؛ أي: منعتم من إتمام الحج والعمرة عندها تحلّلوا وعليكم ما استيسر من الهدي.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، ﴿ٱلْهَدْىِ﴾: ما يتم ذبحه تقرباً من الله، أو كفارة عما حدث من خطأ، والهدي: قد يكون من الإبل، أو البقر، أو الغنم يذبح ويفرَّق علىٰ الفقراء.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾: أي: لا يجوز حلق الرّأس، أو التّقصير حتّىٰ ينتهي من عرفات، ومزدلفة، وينزل إلىٰ منىٰ يوم العيد، وأما في حالة الإحصار والمنع من الوصول إلىٰ مكة، وإتمام مناسك الحج فعندها ينحر هديه في مكان الإحصار، وهو الرّأي الغالب.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾: أي: من تحلل من الإحرام بسبب مرض، أو أذىٰ من رأسه «آفة أو قمل. . . » عليه فدية وهو مخيَّر بين صيام ثلاثة أيام، أو إطعام (٦) مساكين، أو نسك «هدي؛ أي: ذبيحة»، هذه الثّلاثة الأمور مرتبة ترتيباً تصاعدياً حسب الطّاقة، والاستطاعة.

فالصّيام لا يتعدَّىٰ النّفع فيه إلىٰ الغير، وأما الصّدقة فمحدودة بـ(٦) مساكين، أما النّسك أو الذّبيحة فينتفع بها الجميع، أمّا الذّبح فيتم في مكة، وفي أيامنا هذه لا يقوم الحاج بالذّبح، بل يكلف الجمعية المخصصة لهذا العمل بالقيام به، وهو فقط يدفع الثّمن، وهنا حذف المعطوف، وأصل الآية فمن كان منكم مريضاً أو به أذىٰ من رأسه فحلق ففدية من صيام، أو صدقة، أو نسك.

﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: فإذا: الفاء: للتوكيد، إذا: شرطية تدل علىٰ حتمية الحدوث، ﴿أَمِنتُمْ﴾: من العدو، أو الإحصار «أو انتهىٰ الإحصار»، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾: أي: وأتم العمرة، وتحلل بعدها «هذا يسمىٰ التّمتع»، ويبقىٰ في مكة متمتعاً إلىٰ يوم التّروية «اليوم الثّامن» بدء أعمال الحج فعليه ذبح هدي يذبحها يوم النّحر، «ويتم هذا عن طريق الدفع للجمعيات المسؤولة، كما ذكرنا».

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: ﴿فَمَن﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية، لم يجد هدي «أو ثمنه» عندها يصوم ثلاثة أيام

في الحج قبل يـوم التّروية «أي: قبل اليوم الثّامن»، وسـبعة أيام بعد العودة إلىٰ بلاده، وقوله تعالىٰ: تلك عشـرة كاملة: إشـارة إلىٰ الثّلاثة والسّبعة، ونحن نعلم أنّ (٣+٧=١٠) للتأكيد علىٰ فعل ذلـك، إذن صيام (١٠) أيام يعادل كمن ذبح، والأجر واحد.

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشـارة؛ يعني: صيام عشرة أيام (ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتـم)، لمن كان من غير أهل مكة «أهله حاضري المسـجد الحرام؛ أي: مقيميـن بمكة»، أما إن كان من أهل مكة، وتمتـع بالعمرة، أو أقرن بالحج فليس عليه هدي، ولا صيام، وحدود المسـجد الحرام تقدر بـ(١٢) ميلاً، فمن أقام داخل هذه المسافة لا يلزمه ذبح، ولا صوم؛ لأنّ المقيمين حول المسجد الحرام «أهل مكة»، طوافهم دائم، وهذا يغنيهم عن العمرة.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أطيعـوا أوامـر الله، واجتنبوا نواهيـه، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾: علم اليقين، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد، ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: العقاب من التّعقيب، والعقاب هو الجـزاء علىٰ الجرم، أو المعصية، أو الذّنب، والعقاب يحدث بعد الذّنب مباشرة يعاقب عليه في الدّنيا، أما العذاب فقد يؤخر إلىٰ الآخرة، أو يحدث في الدّنيا؛ لماذا هـذا التّهديد؛ لأنّ هناك من يتقاعس، أو يحاول التّعجل عن إتمام حجه، أو عمرته مسـتوفياً لكلّ مطلوبات المشـرع في الحج والعمرة.

❖ ❖ ❖

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

سورة البقرة [الآيات ١٩٧ - ٢٠٢]

[١٩٧] ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

انتبه إلىٰ النّسق والتّرتيب القرآني بعد أن تكلم عن الأهلة «مواقيت للناس إلىٰ الحج»، ثم الصّيام، ثمّ الحج، وذكر خلال ذلك القتال في الأشهر الحرم يتابع ذكر الحج.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾: ﴿ٱلْحَجُّ﴾: تعريفه، ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿أَشْهُرٌ﴾: جمع قلة وهي: شوال، وذي القعدة، وذي الحجة؛ أي: الحج أشهر ثلاثة.

﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾: عند النّاس «ومنهم العرب»؛ لأنّ الحج كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام، والحج أشهر معلومات؛ أي: أفعال الحج لا تصلح إلَّا فيها، فلا تبديل، ولا تأخير، كما كان يفعل أهل الجاهلية، ولم يقل الحج في أشهر معلومات: لكان الحج يمكن أن يصح في كل يوم من هذه الأشهر.

﴿أَشْهُرٌ﴾: جمع شهر، وأقل الحج ثلاثة، فهي ثلاثة أشهر: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة.

﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾: جمع معلومة «مؤنث معلوم»، اسم مفعول من علم يعلم؛

أي: وأشـــهر الحج لا تنتهي إلَّا في ثلاثين من ذي الحجة؛ أي: أن لا يخرج شهر ذو الحجة وعليه شيء من أعمال الحج.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ﴾: الفاء: عاطفة للتوكيد، من: شرطية، وجواب الشّرط ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾.

﴿فَرَضَ فِيهِنَّ﴾: نوىٰ، ولبىٰ، ولبس ثياب الإحرام.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾: الجمـــاع، وقيـــل: الفحش، والقول القبيـــح، والحديث عن الوطء. ارجع إلىٰ الآية (١٨٧) للبيان.

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: الخـــروج عن طاعة اللـــه، وارتـــكاب المعاصي «بترك واجب، أو فعل حرام». ارجع إلىٰ الآية (٢٦) من نفس الســـورة لمزيد من البيان، وإلىٰ سورة المائدة آية (٣) لمعرفة الفرق بين الفسوق والفسق.

والفسوق: ممنوع في كل وقت، وامتناعه أشد في الحج، والبيت الحرام.

﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: حـــوار بيـــن طرفيـــن تحصل فيه مشـــادة كلامية، وخصومة، والتعالي علىٰ الخصم، وأحياناً السباب.

وتكرار: ﴿وَلَا﴾ ثلاثة مرات تفيد التّوكيد توكيد النّهي عن عمل أي واحدة منهن الثّلاث، أو كلهن: الرّفث، والفسوق، والجدال.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: شرطية تفيد الإطلاق، والشّمول.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تشمل أي خير.

﴿خَيْرٍ﴾: نكـــرة مهما كان صغيـــراً، أو كبيراً، والخير: يشـــمل كل أنواع

الطّاعات والذّكر: الصّدقة، والعفو، والصّفح، والكلام الطّيب، ومساعدة الحاج، والصّبر، والنّظافة.

﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: وذكر يعلمه الله للتوكيد، والحث علىٰ فعل الخير، وتجنب الدّفع والزّحام والانتظار، فالله يعلم الشّيء قبل أن يقع، ومنذ الأزل، والخير هو الشّيء الحسن النّافع، يعلمه الله؛ أي: فيجازيكم به.

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾:

سبب نزول هذه الآية: كما روىٰ البخاري عن ابن عبّاس ﷺ: كان أهل اليمن يحجون بلا زاد؛ أي: قوت، ويقولون نحن متوكلون؛ فإن قدِموا مكة سألوا النّاس الزاد، والمركب، وأصبحوا عالةً، وكَلّاً علىٰ الآخرين، فأنزل الله هذه الآية.

والعبرة هنا بعموم اللفظ، وليس بخصوص السّبب؛ أي: تزودوا: بالمال، والطّعام، ووسيلة النّقل، وكل شيء تحتاجونه في سفركم، ولا تسألوا النّاس أشياءهم، وتزودوا فيما وراء الزّاد الدّنيوي بزاد الآخرة وهو التّقوىٰ، أو اتخذوا التّقوىٰ زادكم، فإنّها خير زاد «تشبيه بليغ».

﴿وَٱتَّقُونِ﴾: الواو: استئنافية، اتقون: أطيعوا أوامري، واجتنبوا نواهيّ، أصله اتقوني «الياء محذوفة»؛ أي: اتقون ما استطعتم ومهما كانت لن تكون تقوىٰ كاملة، أو تدل علىٰ قلة عدد المتقين مقارنة بعدد الكفار.

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: المخلصين الموحِّدين الّذين أنابوا إلىٰ الله، والّذين يستمعون القول «القرآن»، فيتبعون أحسنه «المحسنين»، انظر في سورة الزّمر آية (١٧-١٨)؛ لتعريف أولو الألباب، ﴿يَٰٓأُوْلِي﴾ أصحاب، اللّب باطن العقل،

المؤمنين ذوي العقول النّيرة حكمـــاء الأمة. «المخلصين الموحِّدين» ارجع إلىٰ (١٧٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[١٩٨] ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾:

﴿ لَيْسَ ﴾: فعل ماض ناقص، نفي للحـــال، أو غير مقيدة بزمن للماضي، والاستمرار والاستقبال.

﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾: أي: إثـــم، ﴿جُنَاحٌ ﴾: من جنـــح؛ أي: مال عن القصد، وسمي الإثم جناح للميل فيه من الحق إلىٰ الباطل.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّوكيد.

﴿تَبْتَغُوا۟ ﴾: من الابتغاء هو الطلب والالتماس.

﴿فَضْلًا ﴾: عطاءً ورزقاً، «بتجارة، أو بيع، أو شـــراء، أو إجارة، أو تقديم الخدمات، أو شراء الهدايا».

﴿فَضْلًا ﴾: جاءت نكرة؛ لتشمل كل أنواع الفضل «الزّيادة».

﴿مِّن رَّبِّكُمْ ﴾: أي: أنّ الفضـــل والرّزق كله من عنـــد الله، وإياكم أن تقولوا: إنّ تقديم الأسباب وحده كافٍ، فلا بد من التّوكل علىٰ الله وحده.

﴿فَإِذَآ ﴾: الفـــاء: للتأكيد، إذا ظرفية زمانية تتضمـــن معنىٰ «حين»، وتدل علىٰ حتمية الحدوث، أو كثرته؛ أي: الإفاضة.

﴿أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾: أصله أفضتم أنفسكم؛ أي: دفعتم من عرفات، فترك ذكر المفعول «أنفسكم».

واستبدلت بأفضتم: من الإفاضة، وهي دفع بكثرة تشبيهاً بفيض الماء الكثير، وفاض الماء إذا سال منصباً، فكأنّ عرفات إناء قد امتلأ، وكأن الدّفع من عرفات سيل فتدفق، وهكذا دوماً تكون الإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس من اليوم التّاسع من ذي الحجة.

﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾: بعد الوقوف بها، والّذي هو فرض، أو ركن من أركان الحج، إلىٰ مزدلفة، وعرفات: اسم علم من ملحقات الجمع المؤنث السّالم، واسم المكان الّذي يقف فيه الحجاج يوم التّاسع من ذي الحجة؛ أي: المكان الفسيح، ولا يعني جبل الرّحمة الّذي يقف عليه بعض الحجاج فقط.

وقيل في معنىٰ عرفات أقوال مختلفة تنسب إلىٰ مكان لقاء آدم بحواء بعد هبوطهما من الجنة.

﴿فَٱذْكُرُوا۟﴾: الفاء: للتعقيب، والتّرتيب.

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: بالتلبية، والتّكبير، والتحميد، والصّلاة فيه المغرب والعشاء جمعاً، والفجر، والدّعاء عند المشعر الحرام في مزدلفة.

وقيل: هو جبل قزح، وقيل: ما بين جبلي المزدلفة من مضيقي عرفة ووادي محسر.

وسمي المشعر الحرام: من الشّعار وهو العلامة؛ لأنّه من معالم الحج، وصف بالحرام: لحرمته.

﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾: كما الكاف للتشبيه، وما: المصدرية.

وبعضهم قال: للتعليل؛ أي: اذكروه لهدايته إياكم إلىٰ معالم دينه ومناسك حجه، وكيف تحجون، وتكرار واذكروه: للمبالغة عن أهمية الذّكر في أيام الحج، وعند تلك المشاعر، وتعني: المواصلة في الذّكر.

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: ﴿وَإِن﴾: الواو: استئنافية، إن: مخففة تفيد التّوكيد، ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: «ها الضّمير هنا» تعود علىٰ الهدىٰ، وهو القرآن، أو الإسلام، أو رسول الله ﷺ، وقد ترجع إلىٰ كل ذلك معاً.

﴿لَمِنَ﴾: اللام: لام الاختصاص، من: ابتدائية. ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: جمع ضال، والضّلال هو الانحراف، والبعد عن الهدىٰ، وسواء كان ضلال في الاعتقاد، أو ضلال في العمل، أو غيره.

والضّالين: جمع ضال، اسم فاعل من ضل، والضّالين: جملة اسمية تدل علىٰ ثبوت صفة الضّلال عندهم، والضّالين الّذين جهلوا الحق فضلوا، وقد يضلوا غيرهم.

والضّلال سببه الجهل بالحق، وأما الغي: فهو العدول عن الحق بعد معرفته، والضّلال له معان شتىٰ: يعني الهلاك، ويعني: الضياع، والنسيان. يقال: ضل عن قومه؛ أي: ضائع لا يعرف منزله، ويعني: الغيبوبة والاضمحلال، كما في قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:١٠]؛ أي: دفنوا وغابوا فيها، وضل

الشّيء: خفي، وغاب، وضل المسافر؛ أي: لم يعرف طريقه. فالضلال في الدِّين هو العدول عن المنهج، والصواب، والضّلال قد يكون مقصوداً وبيِّناً؛ أي: يعرف المنهج وينحرف عنه، أو غير مقصود؛ كمن ينسىٰ، أو يسهو، والضّلال إما يقتصر علىٰ صاحبه، أو يتعدَّىٰ صاحبه فيضل غيره، وبذلك يكون قد أضلَّ ذاته (إضلال النفس)، كقوله: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران:٦٩].

[١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: ثم: لتباين المرتبة؛ أي: الأفضل الإفاضة من عرفات.

﴿أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾: الخطاب إلىٰ كل حاج ومنهم أهل مكة وموجَّه إلىٰ الحُمْس وهم قريش، وكنانة، وخزاعة، وثقيف، وخثعم، وبنو عامر، وبن صعصعة، وبنو النضير بن معاوية «سُمُّوا حمساً؛ لشدتهم في الدِّين»، وظنهم أنّهم أولياء الحرم، ويقومون علىٰ حمايته، ولذلك لا يجب عليهم الخروج إلىٰ عرفات، والوقوف فيها؛ فنزلت هذه الآية لتكن أيها الحُمس إفاضتكم من حيث أفاض النّاس؛ أي: من عرفات، ولا تكن من مزدلفة، ويكفي التّرفع علىٰ النّاس، والتّعالي عليهم، ولمعرفة معنىٰ النّاس؛ ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

فجاءت هذه الآية لتأمر بالعدل والمساواة بين النّاس، فالكل يجب أن يقف بعرفة «والحج عرفة»، وبعد ذلك أمرهم بالاستغفار، فقال:

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: لمخالفتكم في عدم الوقوف بعرفة في السّابق.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل يفدي التّوكيد، الله تعالىٰ.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٧٣) من نفس السّورة.

[٢٠٠] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتعقيب، إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، شرطية تفيد حتمية الحدوث، أو كثرته.

﴿قَضَيْتُم﴾: أديتم وانتهيتم «فرغتم».

﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾: أعال الحج هي: الرّمي، والذّبح، والطّواف، والسّعي، والحلق.

﴿فَاذْكُرُوا﴾ الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والمباشرة.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾: في منىٰ عند الجمرات.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: الذّكر يشمل الذّكر العادي من تسبيح، وتكبير، وتهليل، وتحميد، والذّكر يعني: الدّعاء، والصّلاة، وقراءة القرآن، أو الاستماع إلىٰ حديث رسول الله ﷺ.

﴿كَذِكْرِكُمْ﴾: الكاف: للتشبيه، كما تذكروا آباءكم، بل أشد ذكراً.

﴿أَوْ﴾: تعني: بل.

﴿أَشَدَّ ذِكْرًا﴾: اذكروا الله ﷻ أكثر من ذكركم آباءكم.

فأراد الله سبحانه أن يبطل عادة الجاهلية بالتّفاخر بالآباء والأجداد في منىٰ بعد الانتهاء من أعمال الحج، وبدأ أيام التّشريق الثّلاثة، بعمل أفضل هو ذكر الله سبحانه بدلاً من ذكر الآباء والأجداد.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: الفاء: للتفضيل، من: ابتدائية، النّاس؛ ارجع إلىٰ الآية (٢١) من سورة البقرة.

﴿مَن يَقُولُ﴾: من: للتبعيض، يقول: أي: يدعو ربه.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾: الإيتاء هو العطاء، ولكن لا تملك في الإيتاء؛ أي: يمكن استرداد ما أعطىٰ، أما العطاء ففيه تملك، ولا يسترد، والإيتاء أعم من العطاء، ويشمل النّواحي المعنوية، والحسية «المادية» أما العطاء فيشمل النّواحي المادية فقط.

﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾: المال، والجاه، والوالد، والزوجة، والنّصر، والغيث، وغيرها، ولا يسأل الله تعالىٰ أي شيء من أمور الآخرة فقط يسأله، ويدعو الله في أمور الدّنيا الفانية.

﴿وَمَا لَهُۥ﴾: الواو: عاطفة، ما: النّافية النفي فيها أقوىٰ من النّفي بليس.

﴿لَهُۥ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، أو الملكية، والهاء ضمير يعود علىٰ الدّاعي.

﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: ﴿مِنْ﴾: استغراقية، ﴿خَلَٰقٍ﴾: حظ، أو نصيب قُدّر له؛ أي: لا شيء. ارجع إلىٰ نفس السورة آية (١٠٢) لمزيد من البيان.

[٢٠١] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾:

﴿ وَمِنْهُم ﴾: الواو: عاطفة، منهم: من ابتدائية؛ أي: ومن النّاس.

﴿مَّن ﴾: بعضية.

﴿يَقُولُ ﴾: يدعو ربه.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا ﴾: ولم يقل: يا ربنا؛ لأنّه يعلم أنّ الله قريب جداً، ولا يحتاج إلى يا النّداء الّتي تستعمل للبعد.

﴿ءَاتِنَا ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾: الحسنة لغة تعني: ما يسرُّ النفس، أو كل ما يستحسنه الإنسان: من صحة، وغنى، وعلم، ومال، وجاه، وولد، وأمن، وزوجة، وخصب، وغيث.

والحسنة شرعاً: تعني: كل ما يستحسنه الشّرع، ويورث ثواباً، وبامتثال أوامر الله وتجنب نواهيه.

﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾: مثل المغفرة، والجنة، ورضوان الله تعالى.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾: نجنا، وجنبا عذاب النّار، وقنا من الوقاية؛ أي: اجعل بيننا وبين النّار حاجزاً، وواق، وهذه هي الصّيغة الأفضل في الدّعاء الّتي تجمع خيري الدّنيا والآخرة معاً، وهذه الآية تعتبر من جوامع الدّعاء الّتي يجب الإكثار منها، فقد كان رسول الله ﷺ يكثر من هذا الدّعاء، كما جاء في الصّحيحين عن أنس.

[٢٠٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد يدل على بُعد منزلة أولئك الدّاعون ربهم: ربنا آتنا في الدّنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة في كل الأوقات، «ولا تنسى السّعي والإيمان المقرون بالعمل الصّالح»، والدّعاء أخيراً، وكذلك تشمل الّذين أدوا مناسك الحج.

﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ﴾: اللام: للاختصاص، والاستحقاق.

﴿نَصِيبٞ﴾: النّصيب هو الحظ المعين المحدد من الأجر، أو الجزاء، أو الثواب من جنس ما كسبوا.

﴿مِّمَّا﴾: من + ما: ما قد تكون اسم موصول؛ أي: من الّذي كسبوا، أو مصدرية نصيب كسبهم.

﴿كَسَبُواْ﴾: الكسب عادة يكون في الخير، والاكتساب عادة يستعمل في الشّر «اكتسب على وزن افتعل»، من خصائص القرآن. ارجع إلى الآية (٢٨٦) من نفس السورة.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٤١) من سورة الرعد.

❖❖❖



۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ
بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ
رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟
فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ
إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٠٣- ٢١٠]

[٢٠٣] ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

هذه هي المرة الرّابعة الّتي ينبه الله سبحانه إلىٰ الذّكر:

١ - ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾.

٢ - ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾.

٣ - ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

٤ - ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

فيجب أنّ نعلم أنّ ذكر الله يجب أن يكون دائم أيام الحج، واذكروا الله قيل: تعني التكبير بعد الصّلوات حتّىٰ عصر اليوم الثالث.

﴿فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾: أيام معدودات: جمع قلة، أما قوله تعالىٰ: أيام معدودة: جمع كثرة، هي أيام التّشريق الثّلاثة الّتي تبدأ بعد يوم العيد «يوم النّحر»، وسمّيت أيام التّشريق نسبة إلىٰ شروق الشّمس، فقد كانوا يضحون، ويأخذوا اللحم، ويضعوه لمطلع الشّمس كوسيلة لتقديده، ولحفظه، وكان هذا في الزمن القديم، والمعدودات جمع قلة؛ لأنّه أقل من عشرة.

﴿فَمَن﴾: الفاء: للتفصيل من ابتدائية.

﴿تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾: فمن رمى الجمرات في اليوم الأوّل، والثّاني من أيام التّشريق وسافر، فلا إثم عليه.

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾: رمى الجمرات في الأيام الثّلاثة كلها، فلا إثم عليه.

السّؤال هنا: لماذا قال: لا إثم على الّذي تأخر في يومين بدلاً من الزّيادة في أجره؛ لأنّه أتم الثّلاثة أيام؟

الإثم في هذه الآية، لا علاقة له بالتّعجل، أو بالتّأخر، وإنّما يعود على الإثم الّذي ارتكبه المتعجل، أو المتأخر قبل الحج من تقصير، أو خطأ.

فالمتعجِّل والمتأخِّر كلاهما زالت آثامهما الّتي كانت عليهما قبل حجهما، على شرط الّذي تعجل، أو الّذي تأخر حج، ولم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه، وكذلك لا إثم على المتعجل، أو المتأخر بشرط التّقوى الّذي ذكره: لمن اتقى؛ أي: أتم الحج المبرور، واللام في لمن: للتوكيد، والمسألة ليست مسألة زمن يومين، أو ثلاثة، ولكن المسألة مسألة إخلاص، وتقوى، وإحسان في الحج، وتكرار قوله: فلا إثم عليه، مرتين للتوكيد، والإثم: في الأصل التّقصير، ويعني: الذّنب. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا أوامر الله، وتجنبوا نواهيه، واستقيموا على ذلك.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: إليه جار ومجرور والتّقديم بدلاً من قوله: أنكم تحشرون إليه يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده.

﴿تُحْشَرُونَ﴾: الحشر هو السّوق والجمع إلى أرض المحشر، إخراج الموتى من القبور، وسوقهم إلى الموقف؛ أي: أرض المحشر، والحشر: لا

يكون إلَّا في أمر مكروه، واختيار كلمة تحشرون للتذكير بالزحام في الحج يجب أن يُذكَّر الحاج بيوم الحشر، للاستعداد له.

[٢٠٤] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾:

بعد ذكر المتقي الّذي يرجع من حجه المبرور، لا ذنب عليه كمن ولدته أمه، يذكر مقابل المنافق الّذي حجه هو الإفساد في الأرض، وقيل: عن ابن عبّاس أنّ هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، ولقب بالأخنس؛ لأنّه خنس ورجع يوم بدر، فلم يقاتل المسلمين مع قريش، وكان ساعة يقابل رسول الله ﷺ يظهر إسلامه، وكان ليِّن الكلام كافر القلب، ويحلف أنَّه يُحب رسول الله ﷺ.

وفي أحد الأيام خرج من عند رسول الله ﷺ فمر بزرع وحُمرٌ لقوم من المسلمين، فأحرق الزّرع وقتل الحُمر.

والآية تشمل كل منافق والعبرة بعموم اللّفظ، وليس بخصوص السّبب، فيقول سبحانه:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾: الواو: استئنافية، من: ابتدائية اسم موصول للعقلاء تشمل المفرد، والمثنى، والجمع. النّاس: ارجع إلى الآية (٢١) من سورة البقرة.

﴿مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾: ﴿مَن ﴾: ابتدائية، ﴿يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ ﴾: تُسَرُّ لقوله، حلو اللّسان، ليِّن الكلام. والإعجاب هو: انفعال النّفس عند مشاهدة أو رؤية أمر سار غير مألوف.

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾؛ أي: إذا تحدث تحدث في أمور الدّنيا، مثل التجارة،

والمال، والزّرع، والأكل، والشّـــرب فقط، ولا يتطرق إلىٰ ذكر الآخرة؛ لكونه لا يعلم عنها شيء، أو لا تهمه، أو يخاف أن يظهر علىٰ حقيقته.

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ﴾: أي: يحلـــف الأيمان الكاذبـــة حتّىٰ يصدقه النّاس، كما كان يفعل الأخنس يحلف لرسول الله ﷺ أنه يُحبه والله يشهد علىٰ ما يقوله، وما في قلبه.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾: الألد: الشديد الخصومة، وأصل اللّديد هو الّذي لا يمكن صرفه عما يريد؛ أي: أعدىٰ الأعداء؛ لكونه يخدعك، ويبطن خصومته، أما الّذي يُظهر عداوته فهو ليس ألد الخصام؛ لأنّك تحتاط منه، وتبتعد عنه.

[٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان لما يستقبل من الزّمن، ويتضمن معنىٰ الشّرط، وتفيد حتمية الحدوث، أو كثرته.

﴿تَوَلَّىٰ﴾: لها عدَّة معانٍ:

١ - انصـــرف أو ذهب بعيداً؛ أي: ابتعد عن النّـــاس، أو انصرف عن القول الّذي قاله؛ أي: إذا وعد أخلف، أو اؤتمن خان.

٢ - غضب كما قال ابن عبّاس ﷺ.

٣ - صار والياً من الولاية.

﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: سعي: أحدث، أو السّعي بالقدَم؛ أي: السّعي، والمشي الحثيث.

﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾: اللام للتوكيد؛ أي: بعلم ونية «تعمد»، ويفسد من الفساد، وأعظم الفساد هو الشّرك بالله، والكفر، والظّلم، ومعاداة الدِّين، والفساد الفكري، وتعريف الفساد: انفلات الفرد، أو المجتمع عن ضوابط الشّرع، والفساد يكون في المعتقد، والسّلوك، والسّحر، والقتل، وأكل الرّبا، ومال اليتيم، والكبائر، والزّنى، والتّلوث البيئي، وقطع الأشجار، وهدم البيوت، وأكل أموال النّاس بالباطل، وغيرها.

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾: أي: بالقتل، أو الإحراق، والتخريب، أو التدمير، أو الظّلم والإضلال.

﴿ٱلْحَرْثَ﴾: يعني: الزّرع، والحرث: النّساء: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

﴿وَٱلنَّسْلَ﴾: الذّرية، والأولاد، قتل الأولاد والنّساء في الحروب والغزوات، أو الحيوان.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾: ﴿وَٱللَّهُ﴾: لفظ الجلالة: قُدم اسم الفاعل الله سبحانه على الفعل؛ للاهتمام والتّعظيم.

﴿لَا﴾: النّافية لجميع الأزمنة.

﴿يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾: الحب: الميل، ﴿ٱلْفَسَادَ﴾: نقيض الصلاح؛ أي: أن تعمد إلى الصّالح فتفسده؛ ارجع إلى الآية (٢٥١) لمزيد من البيان.

[٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية؛ لما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشّرط، وتفيد حتمية الحدوث، أو كثرته بعكس إن.

﴿قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾: أي: إذا ظهر من أعماله ما يدل على الفساد في الأرض، وقلت له: اتق الله؛ أي: لا تفعل ذلك، أو خاف الله وعذابه؛ عندها يشعر المنافق، أو يفهم: أنّ ما في قلبه من نفاق قد ظهر، وانكشف.

﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: العزة: الحَمِيَّة، خلاف الذُّل، والانكسار، ظهرت عليه علامات الحَمِيَّة، والغضب؛ أي: حملته الحَمِيَّة على فعل الإثم الّذي أمر باجتنابه، أو استمر على فعله، ولم يتب. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

والسّؤال هنا: هل هناك عزة بغير إثم؟

نعم! العزة لله، ولرسوله، وللمؤمنين هي عزة حقيقية، وهناك العزة المذمومة الّتي نحن بسياقها، ﴿الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: الباء: للإلصاق، والثّبوت.

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والسّرعة، حسبه: يكفيه جهنم فراشاً مهيئاً له. جهنم: هذا الاسم مشتق من كونها بعيدة القعر، وشديدة الغضب والكريهة والمستنكرة والمخيفة.

﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: الواو: للتأكيد، واللام: لزيادة التأكيد في لبئس، وبئس: من أفعال الذّم والتّحقير.

﴿الْمِهَادُ﴾: جمع مهد، وهو الفراش المريح الممهد للطفل لينام عليه، وهنا تعني: فراش المنافق النّار المهيأة له لكي يستريح فيها، وكما أنّ الطفل لا يستطيع مغادرة مهدِه، وهو عاجز، وغير قادر على المغادرة، وكذلك المنافق يفقد القدرة على الخروج من جهنم، وهذا التشبيه من قبيل التهكُّم.

[٢٠٧] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾:

بعد ذكر صفات المنافق الأخنس بن شريق يذكر لنا هنا صفات الّذي يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، وهو كما قال أكثر المفسرون أمثال صهيب بن سنان الرّومي.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: من: ابتدائية، النّاس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

﴿مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾: من: ابتدائية، اسم موصول للعاقل، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع.

﴿يَشْرِى﴾: لها معنيان: باع نفسه ابتغاء مرضات الله، وأخذ عوضها «أي: اشترى» الجنة لنفسه، أو اشترى نفسه؛ أي: النّفس الإيمانية «المؤمنة»، وضحّى بالمال في سبيل إبقائها حية.

﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طلباً، ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: جمع مرضية؛ قلبت الياء ألفاً فأصبحت مرضاة على وزن مفعلة، ومرضاة مصدر ميمي من رضي، وتختلف عن الرضوان، فالرضوان أعظم الرضى، ويخص الله تعالى وحده، وأما المرضاة فقد تكون من الله سبحانه، أو من غيره؛ أي: ليست مختصة بالله وحده؛ أي: طلباً لكل أنواع رضى الله ومحبته.

وسبب نزول هذه الآية: كما قال أكثر المفسرين: أنّ الصّحابي صهيب بن سنان الرّومي لما أراد الهجرة إلى المدينة؛ ليلحق برسول الله ﷺ منعته قريش،

وعذبوه، وكان شيخاً كبيراً، وعنده المال، وقالت له قريش: كيف تخرج من مكة بمالك، ونفسك إلى محمّد ﷺ.

عندها قال لهم: خذوا مالي، وخلوا سبيلي، وقبلوا بذلك، وعندها نزل جبريل بهذه الآية على قلب الرّسول ﷺ يخبره بما فعل صهيب الرّومي، وكان يكنى بأبي يحيى، فعندما أخبر جبريل الرّسول بقصته صاح رسول الله ﷺ، وقال: «ربح البيعُ أبا يحيى ربح البيعُ أبا يحيى».

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾: ليست كلّ مؤمن يكون مثل أبا يحيى «صهيب الرّومي»، ويضحّي بماله، ونفسه ابتغاء مرضات الله، ولكن قليلاً من هم أمثال أبي يحيى، ورغم ذلك يبقى الله رؤوفاً بعباده، ولا يسألهم أن يكونوا كذلك، والرّأفة: أخص من الرّحمة، الرّحمة: تكون للمؤمن، والكافر، والرّأفة: فقط للمؤمن، والرّأفة: أشد من الرّحمة، الرّحمة: أوسع من الرّأفة، الرّأفة: رفع المكروه «إزالة الضّرر»، الرّحمة: رفع الضرر، وفعل الإحسان.

﴿بِٱلۡعِبَادِ﴾: الباء: للإلصاق، وبما أنّ الله سبحانه لا يطلب من كلّ مسلم، أو مؤمن أن يضحي بماله، ونفسه فهو رؤوف بالعباد، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب، وقال تعالى: والله رؤوف بالعباد، ولم يقل: والله رؤوف رحيم.

[٢٠٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد وهو الدّخول في السّلم كافة.

﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي﴾: في: ظرفية، ﴿ٱلسِّلۡمِ﴾: دين

الإسلام، الظّرف الإســلام، والمظروف هو أحكام الإسلام وشرائعه، ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾: وبما أنّ الخطاب موجّه للذيــن آمنوا، وهو ناداهم بالّذين آمنوا فهم قد دخلوا في الإســلام، وعلىٰ طريق الإيمان، فادخلوا في السلم كافة: تعني: أدُّوا جميع شــرائع الإســلام، وأحكامه كلها دون اختيار، أو تجزئة؛ أي: بتــرك بعضها، والأخذ بالبعض الآخر؛ أي: لا تؤمنــوا ببعض، وتكفروا ببعض، كما يفعل أهل الكتاب، واستقيموا علىٰ ذلك.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: سُــبُل الشــيطان، ومداخلــه، ومنها الوسوسة، والإغراء، والتزيُّن، والنزع.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾: إن يفيــد التّوكيــد، ﴿لَكُمۡ﴾: الــلام لام الاختصاص خاص بكم، وليس لأحد غيركم «فتقديم لكم علىٰ عدو مبين» يفيد الخصوص، ﴿عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة عداوته لا تخفىٰ علىٰ أحد من النّاس؛ أي: مكشــوفة، ولا يخفىٰ شيئاً منها، وعداوته كاملة تامّة، مشتملة علىٰ كل أنواع العداوة.

وردت كلمة السّلم في القرآن في سبع آيات، وبالتّشكيل التّالي:

السِّلْم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقــرة:٢٠٨]، آية واحدة تعني: تطبيق أحكام وشرائع الإسلام كافّة من دون تمييز.

السَّلْم: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفــال:٦١]، ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ [محمّد:٣٥]، تعني: الميل إلىٰ وقف القتال والصلح.

السَّلَمَ: ﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ [النّحــل:٢٨]، ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ [النحل:٨٧]،

﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ [النساء:٩٠]، ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ [النساء:٩١]، (٤) آيات السَّلَمَ؛ يعني: فيها الخضوع والذل.

[٢٠٩] ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، إن: شرطية، تستعمل للنادر حدوثه، أو قليل الحدوث، وهو الزّلل في هذه الآية، فالزّلل قد يحدث، وقد لا يحدث، والزّلل: الزّلق، وهو اضطراب القدَم، والتّزحلق في الموضع المراد إثباتها فيه، والزّلل قد يؤدي إلىٰ الوقوع، أو السّقوط.

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: الزلل: أخطأتم بغير عمد، وقد يجر فاعله إلىٰ ما هو أكبر من الزلل كالذين، والإثم؛ أي: زللتم بالأخذ بجميع الشّرائع، والأحكام؛ فآمنتم، وأخذتم ببعض، وتركتم بعض.

﴿مِّنْ بَعْدِ﴾: من: تفيد المسافة القريبة؛ أي: حدث الزّلل بعد مجيء البينات بزمن قصير.

﴿مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: ﴿مَا﴾: حرف مصدري.

﴿جَاءَتْكُمُ﴾: ولم يقل أتتكم، الفرق بين المجيء والإتيان:

المجيء: تستخدم في سياق الأمور الشاقة، والصعبة، والّتي فيها ثقل.

وأتىٰ: تستخدم في سياق الأمور السهلة، والميسورة، أو الّتي لم تحدث بعد.

﴿الْبَيِّنَاتُ﴾: جمع بينة؛ أي: الحجج، والبراهين الدّالة علىٰ أنّ ما دعيتم إلىٰ الدّخول فيه هو الحق.

الدخول في الإسلام كاملاً، ولمعرفة الفرق بين قوله تعالىٰ: ﴿جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾، و﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٥٣) من نفس السورة، والآية (٨٦) من سورة آل عمران.

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ﴾: علم اليقين.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: أنّ: حرف مشبه بالفعل يفيد التّوكيد.

﴿عَزِيزٌ﴾: القوي الّذي لا يُغلب، ولا يُقهر، ولا يمتنع عليه شيء له العزة جميعاً.

﴿حَكِيمٌ﴾: الحكيم في خلقه، وشرعه، وأحكامه. ارجع إلىٰ الآية (١٢٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٢١٠] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾:

﴿هَلْ﴾: أداة استفهام تحمل معنىٰ النّفي، والإنكار، وتعني: ما ينظرون.

﴿يَنظُرُونَ﴾: أي: ينتظرون، ولم يقل ينتظرون، بل قال ينظرون؛ لأنّ مدَّة الانتظار أقل، وكأنّ قيام السّاعة ومجيء الله سبحانه للفصل والقضاء قريباً جداً «استعمل الكلمة الأقل حروفاً ينظرون لتناسب الزّمن القصير»، والفاعل: أي: الّذي ينظرون قد يكون عائد علىٰ المنافقين، أو أهل الكتاب الّذين لا يريدون الدّخول في الإسلام، أو عائد علىٰ كلّ من يؤمن ببعض، ويكفر ببعض.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: التّحول من صيغة المخاطب ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ﴾ إلىٰ صيغة الغائب يأتيهم يدل علىٰ سوء صنيعهم الموجب الإعراض عنهم، ومخاطبتهم بصيغة الغائب تحقيراً لهم، يأتيهم للفصل والقضاء، والحكم بينهم؛ أي: يوم القيامة يوم الحساب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢].

﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾: جمع ظلة، ولا يكون ظله إلَّا إذا كان متراكباً، والغمام جمع غمامة، وهو السّحاب الّذي لا ماء فيه الأبيض الرّقيق، وسمي غماماً؛ لأنه يَغُم؛ أي: يستر.

﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: أي: فرغ الله سبحانه من القضاء، والفصل، وأوجب العذاب، وكأنّ الأمر حدث، وانتهىٰ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: للفصل فيها والحساب، وإصدار الحكم، وتقديم إلىٰ الله: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده ترجع الأمور، ولم يقل: ترجع الأمور إليه، وقال: وإلىٰ الله إضافة اسمه؛ للتهديد، والوعيد، فهو المجازي علىٰ الأعمال بالثّواب.

وقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: بضم التّاء، ولم يقل ترجع بفتح التّاء، فالأعمال تُرجع إليه، وكأنّها لا تريد أن ترجع إليه بإرادتها؛ لأنّها غير صالحة، ولو كانت صالحة لرجعت إليه من دون قهر، وجبر، وتصور إذا كانت الأمور لا تريد الرّجوع، فكيف يكون رجوع أصحابها.

لننظر في الآيات المتشابهة:

سورة البقرة، الآية (٢١٠): ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

وسورة الأنعام، الآية (١٥٨): ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾.

وسورة النحل، الآية (٣٣): ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

آية البقرة: جاءت في سياق المنافقين والّذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وآية الأنعام: جاءت في سياق الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً، وآية النّحل: جاءت في سياق الّذين لا يؤمنون بالآخرة ويتكبَّرون.

والآيتان: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾، أو يأتي ربك يوم القيامة ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾؛ للقضاء والفصل.

أما قوله تعالى: ﴿يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾؛ أي: بالعقاب، أو العذاب.

وأما قوله تعالى: ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: لقبض أرواحهم، أو بالعذاب؛ لتدميرهم.

❖ ❖ ❖

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ
﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ
مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ
أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ
مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾

سورة البقرة [الآيات ٢١١ - ٢١٥]

[٢١١] ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾:

﴿سَلْ﴾: بغير الهمز بدلاً من اسأل؛ للتخفيف. القاعدة عند أهل الحجاز: إذا بدأت بالفعل تخفَّف، وتحذَف فتقول: سل، وليس اسأل، وإذا تقدمها شيء أو جملة يؤتى بالهمزة فيقال اسأل؛ أي: يا محمّد ﷺ، والخطاب موجَّه للنبيِّ، وللمؤمنين معاً.

﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٠) للبيان، والسّؤال هنا يراد به إحدى أمرين: إما التّقرير، والتّذكير بنعم الله، وإما التّوبيخ على ترك الشّكر.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾: ﴿كَمْ﴾: الاستفهامية؛ للتقرير، يراد به العدد المبهم، أو ﴿كَمْ﴾: الخبرية، وبمعنى الكثير، ﴿ءَاتَيْنَٰهُم﴾: من الإيتاء. ارجع إلى الآية (٨٧)، أو الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾: ﴿مِّنْ﴾: الابتدائية، وقد تكون استغراقية؛ تعني كلّ آية بينة؛ أي: معجزة واضحة ظاهرة على أيدي أنبيائهم مثل: العصا، واليد، والطّوفان، والسّنين، وانفلاق البحر، والمن، والسّلوى.

﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾: من: شرطية، ابتدائية، ﴿يُبَدِّلْ﴾: بالتّخفيف، ولم يقل: يتبدل، يبدل من الإبدال: وهو جعل شيء مكان شيء آخر، يتبدل من التّبديل: وهو تغيُّر

الشّيء عن حاله إلىٰ حالة أخرىٰ؛ أي: تغير، أو تحريف، أو تأويل، أو إخفاء الشّيء.

﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: النّعمة: تعريفها هي ما يهبه الله لعبده من خير يجلب مسرة، أو يدفع عنه مضرة، انظر في ملحق الآية؛ لمعرفة الفرق بين نعمت، ونعمة.

والنّعمة هنا قيل: هي الآيات، آيات الهداية، والتّوراة، وجاءت نعمة الله بصيغة النّكرة؛ لتشمل كلّ نعمة مهما كانت، ومنها نعمة الإسلام، وتبديل النّعمة، أو إبدالها يعني: تغييرها، وتحريفها، أو إخفائها، أو تأويلها عن حقيقتها.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾: من بعد ما تمكن من معرفتها كقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، وإلا كيف يبدلها، وهي غائبة عنه.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء، وإن: للتوكيد.

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: والعقاب: هو الجزاء علىٰ فعل الذّنب، أو الجرم عقيب فعله؛ أي: يقع في الدّنيا؛ أي: معاقبة فاعل الذّنب، أو الجرم علىٰ ذنبه، أو جرمه مباشرة؛ أي: عقيب فعله، والعقاب من التّعقيب، ويختص بالدّنيا، أما العذاب فيقع في الدّنيا، أو الآخرة، والعذاب أوسع من العقاب، والعذاب قد يؤخر إلىٰ مدَّة من الزمن قد تطول، أو تقصر، وقد لا يحدث إلّا في يوم القيامة.

ووردت في القرآن: أنّ الله شديد العقاب، أو سريع العقاب.

وقد ذكرت كلمة العقاب في القرآن في (٦٤) موضعاً، بينما كلمة العذاب وردت في (٣٦٠) موضعاً، ووردت في القرآن: أنّ الله شديد العذاب، ولم يرد في كل القرآن عبارة: أنّ الله سريع العذاب.

وردت كلمة نعمة في هذه الآية بالتّاء المربوطة.

ووردت نعمة بالتّاء المربوطة في (٢٥) آية بينما وردت نعمت بالتّاء المفتوحة في (١١) آية.

وتبيَّن أنّ التّاء المربوطة تأتي في سياق النّعمة العامة، أو الظّاهرة.

والنّعمة بالتّاء المفتوحة «نعمت»: تأتي في سياق النّعمة الخاصة بالمؤمنين، وهي نعمة لا يمكن إحصاؤها، والله أعلم.

[٢١٢] ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾:

﴿ زُيِّنَ ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، وجاء به كفعل ماض كأنّه أمر طارئ لا يلبث أن يزول، والتّزين أمر قديم، والمزين هنا الشّيطان، والتّزيين يكون بالوساوس، والإغراء، والتّحسين، والشّهوة العاجلة.

﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾: اللام: لام الاختصاص، الّذين كفروا: أي: من يسير على درب الكفر. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾: ﴿ٱلدُّنْيَا ﴾: من الدّنو؛ أي: القرب، وتسمى العاجلة، مقارنة بالآخرة، أو تعني: الدنيئة، الحياة السّفلية، فالشّيطان زين للكافرين الحياة الدّنيا حتّى فتنوا بها وأحبوها حباً شديداً، وآثروها على الآخرة، فلا يحسدون عليها.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾: يسخرون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد فعل السّخرية عندهم من الّذين آمنوا، وأنّه مستمر ولا ينقطع في الحياة

الدّنيا، والسّخرية: هي الاحتقار، والذّل، والازدراء؛ لضعف، أو عيب، أو نقص، أو جبن، وتكون قولاً، أو فعلاً في وجه المسخور منه، والسّخرية: لا تستعمل إلَّا مع الأشخاص، أو الأعمال، ولا بدَّ من وقوع فعل سابق من المسخور منه؛ أي: لا بد من وجود سبب يدعو إلى السخرية، وتختلف عن الاستهزاء الذي لا يقتضي بوجود سبب له، يسخرون من الّذين آمنوا؛ لكونهم فقراء، أو لتصديقهم بالآخرة، أو اتِّباعهم النّبي ﷺ، أو لكونهم قلة، وغيرها. . .

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: المؤمنين في الجنة في عليين، والكفار في سجين، أو النّار، أو فوقهم منزلة ودرجة.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثّبوت، والاستعلاء، والدّيمومة.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير، ولا حصر، ولا تعداد؛ لأنّ خزائنه لا تنفذ، ولا تنقص، ولا علاقة لهذا الرزق له بكثرة الطّاعة، أو قلتها، أو بكونه مطيعاً، أو عاصياً مؤمناً، أو كافراً، ولا يعني ذلك من دون حكمة، ومن دون ابتلاء، والرّزق لا ينحصر في المال فقط، بل كذلك العلم، والخلق، والأهل، والجاه، بغير أن يُسأل سبحانه عما يفعل لماذا ترزق فلان ولا ترزق فلان، والرّزق قد يحصل من حيث لا يحتسب العبد.

[٢١٣] ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿كَانَ﴾: فعل ماض.

﴿ٱلنَّاسُ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢١) من سورة البقرة.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: الأمة: جماعة من النّاس تربطها عقيدة واحدة «دين واحد»، أو ملّة، أو شريعة، أو مبادئ واحدة، ولا يهم الكم البشري، ولا الحيز الجغرافي، وكما روي عن ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون علىٰ شريعة من الحق.

﴿وَٰحِدَةً﴾: أي: علىٰ دين واحد، أو علىٰ عقيدة واحدة، دين الإسلام والتوحيد والعبودية لله وحده، ما بين آدم عليه السلام، ونوح عليه السلام؛ أي: علىٰ «عبادة الله وحده».

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: ﴿فَبَعَثَ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة، بعث: من البعث: ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة، فبعث الله النّبيين بعد أن اختلفوا في التوحيد والعبودية وبعد أن انتشر الضّلال، والشّرك، وعبادة الأوثان، بعث الله النّبيين وعلىٰ رأسهم نوح عليه السلام لهدايتهم؛ حيث أصبح أكثر النّاس من الضّالين، والمشركين فتوالىٰ إرسال النّبيين وقبل الاختلاف لم يبعث.

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: مبشرين لأهل الإيمان، ومنذرين لأهل الكفر، والعصيان، والمكذبين رسلهم، وما أنزل الله.

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: أنزل مع النّبيين الكتب السماوية، والكتاب: اسم جنس، ويشمل صحف إبراهيم، وموسىٰ، وشيث، والزبور، والتّوراة، والإنجيل، والقرآن.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: بالشّرائع، والأحكام الّتي تهدي النّاس للحق، والصّراط المستقيم، وعبادة الله وحده.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: اللام في ليحكم: للتوكيد؛ أي: أنزلنا الكتب، والصّحف، والأنبياء، والأحكام، والشّرائع؛ لهداية النّاس، وليحكم بها النّاس فيما اختلفوا بينهم بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والشّرك والتّوحيد، والهداية والضّلال؛ فجعلوا تلك الأحكام والشّرائع مصدر جديد؛ للاختلاف بينهم، وخلطوا بينها، وقلّدوا آباءَهم، واتبعوا أهواءَهم، وحاربوا أنبياءَهم ورسلهم.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: ﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النّافية، ﴿ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾: «تعود على الحق، أو الكتاب»، من أحكام وشرائع، وفيه كلّ ما اختلفوا فيه من عقائد، وبدع، وعادات، وتقاليد، وفيه: قد تعود على محمّد ﷺ، وأنّه النّبي المبعوث الّذي ينتظرونه.

﴿إِلَّا﴾: أداة الحصر، ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: وهم أهل الكتاب «بني إسرائيل وأتباع عيسى بن مريم».

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: «الآيات والأدلة الصادقة على نبوة محمّد، وأنّه هو النّبي المبعوث»، وما ذكر في التّوراة والإنجيل في نعته وصفته.

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: أي: سبب هذا الاختلاف هو البغي؛ أي: الحسد، والحرص على الدّنيا.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: فهدى الله تعالى الّذين آمنوا؛ أي: أمة محمّد ﷺ

إلىٰ الحق بإنزال القرآن، وإرسال محمّد ﷺ نبياً ورسولاً، وهدىٰ بعض أهل الكتاب أمثال عبد الله بن سلام من الّذين آمنوا كذلك.

﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: هداهم بشأنّ عيسىٰ عليه السلام، وبشأنّ محمّد ﷺ، وبشأنّ القبلة وغيرها، فهم اختلفوا في الحق، وكان من المفروض عليهم أن لا يختلفوا فيه.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بأمره، ومشيئته. ارجع إلىٰ الآية (٢٥٥) من نفس السورة.

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الصّراط المستقيم: الدِّين الحق، دين التّوحيد، وعبودية الله دين الإسلام، والله يهدي من شاء، أو طلب الهداية إلىٰ الصّراط المستقيم: وهو الطّريق المستقيم الموصل إلىٰ الغاية بأقصر زمن، أو مسافة، ومن دون عائق، أو مشقة.

[٢١٤] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾:

سبب النّزول: قال بعض المفسرين: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الشّدة، والفقر، والبرد، وسوء العيش، وبلغت القلوب الحناجر.

المناسبة: في الآية السّابقة (٢١٣) قال تعالىٰ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: مبشرين بالجنة، ومنذرين بالنّار، فجاءت هذه الآية تتمة لها؛ لتخبر هؤلاء المبشرين بالجنة بأنّ دخولها يحتاج إلىٰ صبر، ومجاهدة، وتحمل الزّلزلة.

﴿ أَمْ ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، ينكر على هؤلاء ظنهم بدخولهم الجنة من دون ابتلاءات شديدة.

﴿حَسِبْتُمْ ﴾: اعتقدتم به من حسب، والحساب نوعان: حسي «العادي»، وحساب قلبي؛ مبني على النّظر، والتّجربة، وحسبتم من الحساب القلبي.

﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾: ﴿أَن ﴾: حرف مصدري يفيد التّوكيد، ﴿تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾.

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم ﴾: لما: للنفي المستمر إلى زمن الحال.

﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾؛ أي: حسبتم أنكم ستدخلون الجنة من دون أن تفتنوا وتبتلوا بمثل ما فتن وابتُلي الّذين من قبلكم، ﴿مِن ﴾: ابتدائية، وتفيد الزّمن القريب.

﴿مَّسَّتْهُمُ ﴾: المس: هو اللمس الخفيف الّذي لا يكاد يذكر.

﴿ٱلْبَأْسَآءُ ﴾: الفقر، والشّدة، والجوع، والخوف.

﴿وَٱلضَّرَّآءُ ﴾: المرض، والألم، ونقص في الأموال، والأنفس والجراحات، والقتال، والعواصف، والكوارث الطّبيعية، وسواء كانت فردية، أو جماعية.

﴿وَزُلْزِلُواْ ﴾؛ أي: أصابتهم المصائب الكبرى والمتكررة، وبأشكال ودرجات متنوعة، كلمة زلزلوا: لها تعبير صوتي خاص، وهذه الكلمة أصلها: زلزلة، وهذه الكلمة لها مقطعان: زل الأولى، وزل الثّانية، وزل معناها: سقط عن مكانه، أو وقع من مكانه، والثّانية: زل لها نفس المعنى فالكلمة تعطينا معنى الوقوع المتكرر، هناك وقوع أوّل ووقوع ثان، والوقوع الثّاني ليس استمراراً

للوقوع الأوّل، ولكنه في اتجاه معاكس، فـكأنّ الأوّل في اتجاه اليمين، والثّاني في اتجاه الشّمال مثلاً.

وكذلك مثل كلمة الخلخلة: حركة في اتجاهين معاكسين، جهة اليمين، وجهة الشّمال، وهذا ما يحدث في حادثة الاصطدام، فالجسم في السّيارة يتحرك مندفع مع اتجاه السّيارة، فعندما يكبح السّائق جماح السّيارة يندفع جسم الراكب، ويلتطم بالزجاج، وهذا مثال لما يحدث في الزّلزلة.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾: أصابتهم الفاجعة، والمصائب الكبرىٰ المتكرر الواحدة بعد الأخرىٰ، وهي لا تتكرر علىٰ نمط واحد، وإنما يتكرر عددها، وتتكرر الإصابات، والابتلاءات بأشكال مختلفة، حتّىٰ يقول الرّسول والّذين آمنوا معه متىٰ نصر الله.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية، وهو حتّىٰ أن يقول الرّسول والّذين آمنوا معه.

﴿يَقُولَ﴾: انتبه إذا جاء الفعل بعد حتّىٰ منصوب بالفتحة، فهو يدل علىٰ أنه لم يقع، ولو جاء الفعل بعد حتّىٰ مرفوع بالضمة؛ كقوله: حتّىٰ يقولُ: تدل علىٰ الماضي؛ أي: وقع الفعل (بالماضي).

وإذا جاء الفعل بعد حتّىٰ منصوباً يدل علىٰ الاستقبال، مثل حتّىٰ يقولَ؛ يعني: أنّ رسول الله ﷺ وأصحابه لم يقولوا ذلك، ولم يشكوا في نصر الله.

﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾: «ﷺ وصحابته».

﴿مَتَىٰ﴾: ظرف زمان واستفهام يتضمن معنىٰ الاستبطاء والاستبعاد.

﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: الفوز، والغلبة. انظر إلىٰ الفرق بين النّصر والفتح في سورة

النّصر، النصر الغلبة بالقوة، والسّـــلاح، والعتاد، والفتح: النصر من دون قتال، أو معركة.

﴿أَلَآ﴾: حرف استفتاح تفيد التّحقيق؛ أي: أنّ نصر الله قريب، إنّ: للتوكيد، والسّؤال هنا من قال متىٰ نصر الله، ومن أجاب ألا إن نصر الله قريب

الاحتمال الأول: من قال، أو ســأل: هم الصّحابة أنفسهم، ومن أجاب هم أنفسهم أيضاً؛ أي: تساءلوا أوّلاً، ثم ثابوا إلىٰ رشدهم، وأجابوا أنفسهم: إنّ نصر الله قريب فما علينا إلّا الصبر والتّوكل.

الاحتمال الثّاني: ربما هناك قســم منهم قالوا: أو تســاءلوا متىٰ نصر الله، وقسم آخر منهم أجابوهم: إن نصر الله قريب.

الاحتمال الثالث: الّذين تســاءلوا، أو قالوا: متىٰ نصر الله؟ هم الصّحابة، والّذين أجابهم: إنّ نصر الله قريب: هو الرّسول ﷺ.

الاحتمال الرابع: الّذين تســاءلوا الصّحابــة، أو غيرهم من النّاس، والّذين أجابهم هو الله سبحانه عن طريق جبريل عليه السلام، أو الإيحاء، والإلهام.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: وردت في ثلاث آيات مختلفة في السّياق، وهي:

ســورة البقرة، الآية (٢١٤): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

ســورة آل عمران، الآية (١٤٢): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾.

سورة التوبة، الآية (١٦): ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾.

إذا نظرنا في سياق آية البقرة: نجد أنّها جاءت في سياق النّصر، وأنّ الصّحابة يجب أن يصبروا على البأساء والضّراء، كما صبر الّذين خلوا من قبلهم.

وأما في آية آل عمران: فقد جاءت في سياق الجهاد، وما حصل للمؤمنين يوم أحد من الهزيمة، والقتل، والجراحات، فهي تحثهم على الثّبات، والصّبر رغم هزيمتهم.

وأما آية التّوبة: فقد جاءت في سياق التّحذير من النّفاق، وإفشاء الأسرار للأقارب، أو الكفار المعاندين لرسول الله ﷺ، وهناك احتمال آخر هو: كلّ الآيات جاءت في سياق الجهاد.

فآية التّوبة: تشير إلى أهمية السّرية، وكتم الأخبار، والأنباء قبل المعركة، والاستعداد لها.

وآية البقرة: تشير إلى أهمية الثّبات، والصّبر في أرض المعركة.

وآية آل عمران: تشير إلى أهمية الصّبر، والثّبات بعد المعركة، خاصة إذا حصلت هزيمة.

[٢١٥] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾:

سبب النّزول: كما روى ابن عبّاس رضي الله عنهما: هو أنّ عمر ابن جمحوج الأنصاري

كان شيخاً له مال كثير، فسأل رسول الله ﷺ ماذا ننفق من أموالنا، وأين ننفقه، فنزلت هذه الآية، والعبرة ليست بخصوص السّبب، وإنّما بعموم اللّفظ.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾: يعني: السائل يقف أمام المسؤول ليسأله، بينما ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [النّساء:١٥٣]، ليس ضرورياً أن يكون السّائل أمام المسؤول ليسأله.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾: السّؤال في حكم شرعي، أو غير حكم، أو أمر يهم النّاس، ودائماً يأتي بعد كلمة يسألونك قل إلّا في آية واحدة جاءت كلمة فقل، والسّبب في ذلك أنّ السّؤال لم يُسأل حتّىٰ ذلك الحين، وسوف يُسأل في المستقبل، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ [طه:١٠٥]. ويسألونك جاءت بصيغة المضارع في (١٥) آية، وآية واحدة جاءت بصيغة الماضي: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾.

أما الفرق بين يسألونك، و: ويسألونك «بزيادة الواو» هناك تفسيرات:

التفسير الأول: حين يبدأ بـ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾: يبدأ موضوعاً جديداً؛ أي: بداية كلام جديد، وحين يبدأ بـ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ فيها عطف بالواو علىٰ ما قبلها؛ أي: تتمة لما سبقه.

التفسير الثّاني: وهو الأقوىٰ، حين يقول: ويسألونك «بالواو»؛ يعني: أنّهم سألوا ذلك السّؤال مع أسئلة أخرىٰ في زمن، أو وقت واحد؛ أي: سألوه سؤال تلو الآخر، أمّا حين يقول: يسألونك فتعني سألوه أسئلة في أزمان مختلفة، وأحوال متفرقة.

﴿مَاذَا﴾: أقوىٰ في الاستفهام من ما لوحدها.

﴿قُلْ﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: مـا: شـرطية، ﴿أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: الخيـر هو المال وتعريف الخير: هو الشّيء الحلال الطّيب الحسن النّافع، من: استغراقية تستغرق كل خير. أما أين تنفقه:

﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: الفـاء: رابطة لجواب الشّـرط، تفيد التّوكيد، واللام فـي للوالدين: لام الاختصاص والاسـتحقاق، والأفضل الإنفاق على الوالدين، والأقارب؛ لأنّه أعظم ثواباً يجمع صلة الرّحم، وثواب الإنفاق؛ لأنّ الباقي المساكين، وابن السّبيل، واليتامى تشملهم آية الزّكاة.

﴿وَمَا﴾: ما: هنا شرطية.

﴿تَفْعَلُوا۟﴾: أي: تنفقوا، أو تخفوا في صدوركم.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من اسـتغراقية تشـمل كل خير، والخير كما سبق هو الشّيء الحلال الطّيب الحسن النّافع.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء وإن: للتوكيد.

﴿بِهِۦ عَلِيمٌ﴾: عليم صفة مبالغة؛ أي: كثير العلم، يعلم ما تنفقون، أو أحاط علمـه بكل نفقة صغيرة، أو كبيرة، وأحاط علمه بمـا تخفي الصّدور، ارجع إلى الآية (٢٩) للبيان، وهذه الآية تحض على نفقة التّطوع.

❖❖❖

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟
شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ
ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ
وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

ربع الحزب ٤

سورة البقرة [الآيات ٢١٦ - ٢١٩]

[٢١٦] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

بعد ذكر الإنفاق في الآية السّابقة يذكر في هذه الآية الجهاد الّذي يحتاج إلىٰ الإنفاق، كذلك، وبذل المال والأنفس.

﴿كُتِبَ﴾: فرض عليكم، قيل: هذه أول آية فرض فيها الجهاد «القتال»، وذلك في السّنة الثّانية من الهجرة.

﴿عَلَيْكُمُ﴾: علىٰ تفيد الاستعلاء لما في الجهاد من علو منزلة ورفعة وعليكم خطاب إلىٰ الصّحابة، ومن بعدهم جميع المسلمين.

﴿ٱلْقِتَالُ﴾: الجهاد. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٣٩) لمعرفة الفرق بين القتال والجهاد.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: للتوكيد، هو: ضمير الزّيادة والتّوكيد.

﴿كُرْهٌ﴾: بضم الكاف؛ أي: الشّاق علىٰ النّفس، والثّقيل، ولكنها مشقة مرغوبة بها من قبل صاحبها، ومقرونة بالإرادة والرّغبة؛ للقيام بها لما يترتب عليها من ثمار، أو ثواب.

ووردت هذه الكلمة ثلاث مرات في القرآن مرتين في الحمل، ومرة في الجهاد، ويجب أن ننتبه إلىٰ الكلمة الأخرىٰ المشابهة، وهي كَره بفتح الكاف، ووردت في خمس مواضع، وهي تعني: الإكراه، والقهر علىٰ فعل الشّيء مثال:

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النّساء: ١٩].

﴿أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣].

﴿وَعَسَىٰٓ﴾: من أفعال الرجاء المرجو حصولها في المستقبل.

﴿أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: ﴿أَن﴾: حرف مصدري للتوكيد؛ أي: هذا القتال الّذي تكرهوه لما فيه من الآلام والمشقة، وزهق الأرواح: هو في الحقيقة خير لكم؛ لما فيه العزة، وحسن الثّواب، والأجر العظيم.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾: مثل القعود عن الجهاد، شرٌّ لكم؛ لأنّه قد يدفع العدو إلىٰ انتهاك حرماتكم، وقتل أولادكم، ونسائكم، فالله سبحانه لا يشرع، أو يفرض أمراً؛ إلّا فيه مصلحتكم، ومقاييس العباد ليست كمقاييس الله سبحانه؛ لأنّه سبحانه:

﴿يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: يعلم ما فيه الخير لكم والشّر، وما يضركم وما ينفعكم؛ لأنّه عالم الغيب والشّهادة، وعلام الغيوب.

[٢١٧] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

سبب النّزول: حين قتل الصّحابة ابن الحضرمي، ولم يدروا يوم قتلوه أنهم دخلوا في الأشهر الحرم كانوا يظنون من جمادىٰ الأخرىٰ، وكان أول يوم من رجب، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشّهر الحرام «أي: رجب»، فنزلت

هذه الآية، واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشـهر الحرم، فمنهم من قال: أنّ الحكم باق، ومنهم من قال: إنّه منسوخ بسبب هذه الآية.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٨٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾: الأشهر الحرم: وهي أربعة أشهر في العام، وهي رجب «فرد»، وثلاثة سـرد «ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم»، ومعنىٰ الأشهر الحرم: أي: أنّ القتـال محرَّم فيها، لقوله تعالىٰ في سـورة التّوبة آية (٣٦): ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، والشهر: اسم جنس.

﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾: أي: يسألونك عن القتال في الأشهر الحرم.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: قل يـا محمّد ﷺ: القتال في الأشـهر الحرم ذنب عظيم مستنكر.

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ومنع النّاس عن سـبيل الله «عـن دين الله»، أيضاً ذنب عظيم أكبر من القتال في الأشهر الحرم.

﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾: بالله، ذنب عظيم أكبر من القتل في الشّهر الحرام.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: والصّد عن المسـجد الحرام بمنع النّاس من الحج والعمرة ذنب عظيم.

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: إخراج الرّسول ﷺ، والصّحابة من مكـة، أكبر عند الله؛ أي: أكبر علىٰ وزن أفعل؛ أي: أعظم من القتال في الأشـهر الحرم.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: الشّرك، والكفر، واضطهاد المسلمين ليكفروا ويرتدوا عن دين الله أكبر من القتل؛ أي: أعظم وزناً من القتل.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النّافية.

﴿يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾؛ أي: لا يزالون مستمرين على قتالكم، وعداوتكم، والنّون في يقاتلونكم؛ للتّأكيد.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية، والغاية هي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾: أي: يعيدوكم إلى الكفر، والشرك بالرّدة، والإكراه.

﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾: إن: شرطية تتضمن معنى الشّك في الحدوث، أو النّدرة؛ «أي: وقلما يحدث ذلك».

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾: ومن: الواو استئنافية، من: شرطية، يرتدد بفك الإدغام، والفك «فك الإدغام» أثقل من الإدغام كقوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾، كما جاء في سورة المائدة، آية (٥٤).

فجاء بالفعل الثّقيل يرتدد في سياق الحرب والقتال والفتنة في سورة البقرة؛ أي: ليناسب الحال، وبالإدغام يرتد في سورة المائدة، في سياق الرّدة من الإسلام إلى الكفر في حالة السّلم والصّلح.

﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾: الفاء: تدل على التّرتيب والتّعقيب، يمت: وهو كافر: هو: تفيد الحصر والتّوكيد؛ أي: يمت هو في حالة الكفر.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتّوكيد، أولئك: اسم إشارة، واللام للبعد.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: بطلت وفسدت أعمالهم وذهب ثوابها في الآخرة.

﴿حَبِطَتْ﴾: أصلها من مرض الحبط؛ أي: الحبن؛ الّذي يصيب الماشية، وهو مرض يصيب الكبد، فينتفخ بطنها بالسّوائل، وتصاب بالحبن «انتفاخ البطن بالسوائل»، فيظنها المشاهد سمينة، ويفرح بها لما فيها من اللّحم، ولكنّه يفاجأ بأنّه مرض، وليس شحماً، فلا يستفاد منها بشيء عند ذبحها؛ لفسادها حتّىٰ أنّه يشمئز من رائحتها، وهكذا أعمال الكفرة.

﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: كما سبق، وإعادة أولئك تفيد التّوكيد، ارجع إلىٰ الآية (٣٩) من سورة البقرة.

[٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

نزلت هذه الآية في عبد الله بن جحش، وأصحابه؛ ليطمئنهم الله سبحانه أنّهم غير آثمين لما فعلوه بسبب قتالهم في الأشهر الحرم، وقتلهم عمرو بن الحضرمي كما شنع عليهم النّاس فهم يرجون رحمة الله، والله غفور لذنوبهم ورحيم بعباده.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل للتوكيد.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: إيماناً خالصاً لوجه الله.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: لنصرة دين الله، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، ودحر الكفر والشّرك.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد أي: بعد منزلتهم وعلوها.

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾: رحمة الله: ثوابه وجنته، يرجون من الرّجاء. والرّجاء: هو الظّن بوقوع الخير الّذي يعتري صاحبه الشّك فيه والخوف، والرّجاء هو الأمل بالخير «أو ترقب الخير مع تغليب الظّن بحدوثه»؛ لأنّ الإنسان قد يقوم

بأعمال كثيرة ظاهرها البر، والتّقوىٰ، والإصلاح، والخير، وقد تحدثه نفسه بشيء يُفسد عليه عمله؛ كالرّياء، والمن، والأذىٰ، فالرّحمة غير مؤكدة أحياناً.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٧٣) من نفس السّورة.

[٢١٩] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: عن تعاطي الخمر والميسر، ارجع إلىٰ الآية (١٨٩) من سورة البقرة.

﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾: وسمِّيت خمراً؛ لأنها تخامر العقل؛ أي: تخالطه، وتستره، وتغطيه، وسواء كان عصير العنب المتخمر، أم الشّعير، أم التّمر.

﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾: أي: القمار مثل ضرب الأقداح، والأزلام، والنّرد، وسمِّيت بالميسر المأخوذ من اليُسر؛ لأنّ صاحبه ينال المال بيسر وسهولة من غير تعب.

﴿قُلْ﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: ما هو هذا الإثم الكبير لم يُبين في هذه الآية، ولكنه يبينه في آية أخرىٰ، وهو إيقاع العداوة، والبغضاء بين النّاس، والصّد عن ذكر الله، وعن الصّلاة، كما قال في المائدة، آية (٩١): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

الإثم: الذّنب، والإثم لا يحدث إلّا تعمداً، والإثم لما يجره من فساد العقل والمخاصمة، وتعطيل الصّلوات، الكبير: العظيم. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: المنافع المادية، والاقتصادية من ربح، والضّرائب المفروضة عليها الّتي تفوق التّصورات البشرية، ومنافع جمع منفعة؛ أي: المال.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، النّاس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾: عقاب الإثم في تعاطيهما، أكبر من نفعهما: وهو التّلذذ بشرب الخمر، أو النّفع المادي؛ أي: الرّبح من صناعتها، أو بيعها، والميسر، وما يحققه من الرّبح من دون أي جهد.

والآن نستعرض الأربع آيات الّتي وردت في سياق تحريم الخمر الّذي تم على مراحل أربع:

ـ الآية الأولى: من سورة النّحل، آية (٦٧):

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وهذه المرحلة الأوّلى كان المسلمون يشربونها، وكانت حلال يومئذٍ.

ـ الآية الثّانية: من سورة البقرة (٢١٩):

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾.

وهذه المرحلة الثّانية بعد نزول هذه الآية تركها قوم لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، واستمر البعض الآخر في شربها.

ـ الآية الثالثة: من سورة النّساء، آية (٤٣):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾.

نزلت كما أخرج الترمذي وأبو داود بعد أن صلّى أحد الصّحابة بالناس في صلاة المغرب بعد أن شرب الخمر فقرأ: «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون»، فكانت هذه المرحلة الثّالثة: حُرم شربها في أوقات الصّلاة، واستمر بعضهم في شربها بعد صلاة العشاء وغير أوقات الصّلاة.

ـ الآية الرّابعة: في سورة المائدة، آية (٩٠-٩١):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

نزلت هذه الآية بعد غزوة الأحزاب بأيام، فقال الصّحابة عند نزولها: انتهينا يا رب.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: نرى هنا زيادة الواو، وفي الآيات السّابقة لم تستعمل الواو، وتعليل ذلك هو أنّ السّؤال في الآية (٢١٥) كان في زمن، والسّؤال في الآية (٢١٧) كان في زمن آخر، ولم يستعمل الواو.

أمّا الأسئلة الّتي في الآية (٢١٩)، والآية (٢٢٠، ٢٢٢)، فكانت كلها في آن واحد واستعمل فيها الواو.

﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٢١٥).

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾: قالوا العفو: ما يزيد عن الحاجة الّتي يحتاجها الإنسان، وأهله، وكان ذلك قبل فرض الزّكاة، والعفو يقصد بها نفقة التطوع، قل العفو: هذا يدل على المقدار، أو الكم، أو الجزء.

انظر إلى ترابط الآيات التالية:

الآية (٢١٥): ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ (ما نوع الإنفاق)، فجاء الرد: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ (أي: مال، أو ما شابه).

وعلىٰ من ننفق؟ فجاء الرد: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

والآية (٢١٩): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ (أي: ما مقدار الإنفاق والكم؟): ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾، ثم بين ذلك بقوله: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج:٢٥-٢٦]؛ تشمل الزكاة والصدقات.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: الكاف: للتشبيه، فليس هناك تكرار في السؤال؛ أي: مثل ما بُين لكم الآيات السابقة، أو كما فصل لكم هذه الأحكام وبينها وأوضحها، كذلك يُبين لكم سائر الآيات في الأحكام الأخرىٰ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: لعلكم تتفكرون: من التفكر: وهو النظر في الدلائل، والتأمل والتثبت وإعمال العقل في المقارنات والمعطيات للوصول إلىٰ الحكم أو الحكمة؛ أي: لتتفكروا في أمور دنياكم، وآخرتكم، فتؤثرون الأنفع والأصلح لكم علىٰ الفاني والداني، في النجاة من النار، وجنات النعيم علىٰ عذاب الخلد، ورضوان الله تعالىٰ علىٰ سخطه وغضبه، وثواب ترك الخمر والميسر علىٰ تعاطيهما.

❖ ❖ ❖

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ
وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟
وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٢٠ - ٢٢٤]

[٢٢٠] ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

لعلكم تتفكرون في الدّنيا والآخرة، وما يصلح الدّارين، ويسعدكم فتكونون من المفلحين.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: نزلت هذه الآية بعد أن نزلت الآية (١٥٢) من سورة الأنعام ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، والآية (١٠) من سورة النّساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾: عندها خاف المؤمنون من هذا الوعيد، فاعتزلوا اليتامى، وعزلوا أموال اليتامى عن أموالهم، وتركوا مخالطتهم، والقيام بأموالهم، والاهتمام بمصالح اليتامى، فشق ذلك عليهم، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن اليتامى، فنزلت هذه الآية كما روي عن ابن عباس.

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾: أي: مخالطتهم على قصد الإصلاح لهم، ولأموالهم خير من اعتزالهم، إصلاح نكرة تشمل أي إصلاح، إصلاح يشمل الرّعاية التّامة بما فيها الرّعاية الصّحية، والعقيدة، والخلق، والمال، وكل أمر يتعلق بالإصلاح، وقدَّم لهم على خير: اللام في لهم تفيد الاختصاص.

﴿وَإِن﴾: شرطية، وتدل على قلة الحدوث.

﴿تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: أي: تخلطوا أموالكم بأموالهم في النّفقة، أو المعيشة، أو المصاهرة، وكل الأمور الحياتية، فإخوانكم في الدِّين.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، تخالطوهم بسبب كونهم إخوةً لكم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾: والله يعلم ما في صدوركم، من هو المسيء من المحسن فيجازيه حسب عمله، ومن يخون ويغدر أو يأكل مال أخيه ظلماً وهضماً.

وفي هذا تحذير وحماية لمال اليتيم، ثم زاد الله منته عليهم برفع الحرج في المخالط.

فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: العنت: الشدة، والمشقة، والضيق، والحرج، ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، أصلها: ولو شاء أعنتكم؛ أي: ضيق عليكم، وما أباح مخالطتهم.

وهذا على سبيل التّحذير؛ لأنّ العنت لا ينسب إلى الله تعالى؛ لأنّ الله عزيز حكيم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿عَزِيزٌ﴾: القوي الّذي لا يُغلب، ولا يقهر، والممتنع، وله العزة جميعاً، ﴿حَكِيمٌ﴾: فما شرع لخلقه وكونه الحكيم في صنعه، وتدبيره، وما يحكم، ولا يخلق عبثاً، وحكيم مشتقة من الحكم؛ فهو أحكم الحاكمين، و مشتقة من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

[٢٢١] ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النّاهية.

﴿تَنكِحُوا﴾: لا تتزوَّجوا النّساء المشركات «الوثنيات المجوسيات»، اللاتي لا كتاب لهن، والنكاح: الرّغبة في الزّواج، أو إرادة وقوعه «قبل أن يتحقق الزّواج فهو نكاح»؛ كقوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾، والزواج يعني: إتمام العقد، والملامسة، والجماع.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يُؤۡمِنَّ﴾: بالله، واليوم الآخر، ويصدقن بمحمّد ﷺ.

﴿وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ﴾: الواو: استئنافية، اللام: لام التّوكيد، الأمَة خلاف الحرة «المملوكة الرقيقة»، وهي مؤمنة بالله ورسوله.

﴿خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ﴾: أفضل من حرة مشركة، وإن كانت ذات جمال، ومال.

﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾: الواو: حالية «توكيد»، لو: شرطية.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النّاهية.

﴿تُنكِحُوا﴾: الخطاب إلى أولياء النّساء؛ أي: لا تزوِّجوا نساءَكم المؤمنات للكفار أبداً.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يُؤۡمِنُواْ﴾: بالله ورسوله؛ أي: يُسلموا ويدخلوا في الإسلام.

﴿وَلَعَبۡدٞ﴾: الواو: استئنافية، اللام في لعبد: لام التّوكيد.

﴿مُّؤۡمِنٞ﴾: بالله ورسوله.

﴿خَيۡرٞ﴾: أفضل من مشرك.

﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾: أعجبكم في المال، والنّسب وغيرها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: أولئك: اسم إشارة، للبعد يفيد دنوَّ منزلتهم، وتحقيرهم، وتشير إلىٰ أهل الشّرك، المشركات والمشركين يدعون إلىٰ الكفر، فحقهم أن لا يوالوا، ولا يصاهروا، والنّون في يدعون للتوكيد.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾: يعني: المؤمنون أولياء الله يدعون إلىٰ الجنة، أو الله يدعو علىٰ لسان رسوله إلىٰ الجنة.

﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾: أي: التّوبة، والتّوبة تؤدي إلىٰ المغفرة.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادته، وتوفيقه للعمل الّذي يستحق به الجنة والمغفرة. ارجع إلىٰ الآية (٢٥٥) لمزيد من البيان.

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ﴾: يوضح آياته، وأحكامه.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاستحقاق.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: للتعليل.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: ليتذكروا أوامر الله ونواهيه.

[٢٢٢] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾:

هذا هو السّؤال الثالث الّذي سُئل عنه رسول الله ﷺ في زمن واحد. سئل ماذا ينفقون، وسُئل عن اليتامىٰ، وعن المحيض.

وإضافة الواو إلىٰ كلمة يسألونك: تدل علىٰ أنهم يسألون رسول الله عدَّة أسئلة، وهم أمامه، وفي آن واحد.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢١٥) للبيان.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾: أي: يسألونك عن الجماع أثناء المحيض.

والمحيض: يطلق علىٰ سيلان الدم، ويراد به مكان الحيض، ويراد به زمن الحيض.

﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: تعريف الأذىٰ: هو الضرر، أو ما يكره من كل شيء.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد، يعود علىٰ الجماع.

﴿أَذًى﴾: بصيغة التعميم بأنّ الأذىٰ يصيب الرجل والمرأة.

إذن: أذىٰ هنا لا تعود إلىٰ الحيض بذاته، وإنما تعود علىٰ الجماع أثناء الحيض.

حيث يتساقط الغشاء المخاطي للرحم ؛ مما يؤدي إلىٰ سيلان الدم. وبالتالي يصبح الرحم كالجرح.

﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾: الفاء: للتأكيد، ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟﴾: أي: تجنبوا الجماع، أو الوطء في المحيض.

﴿فِى ٱلْمَحِيضِ﴾: في: ظرفية (زمانية ومكانية)، زمن الحيض، ومكان الحيض.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: النّاهية؛ لزيادة التّوكيد.

﴿تَقْرَبُوهُنَّ﴾: تفيد التّوكيد علىٰ عدم الجماع في المحيض، والأهم من ذلك لا تقربوهن، فالاعتزال لا يكفي، بل لا تقربوهن.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ أي: حتّىٰ ينقطع دم الحيض، وتغتسل المرأة.

﴿يَطْهُرْنَ﴾: ينقطع دم الحيض (أو النفاس).

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: استئنافية، إذا: شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: ﴿تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلن (الاغتسال من الحيض).

إذن: يطهرن أولاً، ويتطهرن ثانياً؛ أي: ينقطع دم الحيض أولاً (فذاك طهر)، وثانياً يتطهرن بالاغتسال بالماء (فذلك تطهر)، فإذا انقطع الحيض لا تحل حتّىٰ تغتسل، إذن الشرطان معاً.

﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية، ﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان.

﴿أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: أي: بالقبل (الفرج)، وليس في الدُّبر.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾: جمع تائب: التوابين من الذنوب، والتوابين جملة اسمية تدل علىٰ أنّ التوبة أصبحت سمة ثابتة في فيهم، ووطء المرأة في الحيض لا كفارة له إلّا التوبة، والاستغفار، وعدم العودة إليه.

﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: بالغسل بالماء، ومن الحدث الأصغر والأكبر.

وتكرار كلمة يحب؛ للتوكيد، ولفصل التوابين عن المتطهرين، فالله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب كليهما معاً.

والحكمة من اعتزال النّساء في المحيض إضافة إلىٰ الناحية الطبية، وتجنب الالتهابات والآلام الّتي تصيب الأنثىٰ، والذكر هناك مراعاة للحالة النفسية للمرأة في هذه الفترة.

ولا حرج في الإحسان إلىٰ الزوجة في هذه الفترة ورعايتها، والعطف عليها،

ولا بد من طاعة الله فيما أمر، فاعتزال النّساء أمر تعبُّدي ـ والصبر، والتحكم في النفس والشهوة، أمر مهم في تربية النفوس التربية الإيجابية ـ، ولا يعتبر الحيض عقاباً للمرأة، بل هو في الحقيقة إكرام لها. . . فتبارك الله أحسن الحاكمين.

ولا بد في هذه المناسبة من المقارنة بين ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، و﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]:

المتطهرين: تعني: (الطهارة البدنية بالوضوء والغسل)؛ أي: يكتسب الطهارة بالوضوء والغسل.

المطهرين: تعني: (الطهارة القلبية من النفاق، وأمراض القلب، وقد تشمل معنىٰ الطهارة البدنية).

وعندما يتطهر الإنسان الطهارة البدنية والقلبية قد يصبح في هذه الصفة كالملائكة المطهرين الّذين وصفهم الله في سورة الواقعة آية (٧٩): ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾؛ أي: الملائكة، والله أعلم.

[٢٢٣] ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿نِسَآؤُكُمْ﴾: أزواجكم.

﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾: موضع حرثكم كالأرض الّتي تُستنبت، وهذا هو منتهىٰ الأدب الرباني؛ حيث شبه النّساء بالأرض الّتي تُحرث لتنبت الزّرع، والمرأة منبت الولد.

﴿لَّكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾: أي: جامعوا في القبل، أو مكان الإنبات، والنّسل.

﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾: كيف شئتم، من أين شئتم.

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾: كالتسمية قبل الجماع، وبالقول كما علمنا رسول الله ﷺ: «اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني» كما جاء في البخاري عن ابن عباس؛ أي: اجعلوا غاية الجماع إنجاب الأولاد الصالحين؛ الّذين يدعون لكم في ظهر الغيب بعد انقطاع عملكم، وبعد الموت.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله، ورسوله فيما أمر، ولا تقربوا ما نهىٰ عنه، وتجنبوا غضبه وعصيانه.

﴿وَاعْلَمُوا﴾: علم اليقين، ﴿أَنَّكُم﴾: أن: للتوكيد، ﴿مُّلَاقُوهُ﴾: بعد البعث في يوم القيامة، فيجازيكم علىٰ أعمالكم، وتزودوا بالتقوىٰ، واحذروه.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالجنة، وحسن الثواب.

﴿وَبَشِّرِ﴾: من البشارة، ارجع إلىٰ الآية (٢٥) من سورة البقرة للبيان.

[٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

المناسبة: في الآية السابقة، قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: ومن التّقوىٰ ألا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا﴾: الواو: استئنافية، لا: النّاهية، ﴿تَجْعَلُوا﴾: من الجعل، والجعل من أفعال القلوب، وتعني التصيير.

﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾: العُرضة: المانع والحاجب، ﴿لِّأَيْمَانِكُمْ﴾: الأيمان: جمع يمين، وهو الحلف بالله؛ أي: لا تجعلوا الحلف بالله، أو اليمين بالله مانعاً لفعل الخير، أو تقولوا؛ لأني حلفت بالله، أو أقسمت بالله لن أساعده،

أو أنفق عليه؛ لأنه فعل كذا، وكذا، أو لا يستحق، كما فعل أبو بكر ﷺ حين حلف ألا ينفق على ابن خاله مسطح؛ لأنه خاض في حديث الإفك؛ أي: لا تجعلوا اليمين حاجباً، أو مانعاً من فعل الخير، والبر، والتقوى.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿تَبَرُّوا۟﴾: من البر، والبر: هو الخير الواصل إلى الغير مع القصد، والبر: اسم جامع لكل خير.

﴿وَتَتَّقُوا۟﴾: أي: تزدادوا تقوى، والتقوى: هي طاعة الله فيما أمر به، أو نهى عنه.

﴿وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: إصلاح ذات البين بحل الشقاق، والخلاف بين النّاس. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: سميع لأقوالكم، وأيمانكم، وما تقولونه في السر والعلن، وما يقوله كل ما في السموات والأرض.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأفعالكم، وأحوالكم، وشؤونكم، لا تخفى عليه خافية.

فهذه الآية تنهى عن كثرة الحلف بالله حقاً، وتجنب الحلف بالله باطلاً، ارجع إلى سورة المائدة، آية (٨٩) لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ
قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ
أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنۡ عَزَمُواْ
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ
أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ
فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن
تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ
بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٢٥ - ٢٣٠]

[٢٢٥] ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾:

المناسبة: الآية السابقة لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم فجاءت هذه الآية؛ لتبين أنواع الأيمان، منها اللغو في الأيمان، ومنها الأيمان المتعمَّدة؛ أي: بنية وقصد.

﴿لَّا﴾: النّافية.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾: لا يعاقبكم الله بالكفارة على اللغو في أيمانكم.

﴿وَلَـٰكِن﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿يُؤَاخِذُكُم﴾: يعاقبكم بالكفارة، أو يلزمكم الكفارة.

﴿بِمَا﴾: بما: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الّذي، أو مصدرية.

﴿كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ كسبت: الكسب هو جلب النفع أو دفع ضرر. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٨٦) للبيان المفصل؛ أي: بما نوت قلوبكم، وتعمدت من الأيمان؛ لأنه لم يعد مجرد لغو، وفي الآية (٨٩) من سورة المائدة: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾، مثل اليمين الغموس، أو أن يحلف العبد متعمداً الكذب؛ لغاية ما، وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: قد تشمل بما عقدتم الأيمان.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم، وغفور: صيغة مبالغة تعني كثير المغفرة، وهي ستر الذنوب، والعفو عنها.

﴿حَلِيمٌ﴾: لأنه لا يعاقبكم مباشرة، بل يؤخر العقوبة؛ لكي يتوب العبد، ويعفو عنه.

لم يبيِّن الحق سبحانه في هذه الآية ما هي الكفارة (كفارة اليمين)، ولكنه بيَّنه في سورة المائدة، آية (٨٩) فقال تعالىٰ: ﴿فَكَفَّارَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.

[٢٢٦] ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

المناسبة: هذه الآية تتحدث عن نوع من الأيمان خاص بالّذين يؤلون من نسائهم.

﴿لِّلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: خاص بالّذين يؤلون من نسائهم.

﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾: يؤلون من ألىٰ؛ أي: حلف، أو أقسم، والإيلاء: يعني الابتعاد؛ أي: لهؤلاء الّذين يحلفون أن لا يقربوا نساءَهم بالوطء؛ أي: الجماع.

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: التربُّص هو التلبث في الانتظار، وفيه معنىٰ المتابعة، والملاحظة؛ أي: حدد الله المدَّة القصوىٰ للإيلاء أربعة أشهر (مقارنة بإيلاء أهل الجاهلية السنة، والسنتين، أو أكثر من ذلك، والسبب في الإيلاء الطويل الزمن هو أنّ الرجل لا يريد زوجته، ولا يحب أن يطلقها فيتزوَّجها غيره، ويتركها هكذا

لا أيماً، ولا ذات بعل، فجاء الله سبحانه بهذا الحكم النهائي أربعة أشهر، فإما الفيء، وإما الطلاق.

﴿فَإِن﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿فَآءُو﴾: رجعوا في هذه المدَّة عما حلفوا عليه، فاؤوا: من فاء؛ أي: رجع. رجعوا إلىٰ نسائهم بالوطء؛ أي: الجماع، وإن كان الزوج مريضاً، أو مسافراً، أو مسجوناً. قال جمهور العلماء: الفيء يكون باللسان، أو القلب.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء: للتوكيد، وإن لزيادة التّوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: غفور لهم علىٰ ما حلفوا عليه، وغفور لهم علىٰ ظلمهم، والضرر الّذي ألحقوه بأزواجهم.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم بأن حدد لهم الزمن، أو الكفارة، والفيء.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية تفيد الشك، أو الاحتمال، أو قلة الحدوث؛ أي: إن حدث ذلك.

﴿عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾: العزم: الإرادة علىٰ فعل الشّيء مع وجود القوة، والقدرة علىٰ ذلك؛ أي: تنفيذ الطلاق.

والعزم يكون في القلب، أو أن يؤمر الزوج بأن يطلق زوجته؛ فإن لم يطلقها طلقها الحاكم، واختلف الفقهاء في نوع الطلاق هنا، هل هو طلاق رجعي، أم طلاق بائن.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: سميع لأقوالهم، وشهيد علىٰ أيمانهم، يعني: عليم بنياتهم، وبعزمهم، وما يدور في عقولهم، أو تحدثهم به أنفسهم. ارجع إلىٰ الآية (٢٤٠) لمزيد من البيان.

انتبه: إذا كان الهجر من دون حلف، فليس ذلك إيلاء، وليس عليه كفارة.

[٢٢٨] ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾: الواو: استئنافية، المطلقات: جمع مطلقة، والطلاق مأخوذ من الإطلاق، وهو الترك، أو الإرسال.

والطلاق في الشّرع: حل عقدة النكاح (حل رابطة الزواج).

والطلاق: لا يقع إلّا علىٰ المرأة إذا كانت مُحلاً له.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: التربص: هو التلبث، والانتظار، ارجع إلىٰ الآية (٢٢٦).

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: الباء: باء الإلصاق.

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾: القُرء: هو الحيض، وأصل القرء هو اجتماع الدم في الرحم ثلاث حيضات لمعرفة براءة الرحم، وهناك من يطلق القرء علىٰ الطهر الّذي بين الحيضتين؛ أي: ثلاثة أطهار.

وحيضة واحدة تكفي لمعرفة براءة الرحم، ولكن الله سبحانه أراد ثلاث حيضات لحكمة قد تكون لإعطاء الزوجين زمناً كافياً؛ لكي يتراجعا.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾:

﴿لَا﴾: النّاهية، ﴿لَهُنَّ﴾: اللام: لام الاختصاص، ﴿أَن﴾: للتعليل، والتوكيد.

﴿يَكْتُمْنَ﴾: إذا كنَّ ذوات حمل، أو حيض؛ لأنّ كلا الأمرين الحيض والحمل مسائل خفية، لا تعلمها إلَّا المرأة نفسها، والتصريح بها يعود إلىٰ إيمان المرأة.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾: سواء أكان الحمل، أم دم الحيض، فهو نوع من الخلق.

﴿إِن كُنَّ﴾: إن شرطية تحمل معنىٰ الاحتمال، أو الشك، أو القلة.

﴿يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾: لأنّ من يؤمن بالله، واليوم الآخر لا يجترئ علىٰ مثل هذا الإثم؛ أي: تقول: أنها حامل، وهي غير حامل، أو بالعكس، أو تتلاعب بزمن العدَّة.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: البعل: هو الزوج، والسيد، والمالك.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: في أثناء فترة التربص (ثلاثة قروء)؛ أي: زمن العدَّة قبل انقضاء الثّلاثة قروء.

أي: الزوج أحق برد زوجته إلىٰ عصمته إذا عدل عن رأيه وشعر بالمحبة بعد المفارقة، وليس الحق لولي الزوجة كالأب، أو الأخ بعدم الرد.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: على شرط عدم الإضرار بها، أو الظّلم.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: في: ظرفية زمانية، ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة تشير إلى ثلاث حيضات (أو العدَّة).

﴿إِنْ﴾: شرطية، ﴿أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾: بالعودة كلٌّ للآخر، وحسن المعاشرة، وعدم الإضرار، وإرادة الخير، وتقويم العوج.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾: ولهن اللام لام الاختصاص، والاستحقاق؛ أي: لهن من الحقوق والواجبات على الزوج كما للزوج عليهن من الواجبات والحقوق، والكل يجب أن يتحمل مسؤوليته بما في ذلك المعاشرة الحسنة.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: شرعاً. والمعروف: كل ما كان فعله جميلاً مستحسناً غير مستقبح.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: هي درجة القوامة، والقوامة لا تعني الظّلم، والتسلط، بل هي مسؤولية التكليف في الإنفاق.

﴿وَلِلرِّجَالِ﴾: اللام: لام الاستحقاق، وأيهما أفضل الزوج، أم الزوجة؟ إنما يعود ذلك إلى درجة التّقوى عند كل منهما.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: القوي الغالب الّذي يجب أن يطاع فيما أمر، أو نهى عنه، والذي لا يُقهر، والممتنع.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما شرعه لخلقه، وحكيم من الحكمة فهو أحكم الحكماء،

وحكيم؛ لأنه هو الحاكم، والمالك، فهو أحكم الحاكمين. ارجع إلىٰ الآية (١٢٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

فعدة المطلقة عن زوجها: ثلاثة قروء.

وعدة المطلقة الحامل: أن تضع حملها.

وعدة المطلقة اليائسة: ثلاثة أشهر.

[٢٢٩] ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

الطلاق: هو حل عقدة النكاح؛ الّتي جعلها الله سبحانه ميثاقاً غليظاً؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [النساء:٢١].

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾: قيل: مرتان تعني: الطلاق الرجعي مرتان (الّذي فيه الرجعة)؛ أي: الطلقة الأولىٰ، والثانية؛ إذ لا رجعة بعد الثالثة، وبعضهم أطلق علىٰ الطلاق الرجعي أسماء أخرىٰ يُفيد معرفتها، فالطلاق المشروع مرتان، أو الطلاق المسنون.

ومرتان: تعني يطلقها، ثم يردها، ثم يطلقها، ثم يردها؛ أي: يملك الزوج الإرجاع في مرتين.

كيف يكون الطلاق مرتين، والكل يعلم أنه ثلاثة؟ فالطلاق الرجعي مرتان،

والثالثة هي قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ (كما في الآية ٢٣٩)؛ أي: المرة الثالثة: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾.

﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾: الفاء: تفيد الترتيب، والتعقيب.

أي: من طلق للمرة الثّانية فهو أمام خيارين:

الأول: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾: بعد المراجعة الثّانية. بمعروف: من أداء الحقوق، وحسن الصحبة، والمعروف: هو كل ما كان فعله جميلاً مستحسناً غير مستقبح. فإمساك وتسريح مصادر مرفوعة ورفعها يدل على العموم والثبوت كما جاء في (معاني القرآن)؛ أي: هذه ليست أحكام موقوتة، وإنما أحكام دائمة.

الثّاني: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾: هو أن يتركها بعد الطلاق الثّاني حتّى تنقضي عدتها، ويسرحها آنذاك بإحسان، والإحسان: واجب؛ أي: يحسن إليها، ولا يظلمها، أو يجرها إلى المحاكم، وغيرها.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾:

لا يحل لكم أن تأخذوا شيئاً من المهور، أو الهدايا، وغيره إذا تم الطلاق.

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: حقوق النكاح، وحسن المعاشرة، وعدم النشوز، أو البغض، والإحصان.

فإذا خاف الزوج أنه لن يقيم حدود الله، وعلم أنّ النشوز سيكون من قبله، وهو السبب، أو أنه سوف يعتدي عليها، ويسيء معاملتها فعندها يسرحها، ولا يأخذ شيئاً مما آتاها.

وإذا خافت الزوجة أنها لن تقيم حدود الله، وأنّ النشـــوز سوف يكون من قبلها، أو هي تبغضه، وهو يحبها، وهو قائم بحقوق الزوجية، ولكنها هي السبب، وأنها لا تستطيع إصلاح ذلك عندها تطلب الخلع.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتأكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك، ولو استعمل إذا لكان حتماً سيقع ذلك.

﴿خِفْتُمْ﴾: الخطاب موجه إلىٰ الأولياء، والحكام لغير الزوجين؛ الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه ولم يقل فإن خافا.

﴿أَلَّا﴾: تضم أن المصدرية: للتعليل، والتوكيد، ولا: النّافية.

﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: تكرار كلمة حدود الله؛ للتأكيد علىٰ إقامة حدود الله، وهي أحكامه، وشرائعه؛ أي: يعتدي أحدهما علىٰ الآخر بالنشوز وغيره.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فلا إثم، ارجع إلىٰ الآية (١٩٨) للبيان. واســتعمل لا جناح بدلاً من ليس عليكم جناح؛ لأنها أشد، وأقوىٰ، وأثبت في النفي من ليس عليهما.

﴿عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾: لا إثم علىٰ الزوجــة أن تطلب الخلع، ولا إثم عليه أن يخلعها.

وقيل: إنّ عليهما؛ تعني: الزوج؛ أي: فلا جناح عليه أن يأخذ من الزوجة ما أعطاها إياه كمهر، أو هدايا، أو غيرهــا ـ وبما افتدت به ـ (به تعود علىٰ الخلع)، وقال بعض الفقهاء: ويجوز للزوج أن يأخذ زيادة عما أعطاها إياه، ولكنه مكروه.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: تلك أوامر وأحكام الله في الطلاق، والخلع الّتي أمركم بها، أو نهاكم عنها فالتزموا بها قولاً وفعلاً، ولا تخالفوها، ولا تتجاوزوها. ارجع إلىٰ الآية (١٨٧) لبيان تلك حدود الله فلا تقربوها (التي تستعمل في المحرمات)، وتلك حدود الله فلا تعتدوها (التي تستعمل في سياق أحكام الحل والحرام).

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية، ﴿يَتَعَدَّ﴾: يتجاوز ما أحله الله إلىٰ ما حرمه، أو بالعكس، أو ما أمر به إلىٰ ما نهىٰ عنه.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، ودنوا منزلة الّذين يتعدون حدود الله.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: إذا كان هناك ظالمون فهم في طليعة الظالمين (للمبالغة): لأنفسهم ولغيرهم. ارجع إلىٰ الآية (٥٤) من سورة البقرة.

[٢٣٠] ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية تفيد الندرة، أو القلة.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: للمرة الثالثة فعل ماض، وجاء به؛ لأنه لا يتكرر، ولم يقل: إن يطلقها، فلا تحل له بعد حتّىٰ تتزوج بزوج آخر يدخل بها؛ أي: يتزوجها؛ لأنّ الطلاق بعد ثالث مرة لا يتكرر.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: أي: الزوج الآخر، فإن شرطية تفيد الندرة، أو الاحتمال.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾؛ أي: لا إثم عليهما؛ أي: الزوج الأول، والمرأة (زوجته السابقة) الّتي طلقها ثلاثاً سابقاً، وبعد ذلك تزوجت من زوجٍ آخر، ثم طلقها الزوج الآخر:

﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾: يرجع كل واحد منهما لصاحبه، ويجب عليهما عقد زواج جديد، ومهر جديد.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال، والشك.

﴿ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: أن يؤديا حدود الله؛ أي: أحكامه وشرائعه في الزواج الجديد.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: وتلك أحكام وشرائع الله يبينها.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: أهميتها وقدرها، ويعلمون أنّ مصلحتهم في تطبيقها وإقامتها، والعمل بما جاء بها.

❖ ❖ ❖

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

نصف الحزب ٤

سورة البقرة [الآيات ٢٣١ - ٢٣٣]

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: استئنافية، إذا: ظرفية للمستقبل شرطية تفيد حتمية الحدوث؛ أي: انتهاء العدَّة.

﴿طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: الأجل هنا: زمان العدَّة، وهو ثلاثة قروء.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: أي: مرتان، كما قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾: وهذا يسمى الطلاق الرجعي.

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: قرب الأجل؛ أي: انتهاء مدَّة العدَّة، ولا زال هناك زمن قليل، والعدَّة لم تنتهِ بعد.

في هذه الآية يعود رب العالمين ليذكر الزوج الّذي طلق زوجته، وهو ينتظر انتهاء العدَّة (ثلاثة قروء) يذكره إما إمساك بمعروف، أو تسريح بمعروف.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: أرجعوهن قبل انقضاء عدتهن بمعروف؛ أي:

هذه هي آخر فرصة لك فكأنّ الله الحق يريد من الزوج التمسك بزوجته، والعودة إليها، وإبقاء الحياة الزوجية.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: الباء: للتأكيد، ومعروف: جاءت نكرة؛ أي: معروف من حسن المعاشرة، والصحبة الصالحة، أو أي: معروف، والمعروف قد تفعله وأنت محب أن تفعله، وهذا يرتقي إلى درجة الإحسان، أو قد تفعله وأنت غير محب له أو بشكل عادي، وهذا يسمى معروفاً.

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: خلوا سبيلهن، ولا تطيلوا عليهن العدَّة بقصد الظّلم.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾: الواو: عاطفة، لا: النّاهية، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾: لا ترجعوهن زوجات لكم.

﴿ضِرَارًا﴾: لكي تضاروهن بالانتقام منهن، والضرار يعني: أن تصنع شيئاً في ظاهره الخير، وتبطن الشر، مثل: إذلال المرأة، والانتقام منها.

﴿لِّتَعْتَدُوا﴾: اللام: للتعليل، والتوكيد، تعتدوا: لكي يؤدي ذلك إلى طلب المرأة الخلع، والافتداء بعد الإمساك.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية، ﴿يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: يعتدي بالإمساك، ثم يطلب الخلع، ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم: إشارة يفيد البعد والذم.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، وقد: للتحقيق، وزيادة التّوكيد.

﴿ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾: بالإثم الّذي قد يوجب العقاب، وسخط الله، فقبل أن يظلم زوجته؛ فقد ظلم نفسه.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النّاهية.

﴿تَتَّخِذُوٓاْ﴾: اتخذ من أفعال التحويل، والتصيير.

﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾: أي: بما أنزل الله في الكتاب، فمرة تُطلق، ومرة تُراجع من دون مراعاة ما شرع الله، وتطبيق أحكامه.

﴿هُزُوًا﴾: عبثاً، أو تعني: الاستخفاف بآيات الله ﷻ.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإسلام، والقرآن، والإيمان، والفقه في الدِّين، والهداية بعد ما كنتم في الجاهلية تسبحون في الضلالات، وكنتم تطلقون المرأة مرات عديدة، وتتركونها كالمعلقة، وتظلمونها.

﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾: من الآيات، والأحكام الشرعية المذكورة في القرآن، والحكمة (الفقه في السنة الشريفة).

﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾: يوصيكم به، وينصحكم بالطاعة، ويحذركم منه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أطيعوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، واحذروه.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: علم اليقين.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: ﴿أَنَّ﴾: للتوكيد، ﴿ٱللَّهَ بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق، ﴿شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة كثير العلم.

عليم بما تعملون من أقوال، وأفعال، وعليم بالّذين يستهزئون بآيات الله، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة، وعليم بنواياكم الحسنة، والسيئة، وما تكنُّ الصدور من خير وشر.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

﴿طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: بلغن الأجل الحقيقي (انتهت العدَّة)؛ أي: طلق الزوج، وانتهت العدَّة بينما في الآية السابقة، كما ذكرنا: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: طلق الزوج، ولكن العدَّة لم تنته بعد، ولكن قاربت علىٰ الانتهاء.

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: انتهت العدَّة بعد الطلقة الثّانية، ولم يستنفد الزوج مرات الطلاق (الثّلاثة).

فليس للزوج حق أن يراجع، أو يعود إلىٰ زوجته الّتي طلقها مرتين؛ إلّا بعد عقد، ومهر جديدين؛ أي: إذا طلق الزوج زوجته مرتين، وانتهت العدَّة، ولنفرض أنّ الزوج يريد أن يعيد زوجته إلىٰ عصمته مرة أخرىٰ، فلا يجب علىٰ الأهل أن يتدخلوا، ويمنعوا ذلك بالعضل.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّاهية.

﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: العضل: المنع مع التضييق والشدة؛ أي: لا تمنعوهن أن

يرجعن إلىٰ عصمة أزواجهن باستخدام أساليب الترهيب والشدة والتهديد والوعيد إذا أردن الرجوع إلىٰ أزواجهن.

والخطاب موجه إلىٰ الأهل والأقارب بعدم العضل.

وأصل العضل: من قولهم عضلت الناقة؛ أي: احتبس ولدها، وهي تحاول الولادة، وعضلت الدجاجة: نشب بيضها فلم يخرج بسهولة، والداء العضال الذي لا يرجىٰ شفائه، أو صعب المعالجة.

شبه التقلصات العضلية المؤلمة بمحاولات منع الأهل والأقارب الزوجة من العودة إلىٰ زوجها.

﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أي: تراضىٰ الزوجان بالنكاح الصحيح (عقد جديد، ومهر جديد).

﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد يشير إلىٰ نهي الولي، أو الأقارب عن العضل؛ أي: المنع، ولم يقل ذلكم، وقال ذلك؛ لأنّ النهي للجماعة؛ كالنهي الواحد يحمل نفس المعنىٰ. مقارنة بقوله تعالىٰ في سورة المجادلة آية (٣) في سياق الظهار ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فالله سبحانه أكد الوعظ وشدد علىٰ منع الظهار، بينما في آية البقرة: جاءت في سياق العدول عن الطلاق والتراضي بين الأزواج.

﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾: أي: يوصىٰ به، وينصح به بعدم المنع.

﴿مَن﴾: استغراقية.

﴿كَانَ مِنكُمْ﴾: الخطاب موجه إلىٰ النّبي ﷺ وأمته.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾:

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: بدلاً من ذلك؛ للتعظيم، والتوكيد، ذلكم: اسم إشارة؛ يعني: رد النّساء إلىٰ أزواجهن أفضل من التفريق، والطلاق.

﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾: أفضل وأطيب.

﴿وَأَطْهَرُ﴾: لقلوبكم من الريبة، والوقوف في وجه المرأة الّتي تريد العودة إلىٰ زوجها، فربما لا زال هناك حنان ومودَّة بين الزوجين.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: يعلم ما في قلوب وعقول العباد، ويعلم نواياهم، وما فيها من حب ومودَّة، ويعلم ما تخفي الصدور.

ويعلم ما ينفعكم، وما يضركم عاجلاً، أو آجلاً.

يعلم الغيب، وأنتم لا تعلمون، وما دام سبحانه عالم بالغيب والشهادة؛ فيجب التسليم له، وقبول شرعه وموعظته.

لنقارن هذه الآية (٢٣٢) من سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾.

مع الآية (٢) من سورة الطلاق: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

الخطاب في آية البقرة: موجه إلىٰ أهل، وأقارب المطلقة بعدم العضل؛ أي: المنع.

أمـــا في آية الطلاق: الخطاب معلوم، ومفهوم من بداية ســـورة الطلاق أنه موجَّه إلـــىٰ النّبي والمؤمنين؛ لقوله تعالـــىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾، فلا داعيَ لذكر منكم في آية الطلاق.

واستعمل (ذلك) في آية البقرة؛ لأنّ الحديث عن المنع هو أمر واحد.

بينمـــا في آية الطـــلاق الحديث عن الطلاق فاســـتعمل ذلكـــم؛ للأهمية، والتوكيد، ولكون الآية في ســـياق عدَّة أمور، وليس أمـــراً واحداً؛ مثل: الطلاق، وإحصاء العدَّة، وعدم إخراجهن من بيوتهن. . . .

[٢٣٣] ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: بعد الطلاق؛ لأنّ الطلاق يورث الشقاق بين الرجل والمرأة.

اختلف الفقهاء في معنىٰ الوالدات في هذه الآية.

فمنهم من قال: الوالدات المطلقات.

ومنهم من قال: الوالدات المتزوجات في الحالات العادية.

ومنهم من قال: تشمل كل الوالدات؛ سواء كنَّ متزوجات، أم مطلقات.

وأحكام المطلقة الحامل سيأتي ذكرها في سورة الطلاق.

﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾: أصلها ليرضعن أولادهـــن، وأخرج الأمر في صورة الخبر.

لأنّ إرضاع الولد من حليب الأم أصلح للولد، وللأم، وقد بينت الدراسات الطبيـــة: أنّ حليـــب الأم فيه عوامل مناعيـــة أفضل للطفل، وكذلـــك العلاقات والروابط بين الأم والطفل تكون أقوىٰ، والإرضاع له فائدة عظيمة للأم؛ لأنه يقلل من حوادث سرطان الثدي، ولم يقل علىٰ الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين؛ لأن الوالدات لسن مكلفات شرعاً بالإرضاع.

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: الحول هو الســـنة، ولماذا استعمل كلمة الحول بدلاً من السنة، أو العام.

لأنّ كلمة الحول من حال، يحول؛ أي: يمنع، تســـتعمل للحدث المستمر بلا انقطاع؛ كما يحدث في الطلاق، والموت يحولان بين الزوج وزوجته بشكل مستمر، والإرضاع يكون بلا انقطاع؛ لذلك يستعمل القرآن كلمة الحول في هذه الحالات فقط؛ أي: الطلاق، والموت، والإرضاع لتناســـب الكلمة المعنىٰ؛ لأنّ الإرضاع يستمر بعد العام الأول إلىٰ العام الثّاني، والمتاع مستمر من دون انقطاع.

﴿كَامِلَيْنِ﴾: للتوكيد.

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾: جاء بهذه الآية بعد الحولين للتسيير والتخفيف قائلاً: إرضاع الحوليـــن ليس حتماً، ويجوز الإرضاع أقل مـــن الحولين، إذا تم الاتفاق بين والدي الطفل الرضيع.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: على: تفيد العلوية والمشقة.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾: لم يقل على الوالد ليُعلم أنّ الوالدات إنما ولدن لهم؛ لأنّ الأولاد للآباء، ولذلك ينســبون إلى آبائهم، وكذلك المولود له قد يكون له أكثر من زوجة فلكي يعلم من هي الزوجة التي ولدت.

﴿لَهُۥ﴾: اللام: لام الاستحقاق.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾: أي: مســؤولية الإنفاق على الوالد، وليســت على الأم، وللدلالة على الزوجة الّتي ولدت له إذا كان للمولود له عدَّة زوجات.

﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: رزق الأم الّتي ترضع، وكسوتها، وكذلك رزق، وكسوة المولود؛ أي: الطعام، واللباس، والسكن.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بما تعارف عليه الشّــرع من غير تفريط، ولا إفراط، وتفسير بالمعروف مذكور في الآيات التالية.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: قدر الميسرة؛ أي: الإنفاق قد يكون على قدر غنى الزوج.

الوسع: أعلى درجات القدرة.

ومن الطبيعي أن تكون نفقة المولود (الطعام، واللباس، وما يحتاجه) على المولود له.

أما بالنسبة للإرضاع: هل يجب على الأم إرضاع ولدها؟

قال الإمام مالك: يجب، والرضاع واجب على الأم في حالة الزوجية، أما المطلقة: فلا رضاع عليها، والرضاع على الزوج، ولكنها هي أحق بإرضاع ولدها إذا أرادت، ولها أجر على ذلك (دنيوي مادي من قبل المولود له، وأخروي).

أما الجمهور: فالإرضاع ليس بواجب على المرأة المطلقة، وإنما هو مندوب، وإذا لم يقبل غير ثدييها في هذه الحالة، فيجب على الأم أن ترضع ولدها، أو إذا كان الوالد عاجزاً عن استئجار ظئر مرضعة، أو كان قادراً على الإنفاق، وعنده المال، ولكن لم يجد مرضعة.

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾:

﴿لَا تُضَآرَّ﴾: لا: النّاهية، أو النّافية، ﴿تُضَآرَّ﴾: لها عدَّة احتمالات من حيث البناء للمعلوم، والمجهول، والإعراب. والنتيجة: هي أنّ كلمة لا تضار: تشمل ثلاثة معانٍ لا تضار الوالدة بولدها، ولا يضار الوالد بولده، ولا يضار الولد الطفل الرضيع أيضاً.

والخطاب موجَّه إلى الوالد (المولود له)، والوالدة المطلقة الّتي لها ولد.

فلا يُضار أحدهما الآخر، لا تَضر ولا تُضر، ولا يُضر المولود أيضاً.

١ - ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾: الباء: باء السببية، أو البدل؛ أي: لا تُضار والدة

بسبب ولدها؛ كأن يمنعها ما تستحقه من الرزق والكسوة، والإنفاق عليها، وعلىٰ المولود، فلا يتركها تسأل النّاس من أجل رزقه وكسوته.

٢ - ولا يأخذ الطفل، وهي تريد إرضاعه (لحبها إياه).

٣ - ولا يكرهها علىٰ الإرضاع بأي شكل.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾: بأن تلقي إليه بولده، ولا يجد مرضعاً له، أو أن تطلب منه نفقة لا يستطيع عليها، أو لا ترضعه نكايةً وانتقاماً من الزوج، أو تفضحه أمام النّاس.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: أي: في حالة موت والد المولود يصبح الّذي يتولىٰ رعاية المولود والإنفاق عليه هو الوارث الّذي يرث الوالد الّذي توفِّي.

والرضيع هنا يُعتبر يتيماً، ورعايته واجبة علىٰ من يرث الوالد المتوفَّىٰ، وعلىٰ الوارث أيضاً النفقة، والأجرة للأم المرضع، أو غيرها.

وقيل: الوارث هو أحد والدي الصبي الّذي بقي حيّاً (أمه، أو أبوه).

وقيل: الوارث هو الصبي نفسه، فتجب النفقة عليه، وعلىٰ إرضاعه من ماله الّذي ورثه إن كان له مال.

﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: تجنب الإضرار.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: تفيد الترتيب الذكري، إن: شرطية تحمل معنىٰ الاحتمال، أو الندرة.

﴿أَرَادَا﴾: الوالدان، ﴿فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾:

وهذا دليل على الحث على تشاور الوالدين فيما يؤدي إلى إصلاح الصغير، وتربيته.

﴿فِصَالًا﴾: الفصام: الفطام، هو عندها ينفصل الرضيع عن أمه، ويصبح قادراً على أكل الطعام غير حليب الأم.

أي: إن أرادا فطام ولدهما قبل الحولين، فلا مانع إذا اتفقا على ذلك، أو رضيت الأم المطلقة، والمولود له على جلب مرضع آخر.

﴿عَن تَرَاضٍ﴾: اتفاق بينهما، ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾: بينهما فيما يحقق مصلحة الولد.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: أي: لا إثم عليهما.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال والشك والقلة.

﴿أَرَدتُّمْ أَن﴾: حرف مصدري تفيد التعليل والتوكيد.

﴿تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾: أي: أن تأتوا للطفل بمرضعة، فلا إثم عليكم إذا لم ترض الأم بإرضاعه؛ لامتناع المولود له (أي: زوجها الّذي طلقها) عن دفع ما تطلبه الوالدة المطلقة، أو لأسباب أخرى.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا إثم عليكم. ارجع إلى الآية (١٩٨) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: أي: إذا دفعتم للأمهات أجور ما أرضعن لكم قبل الامتناع، أو سلمتم إلىٰ الظئر أجرها.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بلا مماطلة، أو نقص بالذي أمركم به الشّرع، ومن دون ظلم، ومخالفة للشرع.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أطيعوا الله فيما أمركم به من الأحكام في الطلاق، والإرضاع.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: علم اليقين.

﴿أَنَّ﴾ للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: بما تقولون، وتفعلون.

﴿بَصِيرٌ﴾: أي: يراكم ويرىٰ أعمالكم، وحركاتكم، ولا تخفىٰ عليه خافية في السموات، ولا في الأرض، فليحذر الّذين يخالفون عن أمره وقدّم ﴿تَعْمَلُونَ﴾ علىٰ ﴿بَصِيرٌ﴾؛ لأنّ سياق الآيات في أعمال العباد.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

سورة البقرة: [الآيات ٢٣٤ - ٢٣٧]

[٢٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾: تقبض أرواحهم بالموت؛ أي: يموتون، أو تتوفاهم ملائكة الموت، وحذف الفاعل، وهو الله سبحانه.

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾: أي: يتركون أزواجاً، جمع زوج، أو زوجة؛ أي: زوجات، والزوج يطلق على الذكر والأنثى، ويسمى كل من الرجل والمرأة زوجاً؛ لأنّ كلاً منهما مكانه يشبه الآخر، وهنا تعني: الزوجة.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: التربص: هو الانتظار، والتربص: هو الانتظار الّذي يشعر فيه المنتظر بطول الزمن، أو طول الانتظار، ارجع إلى الآية (٢٢٦) من سورة البقرة.

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي: ليتربصن: لام التّوكيد (الأمر). والباء: للإلصاق، والتأكيد.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: وهي عدَّة المتوفَّى زوجها، هذا إن لم تكن حاملاً؛ فإن كانت حاملاً فعدتها أن تضع حملها، كما جاء في الكتاب والسنة: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤].

إذن: عدَّة المتوفَّىٰ زوجها (٤) أشهر وعشراً، وعليها التربص حتّىٰ انقضاء العدَّة، وتتضمن العدَّة: عدم التزين، والخروج إلىٰ الأسواق؛ إلَّا للضرورة، وعدم التعرض لأنظار الخطاب، والبقاء في بيت الزوجية.

والسؤال الأول: لماذا قال: عشراً، ولم يقل: عشرة؟

لأنّ العرب تقول: عشر ليالٍ، وعشرة أيام؛ فإذا أبهمت العدد غلبوا الليالي.

إذن هنا العدَّة أربعة أشهر وعشر ليالٍ.

السّؤال الثّاني: لماذا العدَّة هنا أربعة أشهر وعشراً، أما عدَّة المطلقة (٣) قروء ـ أو عدَّة من غير ذوات الحيض لصغر سنها، أو كبرها ثلاثة أشهر ـ مع العلم أنّ براءة الرحم تكون بثلاثة قرء، أو ثلاثة أشهر؟

الجواب: لأنّ المتوفَّىٰ عنها زوجها تحتاج إلىٰ وقت أطول لكي تهمد العاطفة الزوجية الّتي كانت بينها وبين زوجها المتوفَّىٰ ـ من حب وإخلاص ـ بعكس المطلقة الّتي عادة تكره زوجها، بل هذا اعترافٌ له بالفضل، واحترامٌ له، ولأهل الزوج، وقدسية الأسرة ـ خاصة إذا كان له أولاد ـ.

السّؤال الثالث: هل هذه الآية ناسخة لآية الحول البقرة (٢٤٠)، ولماذا سبقت هذه الآية آية الحول في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾؟

ذهب جمهور العلماء: أنّ هذه الآية ناسخة لقوله سبحانه: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ إذن العدَّة كانت حولاً كاملاً، ثم نسخ ذلك،

وأصبحت أربعة أشهر وعشراً، ولنعلم أنّ هذه الآية، وإن كانت متقدِّمة في القرآن، أو التلاوة على آية الاعتداد بالحول؛ إلَّا أنها نزلت بعد آية الاعتداد بالحول، فهذا يدل على أنّ ترتيب القرآن كما عليه الحال قد يخالف ترتيب النّزول.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: أتممن عدتهن وانتهت مدَّة التربُّص.

الأجل: هو المدَّة المضروبة (أي: المحددة)؛ لانقضاء الشّيء، وكل أجل مدَّة، وليس كل مدَّة أجلاً، والمراد به هنا: انقضاء العدَّة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فلا إثم عليكم، ولا جناح جملة اسمية أقوى بالنفي من الجملة الفعلية، وليس عليكم جناح.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾: من التزيُّن، والتعرُّض للخطاب بعد انقضاء العدَّة.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: المعروف هنا جاء على شكل معرفة بـ(أل): وهو الزواج، أو بالوجه الّذي يقرُّه الشّرع؛ أي: بعد انقضاء العدَّة (٤) أشهر وعشراً لا جناح عليكم فيما إذا تزوَّجن، والباء بالمعروف باء الإلصاق؛ أي: الزواج.

إذن بالمعروف: بالزواج.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي: تقولون، أو تفعلون: ﴿خَبِيرٌ﴾: ببواطن الأمور وظواهرها، وقدم تعملون على خبير؛ لأن سياق الآية

في العمل (التربص والعدة)؛ ارجع إلىٰ الآية (٢٤٠) من نفس السورة للمقارنة والبيان.

ثم يذكر الله سبحانه بعد عدَّة المتوفَّىٰ عنها زوجها كيف تتم الخطبة.

[٢٣٥] ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: نافية للجنس.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا إثم عليكم، ولا جناح عليكم: جملة اسمية تدل علىٰ الثبوت، وهي أقوىٰ من الجملة الفعلية ليس عليكم جناح؛ لأنها تدل علىٰ التجدُّد، والتكرار، ولم يقل: وليس عليكم جناح؛ ارجع إلىٰ الآية (١٥٨) من نفس السورة للبيان.

﴿فِيمَا﴾: في: ظرفية زمانية ومكانية، ما: اسم موصول، أو حرف مصدري.

﴿عَرَّضْتُم﴾: التعريض في خطبة المعتدة المتوفَّىٰ زوجها.

أي: المرأة لا زالت في عدتها (٤ أشهر وعشراً) بعد أن توفِّي زوجها عنها.

ما يباح هنا التعريض؛ أي: التلويح من دون تصريح.

كأن يقول: أنا أبحث عن زوجة، أنا رجل أعزب، أنا لا أحب الوحدة، وأحب أنّ أتزوج، هل تعلمين من يصلح لي، مهنتي كذا، وكذا.

﴿مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: خِطبة بكسر الخاء، وأصل الكلمة مشتقة من الخطب، والخطب هو الأمر العظيم، والخطبة أمر عظيم؛ لأنها ستؤدي إلىٰ عقد الزواج (الميثاق الغليظ).

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: لا إثم عليكم فيما أكننتم في أنفسكم، الإكنان: الإضمار في النفس من الرغبة في الزواج بها، أو العزم علىٰ إتمام عقد النكاح بعد انقضاء عدتها.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ﴾: للتوكيد، ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: أي: علم أنكم لا محالة ستبقون تتكلمون في رغبتكم بالزواج بهن، ولا يجوز إعلان ذلك للملأ حتّىٰ تنتهي العدَّة.

إذن يسمح لكم بالتعريض، ويسمح لكم أن تفكروا بهن وبذكرهن، والذي لا يسمح لكم أن تواعدوهن سراً.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: السر: لا يعلم به أحداً إلا صاحبه فقط والله سبحانه؛ فالتواعد سراً هذا غير مسموح به، أو تواعدوهن بالزواج، وهي لا زالت في زمن العدَّة، فلا لقاء سري، ولا خلوة بينكما، أو تقولوا لبعضكم بعضاً: هل تتزوجينني بعد انقضاء العدَّة، أو تقول: أنا أحبك، أو تأخذوا منهن وعداً، أو عهداً بالزواج منكم.

أو ينتهي الشيطان بكم إلىٰ أسوأ من ذلك إلىٰ المداعبة، أو التقبيل، وأخيراً الزنىٰ.

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء، ﴿أَن﴾: أنّ مصدرية بعد التعليل والتوكيد.

﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: أي: ما شرع لكم، وسمح لكم بالتعريض فقط.

﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: ناهية.

﴿تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾: العزم: التصميم على تنفيذ الأمر، أو القيام به مع القدرة والقوة على فعل ذلك؛ أي: ولا يسمح لكم بالقيام بعقد النكاح، ولا حتّى بالعزم على القيام به.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾: أي: تنقضي العدَّة.

والكتاب: المدَّة التي كتبها الله، وهي (٤) أشهر وعشراً.

إذن نفهم مما سبق: أن هناك ثلاث مراحل:

١ - مرحلة التعريض.

٢ - مرحلة العزم.

٣ - مرحلة العقد.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾: علم اليقين.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد، ﴿يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾: من العزم، والحب، وعدم الصبر.

﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾: أي: احذروا القيام بأي شيء يخالف شرع الله.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: التكرار: للتوكيد، والتحذير، واعلموا أنّ الله يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد، ﴿غَفُورٌ﴾: لمن يحذره، ويخافه، ويتقيه.

﴿حَلِيمٌ﴾: لأنه يمهل، ويؤخر العقوبة؛ لكي تتوبوا، ويغفر لكم. ارجع إلىٰ الآية (٢٢٥) من سورة البقرة.

[٢٣٦] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا إثم عليكم، ارجع للآية (٢٣٥) لمزيد من البيان.

﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك والقلة، ﴿طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: الطلاق: هو حل عقدة النكاح.

﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: ما: شرطية (إن لم تمسوهن)، أو ظرفية زمانية (مدة لم تمسوهن).

﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾: كنىٰ بالمس عن الجماع، والمس: هو أخف اللمس، وهو

مجرد لمس شيء بشيء، ولو لأقل جزء من الثّانية بحيث لا يتأثر بالممسوس، أو يدرك طبيعته.

أما اللمس: فهو التصاق شيء بشيء مع إدراك طبيعته، هل هو خشن، أو ناعم، أو حار، أو بارد.

﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي: تذكروا، أو تقدروا لهن مهراً.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أي: أعطوهن شيئاً إكراماً لهن من مال، أو هدية.

والمتعة: هي ما يعطيه الزوج من مال، أو كسوة، أو حلية للزوجة إكراماً لها، وتخفيفاً؛ لحدث الطلاق.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾: على الغني قدره: أي: المبلغ الّذي يُطيقه، أو يقدر عليه.

والموسع من أوسع، ويقال: أوسع الرجل: إذا كثر ماله وغناه.

﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾: على الفقير قدره؛ أي: المبلغ الّذي يُطيقه، أو يقدر عليه.

المقتر: من أقتر، يقال: أقتر الرجل إذا افتقر؛ أي: هو في ضيق من النفقة.

﴿مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: هذا المتاع هو ما تعارف عليه النّاس، أو المستحسن، وهو كل ما عرف حسنه في الشّرع، والباء بالمعروف: للإلصاق، ارجع إلى الآية (٢٢٨) من سورة البقرة.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: حقاً من باب الإحسان، والتطوع، وليس بواجب، أو فرض.

بينما لو قال: حقاً على المتقين؛ يعني: واجب، أو فرض على المتقين؛ أي: من باب التّقوى والفرض.

[٢٣٧] ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: من قبل أن تدخلوا بهن (ويحدث الجماع) والمباشرة. أن: حرف مصدري يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿وَقَدْ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي: سمَّيتم المهر، وتحدثتم عن المهر، أو ذكرتم لهنَّ المهر، وكم هو من المال.

﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، نصف ما فرضتم من المهر: أي: لهن نصف الفرض.

﴿إِلَّا أَن يَعْفُونَ﴾: إلَّا أداة حصر، أو استثناء، أن: حرف مصدر يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿يَعْفُونَ﴾: أي: الزوجة المطلقة الّتي لم تمس تسقط، أو تترك حقها؛ أي: تتنازل عن النصف المفروض لها.

﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: الّذي بيده عقدة النكاح. قيل: هو الزوج؛ أي: يعفو، ويعطيها المهر كاملاً؛ أي: يتنازل لها عن النصف الآخر الّذي ليس مفروضاً لها.

وقيل: الّذي بيده عقدة النكاح هو الولي، والحقيقة: أنّ المهر من حق الزوجة، والولي لا دخل له.

﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: وأن: للتعليل، والتوكيد.

﴿تَعْفُوٓاْ﴾: من عفا يعفو، وهو الأقرب للتقوىٰ؛ أي: الأكثر تقوىٰ هو الّذي يعفو للآخر، سواء كان الرجل، أو المرأة، وليس العفو فقط بالمال، بل أن تعفو عن الأخطاء، أو النميمة، والغيبة، وربما الشتم، والإهانة الّتي قد تحدث بين الطرفين، وعليكم بالصبر والاحتساب، والذي يدعي التّقوىٰ عليه أن يظهرها في هذه المواقف.

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: ﴿وَلَا﴾: لا النّاهية، ﴿تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ﴾: هو المودة بالإحسان، ولا تنسوا الصلة الّتي كانت قائمة، والروابط.

ولا تنسوا الإحسان في مقام الخلاف، والبغضاء، والرضا بما قدر الله.

أو تنازل أحدكما للآخر عن حقه، وإنهاء الخلاف.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد، ﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ﴿تَعْمَلُونَ﴾: من الأعمال تضم الأقوال، والأفعال.

﴿بَصِيرٌ﴾: يراكم، ويطلع على أعمالكم؛ أي: أفعالكم، وأقوالكم، ولا تخفى عليه خافية في السموات، والأرض.

وقدَّم تعملون على بصير بدلاً من قوله: والله بصير بما تعملون؛ لأنّ سياق الآيات في أعمال العباد الظاهرة.

يمكن تلخيص ما سبق:

المطلقات:

*** مدخول بها:**

ـ مفروض لها مهر، لها المهر كاملاً، وعدتها ثلاثة قروء، ولها متعة.

ـ غير مفروض لها مهر، لها مهر المثل، وعدتها ثلاثة قروء، ولها متعة.

*** غير مدخول بها:**

ـ مفروض لها مهر، لها نصف المهر، وليس عليها عدَّة، ولها متعة.

ـ غير مفروض لها مهر، ليس لها مهر، وليس عليها عدَّة، ولها متعة.

❖ ❖ ❖

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ
فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ
لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ
بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٞ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾
مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا
كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤

سورة البقرة [الآيات ٢٣٨ - ٢٤٥]

[٢٣٨] ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾:

المناسبة: في خضم آيات الطلاق، وسياقها تأتي آية حافظوا على الصلوات، والصّلاة الوسطى؛ لتذكرنا أنّ نلجأ إلى الصّلاة في أيام وساعات الطلاق، والفراق الصعبة، فالصّلاة تبعث على الاطمئنان، وعدم الظّلم، والجور، وتحث على الصبر، والعفو، وعدم اليأس، وتهدئ القلوب المتأججة.

كما رأينا آية الدّعاء، آية (١٨٦) من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ تشق آيات الصّيام لتذكرنا بأهمية الدّعاء أثناء الصّيام، وفي أيام رمضان، فسبحان الّذي نزل الذكر.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: حافظوا من الحفظ، والحفظ: هو عدم النسيان، والمحافظة على الصلوات؛ تعني: المداومة عليها، وعدم تضييعها، والتمسك بها في أوقاتها، وسننها، وأركانها، وخشوعها.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: للدلالة على أهميتها، ومكانتها، فهذا يطلق عليه ذكر الخاص (وهو الصّلاة الوسطى) بعد ذكر العام (الصلوات)، ويسمى عطف الخاص على العام، وله قيمة بلاغية؛ للتأكيد على أهمية الصّلاة الوسطى.

والصّلاة الوسطى لم يحدِّدها سبحانه، والوسطى: هي من الوسط، وهو العدل، والخيار؛ أي: الفضلى، والله سبحانه أخفى الصّلاة الوسطى، كما أخفى

ليلة القدر، وساعة الاستجابة يوم الجمعة، كما أخفىٰ اسمه الأعظم؛ ليكون العبد علىٰ اتصال دائم مع ربه، وذهب كثير من المفسرين، والفقهاء إلىٰ أنها صلاة العصر؛ لأنها تقع بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر من طرف، وصلاة المغرب والعشاء من طرف آخر.

وهناك من قال: إنها صلاة الظهر؛ لأنها تقع في وسط النهار، أو صلاة المغرب؛ لأنها تقع بين الليل والنهار، أو صلاة الفجر.

وقد تنتقل الصّلاة الوسطىٰ من العصر إلىٰ الظهر إلىٰ الفجر، كما تنتقل ليلة القدر من (٢١) إلىٰ (٢٣) إلىٰ (٢٥) إلىٰ (٢٧).

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾: قفوا علىٰ أرجلكم للصلاة.

﴿قَٰنِتِينَ﴾: جمع قانت، والقنوت: هو الطاعة؛ طاعة أوامر ونواهي الله تعالىٰ، والاستقامة عليها؛ أي: الدوام علىٰ طاعة الله. وقيل: طول القيام في الصلاة، وقيل: الخشوع والسكوت، وقيل: الدعاء، والصلاة والقنوت في الشرع الدعاء في صلاة معينة مثل الوتر، أو بصفة معينة، أو الركعة الأخيرة.

[٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للترتيب الذِّكري، إن: شرطية تفيد الاحتمال، والشك، أو قلة الحدوث.

﴿خِفْتُمْ﴾: من عدوكم، أو من أي شيء يدعو إلىٰ الخوف، وعدم الاطمئنان.

﴿فِرِجَالًا﴾: أي: صلُّوا، وأنتم سائرون على الأقدام مستقبلي الكعبة، أو صلوا بأي اتجاه.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: أو صلوا وأنتم راكبون على خيولكم، أو في سياراتكم، أو غيرها قياماً، أو قعوداً.

﴿فَإِذَآ﴾: الفاء: للترتيب الذِّكري، إذا: شرطية تفيد الحتمية، والإلزام، وكثرة الحدوث.

﴿أَمِنتُمْ﴾: زالت أسباب الخوف، وأصبحتم في أمان؛ فصلوا مستقبلي القبلة، وبخشوع، وقنوت.

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: فاشكروا الله تعالى على الأمن بالذكر (التسبيح، والحمد، والتهليل)، والصّلاة من الذكر، والشكر من الذكر.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: كما للتشبيه، علمكم من الأحكام، والشرائع، والعبادات، ﴿مَّا لَمْ﴾: ما: اسم موصول بمعنى: الّذي، لم: للنفي، ﴿تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾: قبل مجيء الرّسول ﷺ، وإنزال القرآن.

[٢٤٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

هذه الآية نزلت في بدء الإسلام، ثم نسخت، كما ذكر أكثر الفقهاء بآية (٢٣٤) من سورة البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

وقيل: لم تنسخ، وإنما خفَّف الله على هذه الأمة من العام (أو الحول) إلى أربعة أشهر وعشراً، وأصبحت النكرة (من معروف) معرفة بـ(أل) التعريف (بالمعروف): وهو الزواج.

في بداية الإسلام كانت عدَّة المتوفَّى عنها زوجها متاعاً إلى الحول، ثم تحولت وأصبحت أربعة أشهر وعشراً.

وأما الفروق بين الآيتين (٢٣٤) و(٢٤٠) من سورة البقرة فهي:

في الآية (٢٣٤): ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: (الباء للإلصاق)، والمعروف هو الزواج.

أما من معروف في الآية (٢٤٠): فيشمل الزينة، والخروج من المنزل، والتعريض للخطاب.

في الآية (٢٣٤): الخطاب إلى المتوفَّى عنها زوجها.

أما في الآية (٢٤٠): فالمخاطب أهل الميت.

في الآية (٢٣٤): ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أما في الآية (٢٤٠): ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فارجع إلى الآية (١٢٩) من نفس السورة للبيان.

[٢٤١] ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

كل المطلقات جميع المطلقات لهن متعة، كما قال مالك: المتعة مستحبة

لجميع المطلقات، وذهب الحنفية، والشافعية، والحنابلة إلىٰ أنها واجبة للمطلقة الّتي لم يفرض لها مهر، وأما الّتي فرض لها مهر فتكون المتعة لها مستحبة.

﴿مَتَٰعُۢ﴾: من المتعة: وهو ما يعطيه الزوج من مال، أو كسوة، أو حلية، أو غيرها لزوجته المطلقة إكراماً لها، وتخفيفاً.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أي: متعة لا مبالغة فيها، ولا تقصير علىٰ الموسع قدره، وعلىٰ المقتر قدره.

﴿حَقًّا﴾: أحقَّه الله للمرأة المطلقة، فلا تقول: لا أريده، بل تأخذه، وتتصدق به إذا لم تكن لها حاجة به، وسواء أكان واجباً، أم مستحباً.

﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: واجباً، أو مستحباً علىٰ الأتقياء، وإذا لم يدفع لها المتعة عليه ذنب، وعقاب، ولو قال: حقاً علىٰ المحسنين؛ لكان من باب التطوع، والإحسان، وليس عليه عقوبة وذنب. وهناك فرق بين (حقاً علىٰ المتقين)، و(حقاً علىٰ المحسنين)؛ علىٰ المتقين: أي: وجباً أو مستحباً، أما علىٰ المحسنين: أي: في صورة الإحسان وليس بواجب أو فرض كما هو حقاً علىٰ المتقين.

[٢٤٢] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: تعني في مثل هذه الآيات، والآيات الّتي سبقتها.

﴿يُبَيِّنُ﴾: يوضح الله لكم الأحكام، والحدود في الطلاق، والرضاع، والعدَّة، والمتاع.

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: إضافة هاء الضمير للآيات تشريفٌ لها؛ لكونها آياتٍ خاصة مهمة مقارنة بقوله: آيات.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لعلكم: للتعليل؛ أي: لتعقلوا لتفهموا ما عليكم من واجبات. ارجع إلىٰ الآية (٤٤)، والآية (٧٣) من نفس السورة للبيان.

[٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة استفهام تعجب، وتشويق إلىٰ ما سيذكر.

﴿تَرَ﴾: الرؤية هنا رؤية قلبية بمعنىٰ: العلم؛ أي: ألم تسمع، أو يصل إلىٰ علمك خبر هؤلاء الّذين خرجوا من ديارهم.

﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾: تركوا وهجروا ديارهم، وقيل: هم من بني إسرائيل.

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: ألوف جمع كثرة، خرجوا وهم ألوف (أكثر من العشرة يقال له جمع كثرة، وأقل من العشرة يقال له جمع قلة) مثل: ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ [آل عمران:١٢٤].

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: أي: لتوقي وتجنب الموت.

والحذر: هو توقي الضرر، سواء كان مظنوناً، أو متيقَّناً، والحذر يدفع الضرر، والخوف لا يدفع الضرر.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: بيان للعلة، ولم يخبرنا ما هو سبب الموت؛ لكونه لا يهم في هذه القصة.

﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾: أي: فأماتهم الله سبحانه ميتة رجل واحد بكلمة كن فيكون.

إذن هم خرجوا حذراً من الموت، وها هو الموت حل بهم.

أو هم هربوا من قدر الله إلىٰ قدر الله، فما فائدة خروجهم، لو لم يخرجوا لماتوا وهم في عقر ديارهم، وها هم خرجوا فماتوا بعيداً عن ديارهم، إذن ما هي العبرة؟

وقيل: السبب في خروجهم كان وباء الطاعون.

وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلىٰ الجهاد، والدفاع عن بلادهم، فهربوا حذراً من الموت والقتل في سبيل الله.

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾: سبحانه، وكان قادراً علىٰ تركهم أمواتاً حتّىٰ يوم يبعثون.

أحياهم ليعظهم، ويبيِّن لهم، ولغيرهم: أنّ أمر الموت والحياة بيده سبحانه، ومرهون بمشيئته تعالىٰ، وليس بمرض، أو جهاد، أو قتال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: إن: للتوكيد، ﴿لَذُو﴾: اللام للتوكيد.

ولو مات هؤلاء في ديارهم ولم يهربوا، ماتوا من طاعون أو بسبب الجهاد، وقتال العدو؛ لكان لهم أجر الشّهيد؛ أي: لماتوا شهداء، ووجبت لهم الجنة، وهذا فضل من الله تعالىٰ، والموت إذا كان في سبيل الله، وإعلاء كلمته (كلمة الحق) فهو من أفضل النِّعم.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك.

﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: أي: هناك القليل منهم يشكرون؛ كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

أكثر النّاس لا يعلمون أنّ هذه الابتلاءات بالخير والشر كلها نِعَم، وليس نقم، ومن فضل الله أنه يبتلي عباده؛ ليزيدهم أجراً، وفضلاً، ومن أكبر هذه النعم الجهاد في سبيل الله، ولأنهم لا يعلمون أنها كلها خير، ولذلك لا يشكرون الله عليها، وبذلك تكون عاقبة ابتلائهم خُسراً.

فأكثر النّاس لا يشركون: إما العدد، عدد من يشكرون قليل.

أو كمية الشكر (مقدار الشكر) قليل؛ أي: عددهم كبير، وشكرهم قليل.

[٢٤٤] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم؛ لإعلاء كلمة الله، ودينه، وإظهار الحق، ودحر الباطل.

﴿وَاعْلَمُوا﴾: علم اليقين واذكروا.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿سَمِيعٌ﴾: لما تقولونه بالسر، والعلن خيراً، أو شراً.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأقوالكم، وأفعالكم، لا تخفى عليه خافية، وعليم بنواياكم، وظاهر الأمور وبواطنها، وعليم بذات الصدور.

[٢٤٥] ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

في الآية السابقة حث الله سبحانه على الجهاد بالأنفس، وفي هذه الآية يحث على الجهاد بالمال، والإنفاق في سبيله، وعبر عن ذلك بالقرض الحسن فقال:

﴿مَن ذَا﴾: من: اسم استفهام؛ للتشويق والترغيب.

﴿يُقْرِضُ﴾: القرض: دفع المال لمن ينتفع به، ويرد بدله، أو يُعيده إلى صاحبه.

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: القرض الحسن: هو القرض الّذي يُعطى ابتغاء وجه الله، ويعطى من دون منٍّ ولا أذى، وبحب لا كراهية عن طيب نفس، ومن مال طيب، وأن يتحرى الجهات الأشد حاجة إليه.

وقد وصف القرض بالقرض الحسن في كل القرآن، وجاء ذلك في (٦) آيات.

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾: الهاء: تعود إلى المنفق أضعافاً كثيرة لحثه على الإنفاق.

والقرض ثوابه أعظم من ثواب الصدقة. القرض يضاعف إلى (١٨) ضعف، وأما الصدقة بعشر أضعافها.

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾: والله يُضيق على بعض في الرزق، ويوسع على بعض حسبما تقتضيه حكمته، ومشيئته.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إليه تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: من دون إرادتكم؛ أي: قسراً ومن دون خيار يوم القيامة.

١ - ولنقارن هذه الآية مع آية البقرة (٢٤٧)، وآية الأعراف (٦٩)، مع الانتباه إلى كيفية كتابة ولفظ الكلمات: يبصط، يبسط، بصطة.

آية البقرة (٢٤٥): ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

آية البقرة (٢٤٧): ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.

آية الأعراف (٦٩): ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾.

وللمقارنة يجب أنّ نعلم: أنّ حرف الصاد يمتاز بالاستعلاء، أما حرف السين فيمتاز بالرخاوة، وإذا قارنا يبصط، ويبسط:

يبصط: أقوى وأشد توكيداً من يبسط.

وبصطة: أقوى وآكد من بسطة.

بصطة: مطلقة عامة، وبسطة: مقيدة، والمطلقة أقوى من المقيدة.

وإذا نظرنا في سياق الآيات:

بسطة: جاءت في سياق طالوت: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وبصطة: جاءت في سياق قوم هود: ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩].

فآية البقرة: جاءت في سياق فرد واحد، وهو طالوت، ومقيدة في العلم والجسم.

أما آية الأعراف: جاءت في سياق قوم هود أكثر من فرد، ومطلقة في الخلق.

إذن: آية الأعراف أقوىٰ وأشـد ومطلقة استعمل الصاد فيها بينما آية البقرة أضعف، ومقيدة، واستعمل السين.

٢ - وكذلك لا بد من مقارنة هذه الآية مع الآية (٢٦١) من سـورة البقرة، والآية (١١) من سورة الحديد:

آيـة البقـرة (٢٤٥): ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ﴾: لم يحدد هذه الأضعاف الكثيـرة في هذه الآية، ولكنه حددها في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١].

التحديد بسبعمئة ضعف، أو أكثر.

أما آيـة الحديـد (١١): ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

في البقرة: ذكر أضعافاً كثيرة، ذكر الكم، ولم يحدِّدها، وتركها مطلقة.

فـي الحديد: ذكر فيضاعفه له، وله أجر كريـم: ذكر الكم (يضاعفه فقط)، والكيف أجر كريم (ذكر الكم والكيف).

ولو نظرنا إلىٰ السـياق نجـد: أنّ آية البقرة جاءت في سـياق القتال، وأما السياق في آية الحديد هو في الإنفاق بشكل عام، فالسياق مختلف.

❖ ❖ ❖

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟
لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٤٦ - ٢٤٨]

[٢٤٦] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة: استفهام فيه معنى التعجب، وتشويق إلى ما سيرد في الآيات التالية.

﴿تَرَ﴾: الرؤية قلبية بمعنى العلم؛ أي: ألم ينته علمك، أو يصل إلى علمك خبر الملأ من بني إسرائيل.

﴿ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: الملأ: الأعيان، وممثلو القوم، أو وجهاء القوم، كلمة الملأ مشتقة من الّذين يملؤون العيون هيبة ورهبة، أو يراهم النّاس دائماً. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٧٥، ٨٨) للبيان.

﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾: ﴿مِنۢ﴾: ابتدائية، ﴿بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾: بعد موت موسى عليه السلام.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي؛ يعني: حين قالوا.

﴿قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾: لم يذكر الله سبحانه اسمه، وقيل: هو شمويل على قول أكثر المفسرين.

﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: نصّب، أو عيّن لنا ملكاً.

والبعث: هو الإرسال مع الحث، والتهييج، والإثارة، والشدة.

إذن هم من بدون ملك، ولهم نبي ويريدون الجهاد في سبيل الله؛ لأنهم أخرجوا من ديارهم، وشردوا وتركوا أبناءَهم، وأموالهم وديارهم.

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾:

قال نبيهم لهم: ﴿هَلْ﴾: استفهام للتقرير.

﴿عَسَيْتُمْ﴾: من عسىٰ، فعل توقعٍ وترجٍّ.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿كُتِبَ﴾: فرض عليكم الجهاد.

﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾: أي: أن لا تقاتلوا. أن: حرف مصدري للتعليل، لا: نافية.

وكأنه يشك فيهم أنهم سيقاتلون، وذلك لعلمه بهم، ومعرفته لهم، وجبنهم من قبل، أو سابقاً.

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا﴾: ما: اسم استفهام، لنا أن لا نقاتل في سبيل الله؛ أي: ليس لنا عذر، أو مبرر ألا نقاتل في سبيل الله.

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾:

﴿وَقَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد، والواو: حالية (للتوكيد).

﴿أُخْرِجْنَا﴾: أخرجونا بالقوة، وليس برغبتنا؛ أي: مكرهين.

﴿أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا﴾؛ أي: إن لم نقاتل في سبيل الله نقاتل؛ لأننا شردنا من ديارنا وأبنائنا.

﴿وَأَبْنَائِنَا﴾: أخذوا سبايا، أو تركناهم وراءنا.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، لما: ظرفية، حينية، متضمنة معنى الشرط.

﴿كُتِبَ﴾: فرض عليهم الجهاد، وشرع عليهم الجهاد، كما طلبوا.

﴿تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا، ورفضوا أن يجاهدوا في سبيل الله، ولووا ظهورهم، وبذلك يتبيَّن لماذا قال لهم نبيهم سابقاً: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: أي: هناك القليل الّذين لم يتولوا، والتزموا بعهدهم على القتال، وقيل: كانوا (٣١٣) بعدد أهل بدر.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الّذين تولوا، وأعرضوا، ونقضوا عهدهم، وقعدوا عن الجهاد، والقتال، وبذلك ظلموا أنفسهم، ويعتبر هذا وعيداً لهم. ارجع إلى الآية (٥٣) من سورة البقرة للبيان.

[٢٤٧] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، توكيد البعث.

﴿لَهُمْ﴾: تقديم لهم على نبيهم؛ (أي: الجار والمجرور): يدل على أنه نبي خاص بهم، وليس نبياً لغيرهم.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتوكيد.

﴿بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾: إن: للتوكيد. اللهَ: اختار لكم أو نصَّب، أو عيَّن لكم طالوت ملكاً.

﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: ﴿أَنَّىٰ﴾: تعني: كيف، ومن أين يكون له الملك؟! للتعجب والاستفهام.

وفي هذا إنكار سريع لبعثه ملكاً عليهم، واستبعادٌ، فهو ليس من سبط النبوة (وهم بنو لاوي)، ولا من سبط الملوك (وهم بنو يهوذا).

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾: أي: أنه لا يستحق الملك؛ لوجود من هو أحق بالملك منه.

﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾: أي: أنه فقير كذلك، ولم يؤت من المال ما يستعين به على إقامة الملك.

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾:

﴿قَالَ إِنَّ﴾: قال: لهم نبيهم إن للتوكيد.

﴿ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾: اختاره ملكاً عليكم، وهو أعلم منكم، ولا اعتراض على حكم الله.

والاصطفاء: هو الاختيار من أشياء متشابهة؛ أي: اختاره من بينكم.

﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾: بسطة تعني: سعة في العلم (كان من أعلم بني إسرائيل. . .) بعلم الحروب، أو القتال، والجسم: طويل، عظيم القامة، يثير هيبة في القلوب. ارجع إلى الآية (٢٤٥) من نفس السورة لمقارنة أنواع البسطة ويبصط.

انتبه: هم أرادوا ملكاً ذا مال ونسب، والله سبحانه اصطفى لهم من هو ذو علم وقوة في القتال.

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ﴾: من الإيتاء، وهو أعم من العطاء، ليس فيه تملك يمكن استرداده، والإيتاء يكون للأمور المعنوية، والمادية، والإيتاء يستعلم للأمور العظيمة، والمهمة.

﴿يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾: من يجده صالحاً لملكه، من: ابتدائية.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: الفضل، والعطاء يوسع على من ليس له سعة، ويرزق بغير حساب.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يصطفيه للملك، ومن هو أحق بالملك من غيره، وعليم بأقوالكم، وأحوالكم، وما يصلحكم.

[٢٤٨] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٤٧).

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾: علامة ملكه، أو دليل أنّ الله اصطفاه عليكم ملكاً.

﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾: ﴿أَن﴾: حرف مصدري للتوكيد.

﴿ٱلتَّابُوتُ﴾: الصندوق من الخشب أو الحجر توضع فيه جثة الميت، والتابوت هنا يعني صندوق خشبي مستطيل، وورد ذكر التابوت في القرآن في

هذه الآية، وفي سورة طه آية (٣٩) (أن اقذفيه في التابوت)، وجاء بأل التعريف في كلا الآيتين فقيل هو نفسه صندوق التّوراة صندوق الوصايا العشر (الألواح)، فقد اغتُصب منهم، وسرق، ولا يعلمون أين هو.

﴿يَأْتِيَكُمُ﴾: يرجع إليكم؛ أي: يُؤتىٰ به إليكم من قبل الملائكة كدليل علىٰ أنّ طالوت هو الملك عليكم.

﴿فِيهِ﴾: أي: في التابوت، فيه: ظرفية؛ كظرف ومظروف.

﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: عودة التابوت تبعث فيكم السكينة من السكون؛ أي: الأمان، والاطمئنان، والراحة النفسية، والحلم، وهذه الآية تشير إلىٰ ما بقي من آثار الرسل والأنبياء أن يتخذ أو يُعتبر وسيلة مصدر سكينة للناس وأمن للنفوس وأن يرعاها ويحتفظ بها الناس علىٰ شرط أن لا تتخذ ضرباً من الشرك أو تبعث علىٰ الشرك.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾: قيل: بعض الآثار الّتي تركها موسىٰ، بعض الألواح، وفيه عصىٰ موسىٰ. والآل: هم الأهل، والأقارب، والأعوان، والأتباع، واستعمل الآل؛ لأنّ فيها معنىٰ الإكرام، والثناء؛ لأنهم حافظوا علىٰ البقية بعد موت موسىٰ، وهارون.

ولو نظرنا إلىٰ كيف كتبت بقية بالتاء المربوطة مقارنة بقوله تعالىٰ في الآية (٨٦) في سورة هود ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بالتاء المفتوحة (أو المبسوطة)، وفي الآية (١١٦) في سورة هود ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ بالتاء المربوطة نجد أن التاء المفتوحة أو المبسوطة جاءت في سياق الكثرة؛ أي: تشير إلىٰ الكثرة وأما التاء المربوطة

جاءت في سياق القلة أو تشير إلى القلة. ارجع إلى سورة هود آية (٨٦) لمزيد من البيان.

﴿وَءَالُ هَٰرُونَ﴾: قيل: عمامة هارون (أخ موسى).

﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: تحمل التابوت الملائكة، وتأتيكم به، ويوضع أمامكم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، ويشير إلى رجوع التابوت إليهم.

﴿لَءَايَةً﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لَّكُمْ﴾: خاصة، وليس لغيركم.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الشكَّ، أو الندرة؛ أي: الشك في إيمانهم.

﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: أي: في ذلك لمعجزة وحُجَّة كافية؛ لكي تؤمنوا بأن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، ويبدو أنهم بعد عودة التابوت إليهم قبلوا؛ أي: رضوا بطالوت ملكاً، وبعدها راح طالوت يستعد للجهاد.

❖ ❖ ❖

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٤٩ - ٢٥٢]

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والمباشرة، وتدل أنّ طالوت لم يتأخر في الخروج للجهاد، ومعه جنوده.

لما: ظرفية، حينية، تتضمن معنى الشرط.

﴿فَصَلَ﴾: خرج، وغادر، وكلمة فصل من الفصل، وهو العزل أن تزل شيئاً عن شيء آخر، ومثلها: فلما فصلت العير؛ أي: غادرت.

﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: أي: غادر بلده بالجنود جمع جندي، وجنود: فئة من الناس تدربوا للقتال، ومفروض فيهم القوة، والغلظة، والصبر، ولم يذكر عددهم؛ لعدم الأهمية، وهناك فرق بين جند وجنود؛ ارجع إلى سورة ياسين آية (٢٨) لمزيد من البيان.

﴿قَالَ إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾: قال ابن عبّاس ﷺ وكثير من المفسرين: هو نهر الأردن المسمى بالشريعة.

﴿مُبْتَلِيكُم﴾: مختبركم، والابتلاء: هو الاختبار، والامتحان، والابتلاء: قد يكون في الخير، والشر.

وقال: إن الله مبتليكم ولست أنا؛ أي: إنه هو الله الّذي سيجري عليكم الابتلاء؛ لمعرفة مدىٰ طاعتكم لأمره، وقوله: إن الله مبتليكم، ولم يقل: أنا مبتليكم أقوىٰ حافزاً علىٰ خوض الابتلاء من أنْ لو كان ابتلاءً من عند طالوت.

وما هو هذا الابتلاء: كونهم عطشىٰ، وأمامهم الماء، ويجب أن يمتنعوا عن الشرب منه إلَّا كما يوصيهم طالوت.

﴿بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾:

فمن شرب من النهر فهو عاص لأمر الله (إذا شرب كما يريد، ولم يطع الأمر).

ومن لم يشرب فهو مطيع لأمر الله، وإن شرب غرفة بيده هذا مباح، وهو مؤمن ومؤهل للجهاد في سبيل الله، فهو خارج في سبيل الله، والطعام، أو الشراب ليس هذا نيته، بل نيته حمل راية الجهاد.

ونرىٰ هنا: أنه سبحانه استبدل كلمة يشرب بقوله: يطعمه، ويطعمه من الطعام، والطعام يشمل الغذاء، والشراب، والشراب يتناول لوحده، أو مع الغذاء.

ويبدو أنّ الشراب (وهو الماء) كانوا بحاجة ماسة له، فهو قد قام مقام الطعام، والشراب معاً؛ فهو رخص لهم الماء الممزوج بالطعام؛ أي: الماء القليل.

وكذلك رخَّص لهم الغَرفة بالإضافة إلىٰ يطعمه؛ ليزيل عنهم العامل النفسي في حبِّ الشرب.

﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾:

هذه كانت هي النتيجة: فشل الكثير في الامتحان، الكثير شرب من النهر، كما يشاء، ولم يسمع إلىٰ قول الله تعالىٰ، ويفوز بالابتلاء.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: والقليل لم يشرب، ولم يعص، وفاز بالابتلاء، وهم الّذين آمنوا معه.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: تدل علىٰ المباشرة، والتعقيب؛ أي: استمر طالوت، والّذين آمنوا معه في سيرهم.

﴿جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾: أي: عبر طالوت، والبقية الّذين آمنوا النهر.

﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾: أي: مجرد أن رأىٰ الّذين آمنوا جالوت وجنوده وعددهم وعدتهم قال قسم منهم، وهم ضعاف الإيمان، ومن خاف: لا طاقة لنا (لا مقدرة لنا)، والطاقة: أقصىٰ المقدرة، وتختلف عن القدرة، أو القوة التي يتمكن بها المرء من أداء الأمور؛ لا طاقة لنا اليوم علىٰ جالوت وجنوده، وأما القسم الآخر الّذين آمنوا الإيمان الصادق، ولم يخافوا قالوا:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم﴾: أنّ مصدرية، تفيد التّوكيد، وانتبه إلىٰ هذه القاعدة في القرآن: إذا قرن الظن بأنّ أفادت اليقين؛ أي: أصبح الظن بمعنىٰ العلم، واليقين.

قالوا للذين خافوا وقالوا لا طاقة لنا بجالوت وجنوده: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، أو قالوا ذلك محدِّثين أنفسهم ليبثُّوا روح الجهاد والشجاعة بينهم فلا يخافوا.

﴿كَم﴾: هنا الخبرية، وتفيد الكثير، فقد روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ الّذين آمنوا مع طالوت، وظنوا أنهم ملاقوا ربهم، وقالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾ كان عددهم يقارب عدد أهل معركة بدر (٣١٤) مؤمناً.

﴿مِّن﴾: ابتدائية.

﴿فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾: العدد، والعدَّة انتصرت.

و﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾: العدد والعدَّة، وفئة جاءت بصيغة التنكير الّذي فائدته، أو غرضه التكثير، والتعظيم، ولمعرفة تعريف الفئة؛ ارجع إلىٰ الآية (١٣) من سورة آل عمران.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: الإذن: اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل أو قول، وبإذن الله تستعمل للعمل الّذي ليس لنا فيه تدخل، أو إرادة، أما لو قال: إن شاء الله: فهي تستعمل للأمور الّتي لنا تدخل فيها، وصادرة علىٰ إرادتنا.

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: يمدهم بعونه وينصرهم علىٰ عدوهم.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: عاطفة، لما: ظرفية زمانية بمعنى: حين برزوا.

﴿بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: ﴿بَرَزُوا﴾؛ أي: انكشفوا، وظهروا في ميدان المعركة على أرض مستوية متسعة، ورأوا جالوت وجنوده قالوا:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: دعوا ربهم من دون استعمال ياء النداء الّتي تعني البعد، ولم يقولوا: يا الله؛ لأنه موقف عطاء، وطلب، وليس موقف عبادة، أو صلاة، ولم يقولوا: يا ربنا، فليس الرب بعيداً عنهم، وليس هناك زمن لاستعمال الياء، فهو زمن قتال وحرب.

﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أي: اصبب علينا الصبر صباً؛ حتّى تمتلئ منه القلوب.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: في أرض المعركة، فلا ننهزم أمام عدوِّنا.

﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: ﴿وَانْصُرْنَا﴾: النصر بالقوة، والسلاح، والعدَّة على القوم الكافرين، وعلى: تعني العلو والمشقة.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، والمباشرة؛ أي: هزموا جالوت وجنوده في أرض المعركة.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٤٩) للبيان.

﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾: كيف قتل داود جالوت لم يذكره الله تعالى

لنا؛ لعدم فائدته المهم انتصر طالوت وجنوده على جالوت وجنوده، وانتهت المعركة.

وظهر اسم داود لأول مرة في هذه المعركة.

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ﴿وَءَاتَىٰهُ﴾: أي: آتى الله داود ﴿ٱلْمُلْكَ﴾: أي: أنعم عليه بالملك؛ أي: الحكم بعد موت طالوت.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: قيل: النبوة، والزبور.

الفرق بين الإيتاء والعطاء:

ـ الإيتاء: ليس فيه تمليك يمكن أن ينزع، أو يُسترد.

ـ العطاء: فيه تمليك لا ينزع.

ـ الإيتاء: يكون في الأمور العامة المعنوية، أو الحسية المادية، والمهمة، ويكون في الرّحمة، والنبوة، والكتاب، والحكمة، وغيرها.

ـ العطاء: يكون في الأمور المادية، والحسية، والمالية.

ـ الإيتاء: أعم من العطاء (فهو يشمل العطاء وغيره).

ـ العطاء: أخص من الإيتاء.

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾: قيل: صناعة الدروع كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء:٨٠]، وعلمه الزبور: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾: الواو: استئنافية، لولا: حرف امتناع لوجود.

الدفع: معناه الردُّ: يدفع الله أناساً بأناس، ومنه سُنة التدافع، يدفع بالقلة

المؤمنة الكثرة الفاسدة، ولولا مشروعية الجهاد والدفاع لاستولىٰ أهل الكفر والفساد علىٰ الأرض بالظلم والشرك.

ولكن الله يدفع المؤمنين ليقاتلوا الكافرين، ويعذب الكافرين بأيدي المؤمنين.

فالذي يعمر الكون هو أن توجد فيه قوىٰ متكافئة، أو فئة ضد فئة، أو حزب ضد حزب.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الله يدفع، ولكن بأيدي خلقه بعضهم بعضاً المؤمن بالكافر، والقوي بالضعيف، والعادل بالظالم، والمصلح بالمفسد، والغني بالفقير، وأهل المعروف بأهل المنكر. النّاس: ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السورة للبيان.

﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: اللام: لام التّوكيد، فسدت الأرض؛ أي: انتشر الفساد، وعمَّ فيها.

والفساد لغة: هو الخروج عن حد الاعتدال، والاستقامة، والفساد: نقيض الصلاح، وهو الاستقامة علىٰ ما تدعو إليه الشريعة والحكمة.

اصطلاحاً: انفلات الفرد، أو المجتمع عن ضوابط الشّرع؛ أي: عن منهج الله تعالىٰ، والفساد يكون في التشريع، والشرك، والكفر، والبدع، أو التوجيه، والتربية، والأخلاق، والقتل، والسرقة، والحرابة، وإهلاك الحرث والنّسل، والعثو: هو كثرة الفساد، أو أشد الفساد، وأما الغي: يكون عادة في فساد الاعتقاد، والمذهب.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾: لكن: حرف استدراك وتوكيد.

﴿ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ذو فضل تكرماً منه، ومنة علىٰ العالمين

بأن حد من الفساد، وأتاح لعباده المؤمنين أن يقيموا شعائر دينهم ويعبدوا ربهم ويتقوا شر المفسدين.

لنقارن آية البقرة: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

مع الآية (٤٠) من سورة الحج: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

آية البقرة: تتحدَّث عن حفظ الأمن في الأرض بحيث لا تستبد قوة حاكم طاغية بكل الدول الأخرىٰ، وتسيطر علىٰ العالم كله، أو يسيطر الكفار علىٰ المؤمنين.

أما آية الحج: تتحدث عن حفظ دور العبادة، والصلاة؛ بحيث لا تهدم، أو تدمر بقوة ما. . .

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، ويشير إلىٰ الآيات السابقة، الألوف الّذين خرجوا من ديارهم فأماتهم الله، ثم أحياهم، آيات بني إسرائيل وطالوت وجالوت وداود.

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: نقرؤها عليك (أي: يتلوها جبريل عليك). والتلاوة تكون فقط من الكتب المنزلة، والتلاوة أخص من القراءة، ولها أجر، والتلاوة تكون لكلمتين أو أكثر، والقراءة قد تكون لكلمة واحدة وليس لها أجر، وأصل التلاوة اتباع الشيء بالشيء.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق بلا تحريف أو تبديل. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) في نفس السورة لمزيد من البيان في معنىٰ الحق.

﴿وَإِنَّكَ﴾: إن: للتوكيد، واللام في ﴿لَمِنَ﴾: زيادة التّوكيد.

﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: من رُسل الله فعلمك لهذه الآيات دليل كاف على أنك من المرسلين، وهذا يكفي رداً على قول الّذين كفروا ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد:٤٣].

وإذا نظرنا في القرآن نجد: أنّ هذه الآية ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: تكررت ثلاث مرات، وإذا أردنا معرفة ترتيب نزول هذه الآيات، وليس حسب ترتيب السور في القرآن نجدها:

أول مرة نزل في سورة الجاثية، آية (٦): ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

ثاني مرة نزلت في سورة البقرة (٢٥٢): ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

ثالث مرة نزلت في سورة آل عمران (١٠٨): ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

❖ ❖ ❖



۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟
مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا
شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ
مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٥٣ - ٢٥٦]

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾:

قال تعالىٰ في الآية السابقة: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ثم أتبعها بقوله:

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾: تلك: اسم إشارة للبعد.

إشارة إلىٰ الرسل الّذين بعثهم الله سبحانه إلىٰ النّاس كافة.

الرسل تشمل كل من اختير وكلف، وأرسل من قبل الله سبحانه؛ لحمل رسالة معينة، وتبليغها، ومتابعتها.

فكلمة الرسل: قد تعني كل الأنبياء، وكل رسول، فالكل مرسل من قبل الله تعالىٰ.

وقد تعني: الرسل وعددهم (٣١٥) رسولاً، وقيل في عدد الأنبياء: مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، كما روىٰ الإمام أحمد في مسنده حين سأل أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن عدد الأنبياء، قال ﷺ: مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمئة وخمسة عشر».

وأفضل ما قيل في تعريف الرسول: من أُوحي إليه بشرع جديد، وأمر بتبليغه.

والنبيُّ: هو المبعوث لتقرير شرع من قبله وتبليغه. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٤) لمزيد من البيان.

وذكر الله سبحانه في كتابه (٢٥) نبياً ورسولاً، من هؤلاء أربعة من العرب هم: هود عليه السلام، وصالح عليه السلام، وشعيب عليه السلام، ومحمد ﷺ.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: الفضل لغة: الزيادة في الأجر، واصطلاحاً: الزيادة في الدرجات في الجنة، وكذلك القرب من الله تعالى في المنزلة كما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٣]، ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال:٤]، ونا الجمع تدل على التشريف، وأفضل الرسل والأنبياء هم خمسة: محمّد ﷺ، وإبراهيم عليه السلام، وموسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، ونوح عليه السلام، وهم أولوا العزم من الرسل، وأجمعت الأمة على أنّ الرسل أفضل من الأنبياء.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: في المنزلة، والفضل بالقرب من الله ﷻ، ودرجاتٍ في الجنة: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾، ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

فالرّسول محمّد ﷺ: هو خاتم النّبيين، وأرسل كافة للناس بشيراً ونذيراً.

وأمثال إبراهيم عليه السلام: كان أمة، واتخذه الله خليلاً.

وأمثال عيسى عليه السلام: آتيناه البينات وأيدناه بروح القدس، ارجع إلى الآية (٨٧) للبيان.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: أي: قوّيناه بروح القدس جبريل عليه السلام، فكان في صحبة لا يفارقه في كل أمر من أمور الدِّين.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾:

﴿ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾: من بعد الرسل، والّذين اقتتلوا هم الأمم الّتي جاءت من بعد الرسل.

فاليهود اختلفوا في دينهم، وتفرقوا شيعاً، والنصارىٰ اختلفوا وانقسموا شيعاً، وكذلك أمة محمّد ﷺ صاروا شيعاً.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: أي: المعجزات، والدلائل علىٰ صدق نبوة الرسل: محمّد ﷺ، وعيسىٰ عليه السلام، وموسىٰ عليه السلام، وغيرهم، وأنهم رسل الله، ويجب الإيمان بهم جميعاً.

وهناك فرق بين جاءتهم البينات (تاء التأنيث)، وجاءهم (بالتذكير). البينات، والتذكير: فيه معنىٰ القوة، ويستعمل جاءهم البينات: في سياق الأوامر، والأحكام، والآيات، ويستعمل جاءتهم البينات: في سياق الأدلة، والمعجزات الدالة علىٰ صدق نبوة الرسل؛ أي: الأقل شأناً.

إذن: البينات يمكن أن تذكر، أو تؤنث، وانتبه إلىٰ ذلك في الحفظ.

﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾: في المذاهب، والعقائد، والآيات، والأحكام، والتحريف، والتبديل، والنسيان، واختلفوا بسبب الأهواء، والحسد، وحب السيطرة، وحب الدّنيا.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾: بالرسل وبما أنزل الله، ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾: وتكرار منهم: يفيد التّوكيد، كفروا بالله ورسله وفرقوا بين الله ورسله، وقالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾: لو: شرطية؛ أي: الّذين آمنوا، والّذين كفروا، ولكن اقتتلوا؛ لكي لا يحدث فسادٌ في الأرض، وليحق الحق، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: تكرار (ولو شـــاء الله ما اقتتلوا): يفيد زيادة التّوكيد على أهمية القتال، والجهاد في سبيل الله، وعلى مشيئة الله تعالى، فلو شاء لما حدث الخلاف، ولو شـــاء لما حدث القتـــال، ولكن ليمحص اللـــه المؤمنين ويمحق الكافرين.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾: للاستدراك، والتوكيد، ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: ولم يقل: يفعل ما يشاء، فما هو الفرق؟

المشيئة: تكون أولاً، ثم الإرادة ثانياً، فالمشيئة تسبق الإرادة.

فالمشـــيئة: هي ابتداء العزم على الفعل، والإرادة هي العزم على الفعل، أو ترك الفعل.

فقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾؛ أي: إذا صدر الحكم منه بكن فيكون.

[٢٥٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: نداء جديـــد للذين آمنوا بأمـــر تكليفي جديد: هو الإنفاق.

﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾: الإنفـــاق: هو إخـــراج المال من الملـــك، فلا يعد يتملكـــه، بينما الإعطاء: يمكن أن تعطي زيداً ثوبـــاً ليخيطه لك ويعيده إليك، فلا يخرج من ملكك.

والنفقة الواجبة: هي الزكاة.

والنفقة المستحبة: هي نفقة التطوع، فالآية لم تحدد نوع الإنفاق فهي تحث على الإنفاق بكل أنواعه.

وغاية الإنفاق هو التقرب إلى الله تعالى، وطاعة أوامره.

﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾: ممـا؛ أي: من ابتدائية بعض مـا رزقناكم (من البعضية)، وليس كل ما رزقناكم؛ أي: أنفقوا من رزقي عليكم.

وفي آيات أخرى قال:

١ - ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:٢٦٧].

٢ - ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧].

٣ - ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٩٥].

٤ - ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ [التغابن:١٦].

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿مِّن﴾: للابتداء، ﴿قَبْلِ﴾: ظرف زمان، ﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿يَأْتِيَ﴾: ولم يقل: يجيء، المجيء: فيه معنى الصعوبة، والمشقة، ويأتي: فيه معنى السهولة؛ لأنه لم يأت بعد.

﴿يَوْمٌ﴾: نكـرة، ويعني: يـوم القيامة، وجاء نكرة لما فيـه من الأحداث، والأهوال العظام.

﴿لَّا﴾: النّافية، وهي أقوى في النفي من ليس.

﴿بَيْعٌ﴾: البيع: أصله الكسب، والناتج عن تبادل أثمان السلع، لا بيع فيه؛

أي: لا فداء فيه؛ لأنّ البيع يوم القيامة يعني الفداء، أو لا إنفاق فيه؛ لتدارك ما فاتكم من الإنفاق، فكل مصارف البيع، والإنفاق معطلة في ذلك اليوم.

﴿فِيهِ﴾: ظرف زماني ومكاني؛ يعني: للظرف والمظروف اليوم.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾: تكرار لا النّافية؛ ليزيد التّوكيد ولفصل كل منهما على حدة، لا بيع لوحده، ولا خلة لوحدها، ولا كلاهما معاً، وجاءت نكرة: لتشكل كل خلة.

والخلة: تعني المودَّة، والصداقة، والتكريم، وسمِّيت المودَّة خلة؛ لتخللها في النفس، وجمعها خِلال. ارجع إلى سورة النّساء، آية (١٢٥).

﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾: لا وساطة، وجاءت نكرة؛ لتشمل كل شفاعة غير مقبولة مهما كان نوعها، مثل: شفاعة إبراهيم عليه السلام في آزر، أو شفاعة الّذين آمنوا في المشركين.

وهناك استثناء في باب الشفاعة؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]، فهناك الشفاعة المقبولة، مثل شفاعة الرّسول ﷺ، وشفاعة أهل التّقوى والإحسان.

هذا من باب الإطلاق المقيد.

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون: جمع كافر ويعني الكفر بالدين وتدل على أن صفة الكفر عندهم ثابت وتدل على العمل وهو الكفر.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد القصر المبالغ فيه؛ أي: هم المختصون بصفتي الكفر، والظلم دون غيرهم، ولو قال: والظالمون هم الكافرون؛ لشملت هذه كثيراً من النّاس، والله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لبيان معنى الكفر.

[٢٥٥] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: هو الاسم الأعظم الّذي تفرد به الحق سبحانه، واختصه لنفسه، وقدَّمه على سائر أسمائه.

هو الاسم الجامع لجميع صفات الكمال الإلهية، وكل اسم من أسمائه نعت له، فهو يدل على المعبود، ولا معبود إلَّا هو.

وورد ذكر اسم الله سبحانه في حوالي (٢٦٩٩) مرة في القرآن، وأكثر سورة ورد فيها ذكر اسم الله تعالى سورة البقرة، فقد ورد فيها (٢٨٢) مرة.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا﴾: لا: النّافية للجنس.

﴿إِلَٰهَ﴾: معبود بمعنى مألوه على وزن مفعول: لا معبود بحق في الوجود إلَّا هو.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

وانظر إلى قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: فهي تفيد النفي، وتفيد الإثبات، فقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾: تفيد النفي، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: تفيد الإثبات، أو تؤكد النفي.

﴿ٱلْحَىُّ﴾: أي: الحي الذي لا يموت، والذي لا تأخذه سِنة ولا نوم كامل الحياة، ويتضمن ذلك ذاته، وعلمه، وعزته، وقدرته، وعظمته، وكبرياءَه. الحي

الّذي لا يموت، الواجب الوجود، الباقي الدائم من أزل الأزل إلىٰ أبد الأبد، والأزل هو دوام الوجود في الماضي، والأبد: هو دوام الوجود في المستقبل.

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: قائم الوجود، القائم بذاته، وعظمته علىٰ الإطلاق، والمستغني عن خلقه، وعن غيره، القائم بتدبير خلقه، وحفظهم، والقائم علىٰ كل نفس بما كسبت.

دائم القيام، وكامل القيُّومية، ولا يقوم شيء إلَّا به، وهو سبب وقوام لكل ما عداه، قامت به السموات السبع، والأرض، وما فيهن؛ من مخلوقات، فهو الّذي أوجدها، وأمدها، وأعدها؛ لكل ما فيه بقاؤها، وصلاحها، وقيامها.

والقيُّوم: صفة مبالغة لقائم؛ أي: كثير القيام.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾:

﴿لَا﴾: النّافية لكل زمن (الماضي والحاضر والمستقبل)، والنافية للجنس، وتكرار (لا): لزيادة تأكيد النفي.

﴿تَأْخُذُهُۥ﴾: لا تعتريه، الأخذ: الغلبة، والاستيلاء؛ أي: لا يعتريه نوم، ولا يغلبه نعاس.

﴿سِنَةٌ﴾: أول ما يأتي من النعاس، كما في أول النوم، النوم الخفيف، ويبدو في العين والجفن.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: السبات العميق، وعادة تسبق السِنة النعاس، وافتقاد السِنة أبلغ في التنزيه من النوم؛ لأنه سبحانه إذا لم تأخذه سِنة فلن يأخذه نوم.

أي: لا يغفل عن تدبر أمر خلقه أبداً؛ لأنه لا تأخذه سنة، ولا نوم؛ لأنّ

النعاس، والنوم من صفات النقص، والله تعالىٰ ذو الكمال المطلق، وكيف يكون قيُّوماً علىٰ السموات والأرض وتأخذه سنة ونوم.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

﴿لَهُۥ﴾: الـلام: لام الاختصاص، والملكية، تقديم الجار والمجرور يفدي الحصر له وحده لا لأحد غيره.

﴿مَا﴾: تشـمل العاقل، وغير العاقل، ما: المطلقة ما في السموات وما في الأرض عبيده، وفي ملكه خاضعون لمشيئته، وتحت قهره وسلطانه.

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: فـي: ظرفية زمانية ومكانية، ما في السـموات: كظرف ومظروف السموات، وما فيهن من خزائن.

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وله الأرض وما فيها من كنوز، ومخلوقات وخيرات.

له ما في السموات، وما في خلقاً، وملكاً، وتصرفاً، وحكماً لا يشاركه أحد، ولا شريك له، فهو مالك الملك يحيي ويميت، وهو علىٰ كل شيء قدير.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾:

﴿مَن﴾: ابتدائية.

﴿ذَا﴾: اسم استفهام.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول.

﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: بإذنه: الإذن اسـم للكلام الذي يفيد إباحة فعل أو قول، والإذن يكون أو يستعمل لفعل أو قول ليس لنا أي تدخل فيه كالشفاعة. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥١)، والنساء آية (٨٥).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾:

يعلم ما وراءهم، وما أمامهم، وما قدَّموا، وما أخَّروا؛ من عمل يعلم كل نفس ما قدَّمت وأخَّرت سبحانه هو الرقيب المحيط بخلقه، فهو الخبير البصير المحصي المبدئ المعيد السميع العليم، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر، لا تخفىٰ عليه خافية، عليم بذات الصدور.

يعلم ظواهر الأمور وبواطنها.

يعلم ما كان وما هو كائن، وما سيكون، وهو بكل شيء عليم.

وعنده مفاتح الغيب، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلَّا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب، ولا يابس إلَّا يعلمه.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النّافية، ﴿يُحِيطُونَ﴾: من الإحاطة، والإحاطة تعني: معرفة الشّيء من جميع جوانبه.

﴿بِشَيْءٍ﴾: الشّيء هو أقل القليل، شيء: نكرة؛ أي: مهما كان حجمه، وشكله، ولونه، ووزنه، وتكوينه، وبما أنّ علومنا قابلة للتغير، والتبديل، فلن نستطيع أنّ نحيط بأي شيء، ولو كان واحداً مهما بلغنا من العلم، كما يحيط به الله ﷻ.

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: إلا: أداة استثناء؛ أي: لا يعلمون إلا ما شاء الله أن يعلمهم إياه.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾: الكرسي قيل: هو السلطان، والقهر، والقدرة، والملكية.

وقيل: الكرسي العلم علمه ذاته.

وقيل: الكرسي: هو ما دون العرش، والكرسي: أوسع من السموات السبع والأرضين، وما السموات السبع بالنسبة للكرسي إلَّا كحلقة ملقاة في فلاة، وما السموات السبع والكرسي للعرش إلا كحلقة مرماة في فلاة. أخرجه الإمام أحمد في المسند.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: النّافية.

﴿يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾: يشق عليه، أو يثقله، أو يصعب عليه، حفظ السموات والأرض؛ أي: تدبيرهما، فالسماء الأولىٰ تحوي مليارات المجرات داخلها مليارات المجموعات الشمسية ومجرتنا فقط تحتوي علىٰ (٢٠٠ مليار نجم).

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿ٱلْعَلِىُّ﴾: علو الجلال والكمال، وعلو الذات، والصفات، والأسماء فوق مخلوقاته، أو ليس له مثيل في العلو في كل أمر، العلي عن خلقه علو القدر، والمنزلة، العلي عن الأشباه والأمثال، لا يعلوه شيء، ولا أحد له العلو المطلق من كل الوجوه.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صيغة مبالغة من العظم في العز، والمجد، والكبرياء، والكمال، العظيم لا شيء أعظم منه، العظيم؛ لأنه مالك أمور خلقه يعظمه خلقه، وله صفة العظمة في كل الأحوال.

لقد تضمنت آية الكرسي مختصر العقيدة الإيمانية، وتطرقت إلىٰ الذات الإلهية.

فقد تضمَّنت الكثير من أسماء الله الحسنىٰ، والكثير من صفاته العلىٰ، والضمائر الّتي تعود علىٰ ذاته.

فمن أسمائه فيها: الله، لا إله إلَّا هو، الحي القيوم، العلي، العظيم، وهي ستة أسماء.

ونجد الكثير من الضمائر في هذه الآية، مثل: هو، لا تأخذه، بما شاء، كرسيه، ولا يؤده، وحفظهما، وهو، وهذه الضمائر تقرب من (١٢) ضميراً كلها تعود إلىٰ ذاته سبحانه، وأنه الإله الواحد الحق الّذي يستحق أن يعبد، وتوحيد الربوبية، يعني: هو الخالق وحده.

فهي أعظم آية في القرآن الكريم، أو سيدة آي القرآن، كما ورد في الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وفي حديث رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلَّا أن يموت»، وذلك لأنها تضمَّنت كما قلنا توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء، والصفات.

[٢٥٦] ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

قيل: نزلت هذه الآية في السنة الرابعة من الهجرة، وكان المسلمون أقوياء أعزاء.

﴿لَآ﴾: النّافية للجنس.

﴿إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾: الإكراه: هو أن تحمل الغير علىٰ فعل من الأفعال، وهو كاره له، سواء أكان خيراً، أو شراً.

لم يجبر الله ﷻ، ولم يُكرِه أحداً من خلقه علىٰ الدخول في دينه، وطاعته،

إلَّا بالاختيار، والتمكين. ارجع إلىٰ الآية (١٣٢) من نفس السورة؛ لمعرفة معنىٰ الدِّين.

فقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩].

أي: لو شاء الله سبحانه لقسرهم علىٰ الإيمان، ولكنه لم يفعل، وبنىٰ الأمر علىٰ الاختيار فقال:

﴿قَد﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿تَّبَيَّنَ﴾: تميز.

﴿ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾: ﴿ٱلرُّشْدُ﴾: بضم الراء؛ أي: كيف يتم أو يحصل الصلاح في الأمور الدنيوية والأخروية، وقد تبين الطريق الموصل للنجاة، وسعادة الدارين، والهدىٰ، والإيمان، والصلاح، والرُّشد: أعم من الرَّشد بفتح الراء: الذي يعني: الصلاح فقط في أمور الدين والآخرة؛ ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٦) لمزيد من البيان.

﴿ٱلْغَيِّ﴾: الفساد: فساد الرأي والعقيدة والمذهب الباطل، والجهل، والضّلال، والهلاك، والكفر، والطاغوت، والأصنام. ارجع إلىٰ سورة الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: من: شرطية، تفيد الاحتمال، والشك، والندرة، يكفر بالطاغوت.

والطاغوت: صيغة مبالغة مشتقة من طغىٰ، والطغيان هو تجاوز حدود الله.

الطاغوت: تطلق علىٰ كل معتد، وكل معبود من دون الله، وتستعمل في الواحد والجمع.

ويشمل كبراء الظلمة من شياطين الإنس والجن.

وكل ما عبد من دون الله من البشر، وهو راض بهذه العبادة.

وسمي الساحر، والكاهن، والمارد من الجن، والصارف عن الحق طاغوتاً.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: يكفر بصيغة المضارع؛ لتدل على الاستمرار، والتجدد، ولم يقل كفر، بالطاغوت: الباء للإلصاق، والمداومة على الكفر.

﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: إيماناً يتضمن توحيده في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، وعبادته، وكذلك يؤمن بالملائكة، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء خيره وشره.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾: ﴿فَقَدِ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، قد: للتحقيق، والتوكيد؛ أي: تأكد استمساكه بالعروة الوثقى.

استمسك، ولم يقل أمسك: لأنّ استمسك أشد استمساكاً، وفيها معنى الحرص على الإمساك بالمجاهدة والصبر على دينه، والدعوة إلى الله ومجاهدة أهواء النفس، والشيطان، والفتن.

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: الباء: للإلصاق، والمصاحبة، ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾: تأنيث الأوثق، والوثيق الثابت المحكم.

والعروة: وهي الّتي نراها في طرف الحبل على هيئة الحلقة، والعروة في الثوب المكان الّذي يُدخل به الزر، والمقبض الّذي يمسك به الدلو.

فالعروة الوثقى: تحتاج إلى الحبل، وهو القرآن، أو دين الإسلام؛ أي: من تمسك بالقرآن والسنة؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى.

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: لا انفصام؛ أي: لن تنفك، أو تنحل ناهيك عن الانقطاع؛

أي: لا يخاف السقوط في النار، ولا الهلاك، وسوف ينجو، ويصل إلىٰ غايته، وهي الجنة العالية.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لما يقوله من يؤمن بالله، ويكفر بالطاغوت، سميع لأقوال عباده في السر والعلن.

﴿عَلِيمٌ﴾: ببواطن وظواهر ما يخفونه، وما يبدونه؛ من أقوال، وأفعال.

وبما تخفي الصدور من تصديق بالإيمان، أو تكذيب، وعليم بمعتقداتهم، وأفعالهم، وبإيمانهم، ونواياهم، وغاياتهم.

وهذه الآية: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾: دليل واضح علىٰ بطلان من زعم أنّ الإسلام انتشر بالقوة والسيف.

لنقارن هذه الآية مع الآية (٢٢) من سورة لقمان: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾.

في آية لقمان: لا يذكر لا انفصام لها، ويذكر وإلىٰ الله عاقبة الأمور.

أما في آية البقرة: يذكر لا انفصام لها، والله سميع عليم، وهذا الاختلاف يرجع إلىٰ السياق في البقرة في اتباع الطاغوت.

وفي لقمان: السياق في اتباع الآباء، وهو أقل شدة من اتباع الطاغوت، فلا يحتاج إلىٰ توكيد بالقول لا انفصام لها، ولا التهديد بالقول، والله سميع عليم.

❖ ❖ ❖

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ
فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٥٧ - ٢٥٩]

[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الولي: القريب المحب المعين. ارجع إلى الآية (١٠٧) من سورة البقرة للبيان.

الّذي يتولّى أمور الّذين آمنوا وشؤونهم، مثل الوالي الّذي تولّى أمر الرَّعية.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الظلمات: جمع ظلمة؛ لأن ظلمات الجهل، والكفر، والشرك، والضّلال متعددة، ومصادرها منها: الشيطان، والهوى، والنفس، والشهوة... وغيرها، والظلمات: جمع ظلمة.

﴿إِلَى النُّورِ﴾: أفرد النور؛ لأن النور هو الدين، والدين واحد وهو الإسلام، والنور قد يعني: القرآن والإسلام (الحق)، أو الطريق المستقيم، والهدى، والصلاح، وكلها تصب في مصب واحد، والنور: هو من الله تعالى، وهو واحد سواء أكان القرآن، أم الإسلام، أم الدِّين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ ارجع إلى الآية (٦) لمزيد من البيان، أولياء: جمع وليّ.

الطاغوت: تستعمل للمفرد والجمع؛ أي: أولياؤهم الشياطين، وعلىٰ رأسهم إبليس، أو أئمة الكفر والإلحاد. ارجع إلىٰ الآية السابقة لمزيد من البيان.

﴿يُخْرِجُونَهُم﴾: ولم يقل: يخرجهم، وإنما أضاف النون، فقال: يخرجونهم للتأكيد علىٰ إضلالهم، وإخراجهم من النور إلىٰ الظلمات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٩) من سورة البقرة للبيان.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ جاء بهذه الآية؛ ليضرب لنا مثلاً لهذا الطاغوت، فاختار النمرود بن كنعان، كما قال أكثر المفسرين، وكان ملكاً علىٰ العراق، فقد ادَّعىٰ الربوبية، كما سنرىٰ.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة في ألم همزة استفهام، وتعجُّب، وإنكار إلىٰ الّذي حاجَّ إبراهيم.

أي: ألم ينته إليك أو يصل إليك خبر، أو نبأ الّذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه.

﴿تَرَ﴾: هذه رؤيــة قلبية، وليس رؤية بصرية؛ لأنّ الرّســول ﷺ لم يكن حاضراً تلك المحاجة.

ولنعلم أنّ الله سبحانه حين يخبرنا عن شيء كان، أو يقص علينا قصة فذاك الخبر، أو القصة، أو النبأ هو من عين اليقين، وأفضل مما لو رأيناه بأم أعيننا.

﴿إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾:

وحاجَّ: مــن المحاجَّة، وهي نوع من الحــوار، وكل من المتحاورين يأتي بحجَّته الّتي تؤيد رأيه، ويكون أحدهما علــىٰ حقٍّ، والآخر علىٰ باطل، وإلا لما جــرت المحاجَّة؛ لأنّ المحاجَّــة لا داعي لأنْ تجري بين حــقٍّ وحقٍّ، أو باطل وباطل.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: ﴿أَنْ﴾: تعليل، ﴿ءَاتَىٰهُ﴾: من الإيتاء، ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: إذ: ظرف زمان (للماضي)، بمعنىٰ: حين قال إبراهيم عليه السلام:

﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: أي: الإحياء، والإماتة بيد الله لا ينكرها أحد حتّىٰ الكافرون.

﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾: أي: أجابــه الطاغوت أنا أحيــي وأميت، فقد كان يظن هذا الطاغوت لكونه ملكاً أنه قــادر علىٰ قتل أي أحد، أو تركه حيّاً، وهكذا فسر الإحياء والإماتة.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾.

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾: البهت؛ يعني: الدهشة، والحيرة، والسكوت، وعدم معرفة ما يقول، أو يرد به على السائل على سؤاله المثير للدهشة، ويدل ذلك على خسارته للحوار، أو المحاجَّة، والوصول إلى النتيجة، وهي حُجَّة إبراهيم هي الحق، وحجَّة الآخر هي الباطل.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: الله سبحانه لا يهدي القوم الظالمين إلى دليل، أو سلطان؛ لأنه ليس وليهم، وإنما أولياؤهم الشياطين والطاغوت.

فجاءت هذه المحاجَّة دليلاً، وبرهاناً ساطعاً على وجود الله سبحانه وعظمته، وقدرته، وأنه هو الإله الحق؛ الّذي يجب أن يُعبد، ثم جاء بعد ذلك بدليل وبرهان على قدرته على البعث والإحياء بعد الموت والفناء بذكر الّذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها.

[٢٥٩] ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿أَوْ﴾: حرف عطف، أو للتخيير؛ أي: ألم تر إلى الّذي حاجَّ إبراهيم في ربه، أو الّذي مر على قرية، وهي خاوية على عروشها.

﴿كَٱلَّذِى﴾: الكاف: للتشبيه، الّذي: اسم موصول يفيد المدح هنا، ولم يُبن اسمه.

﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: القرية: تعني البنيان، أو العمران، والأهل معاً؛ لأنّ أهل القرية جزء منها.

قرية، ولم يقل القرية: نكرة؛ لأنها كانت خاوية على عروشها، ولم تعد قرية.

وبما أنها خاوية على عروشها، وهو ليس من سكانها الأوائل، فهو يمر بها في طريقه إلى جهة ما.

من هو المار، ومن هذه القرية أبهم الله سبحانه ذلك؛ لكون الأسماء لا تهم في هذه الحالة، وقال أكثر المفسرين: إنه عزير (نبي من أنبياء بني إسرائيل).

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: وصف للقرية الخالية من السكان، والّتي سقطت أسقفها، وجدرانها، وأبنيتها مهدمة، والعروش هي السقوف، فكأنها سقطت أولاً، ثم تراكمت الجدران فوق بعضها البعض.

قال الذي مرَّ على قرية: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾:

قدَّم هذه (الهاء للتنبيه) ذه: اسم إشارة، على اسم الله؛ لتدل على الحصر والقصر، هذه القرية لا غيرها لشدة خرابها والإحياء هنا يكون لأهل القرية خاصة، وليس المهم هو إعادة البنيان والعمران.

و﴿أَنَّىٰ﴾: هنا للاستفهام، وتحمل معنى كيف (الكيفية)، وتحمل من أين،

وكذلك تحمل معنىٰ التعجب لشدة خرابها وفنائها كيف سيحيي الله هذه القرية بعد موتها؛ يعني: إحياء أهلها بعد موتهم، فهو لا يشك بقدرة الله تعالىٰ، وإنما يُريد أن يطلع علىٰ عملية الإحياء، وكيف تجري، أو تتم؛ لأنه هو مؤمن بالله تعالىٰ، وهو من الأنبياء، وكما فعل إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٠].

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾:

فاستجاب له سبحانه، وأراد أن يجعل السائل عن الكيفية هو نفسه موضع التجربة، وليس غيره، وتمت التجربة كما يلي:

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، أماته الله مباشرة مائة عام، واستعمل كلمة عام بدلاً من السنة؛ لأنّ القرآن يستعمل السنة للشدة، والمشقة، والعام يستخدم للخير والبركة، وهذا من خصائص القرآن، ولكون السائل لم يلاقِ أي مشقة، أو تعب في هذه المائة عام حيث كان نائماً.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾: البعث فيه معنىٰ الإحياء، والتهيج، والإثارة، والشدة.

واستعمال (ثم) تدل علىٰ التراخي في الزمن، فقد مرَّ (١٠٠) عام علىٰ موته.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾: ﴿كَمْ﴾: استفهامية لتعيين العدد، وتحتاج إلىٰ جواب، والسائل كم لبثت هو الله ﷻ، والله أعلم؛ أي: كم أقمت في مكانك أو نومك، ولم يقل كم مكثت. المكث: الاستقرار الغير محدد بزمن، بينما اللبث: استقرار أو إقامة أو بقاء محدد بزمن معين.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: قال الرجل: لبثت يوماً أو بعض يوم: هذه الإجابة فيها معنىٰ التردُّد والشك، واليوم يعني: النهار في القرآن (١٢) ساعة فقط، وليس (٢٤) ساعة، كما يظن البعض؛ أي: من الفجر إلىٰ غروب الشّمس، وقد قال المفسرون: لعله وجد النهار قد قارب علىٰ الزوال، فقال: لبثت يوماً أو بعض يوم (بعض ساعات من اليوم).

ويبدو أنّ الرجل قد نظر في حاله، وما حوله، فأجاب علىٰ السّؤال حسب تقديره، فهو يشعر بأنه لم يتغير في قوته، ونشاطه، فيبدو أنّ إجابته صادقة.

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾: قال الله الحق رداً علىٰ جواب عزير: بل لبثت مئة عام.

﴿بَل﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾: لبثت في موتك (١٠٠ عام)، أو منذ سألت سؤالك (١٠٠) عام، ولم يقل: مئة سنة.

السنة: تستعمل في سياق المشقة والبؤس، ولأنّ مكثه في تلك الحالة كان أمراً سهلاً، لم يعتريه مشقة، أو صعوبة؛ حيث كان نائماً فاستعمل العام.

﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: فانظر الفاء تدل علىٰ المباشرة والتعقيب.

﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾: الّذي كان معك، وقيل: كان من التين والعنب، وعصيراً، أو لبناً.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغير؛ أي: لم تمر عليه السنون، أو الزمن الطويل؛ حتى يتغيَّر طعمه، أو لونه، أو يفسد.

فنظر الرجل إلى طعامه وشرابه فوجد أنه لم يتغيَّر لونه، ورائحته وكميته.

وكون طعامه وشرابه لم يتسنَّه: يدل على أنه لبث يوماً، أو بعض يوم، ويبدو أنّ الرجل كان صادقاً في زعمه، وسأل الله سبحانه الرجل: أن ينظر إلى حماره؛ لكي يريه أنه لبث مئة عام، فنظر فوجد عظام الحمار قد تبعثرت على الأرض، ولم تعد مكسوة باللحم، والحمار قد تحول إلى هيكل عظمي، ملقى على الأرض.

وهذا مستحيل أن يحدث في يوم واحد، فنحن أمام حادثة، أو معجزة بعض مظاهرها يؤيِّد أنه لبث يوماً أو بعض يوم، وبعض مظاهرها يؤيِّد أنه لبث مئة عام، وكلاهما حق وصدق، فالنظر إلى ما حدث للحمار دليل على صدق مرور مئة عام.

والنظر إلى الطعام دليل على صدق مرور يوم أو بعض يوم، فالله سبحانه قادر على أن يقبض الزمن، أو يبسطه، وهذا من مظاهر القدرة الإلهية المطلقة، أن يقبض الزمن، أو يبسطه فيجعل اليوم كسنة، ويجعل السنة كيوم، أو يقبض الزمن لشيء، ويبسطه لشيء آخر في الوقت نفسه، فالله سبحانه خالق الأضداد، فهو القادر على الجمع بين ضدين كهذين.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: الواو: عاطفة، اللام للتوكيد، نجعلك آية للناس: أي: علامة على قدرة، وعظمة الله على البعث والإحياء إضافة إلى العلامات الأخرى.

وقدَّم كلمة آية بدلاً من القول: ولنجعلك للناس آية. ارجع إلىٰ سورة مريم، آية (٢١) لمعرفة السبب.

﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾:

ثم طلب الله سبحانه من السائل أن ينظر إلىٰ عظام الحمار ليريه كيف يحيي الموتىٰ فنظر فرأىٰ كيف ﴿نُنشِزُهَا﴾: نرفعها من الأرض، ونردها إلىٰ أماكنها في الجسم، الإنشاز: هو الرفع، وكذلك له، معنىٰ آخر هو نحييها، إذن ننشزها نحييها، ونردها إلىٰ أماكنها.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي.

﴿نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾: نلصق العضلات والأعصاب، والعروق الشرايين والأوردة بها، ونربطها ربطاً محكماً.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: الفاء: للتوكيد، ﴿تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: فلما رأىٰ عملية الإحياء.

﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: قال العُزير: أعلم أنَّ، أنَّ: للتوكيد.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٠) من نفس السورة للبيان.

❖ ❖ ❖

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟
صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

ربع الحزب ٥

سورة البقرة [الآيات ٢٦٠ - ٢٦٤]

[٢٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر؛ إذ قال، أو اذكر حين قال إبراهيم؛ إذ: ظرف زماني.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى﴾: إذ دعا إبراهيم ربه قال: رب. ولم يقل: يا رب. لم يستعمل ياء النداء؛ للبعد؛ لأنه يعلم أنّ ربه قريب منه.

﴿أَرِنِى﴾: رؤية بصرية عينية كيف تحيي الموتىٰ، كيف تجري عملية إحياء الموتىٰ.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام عن الحال.

﴿تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: الموتىٰ: جمع ميِّت؛ أي: لمن فارقته روحه ومات.

وإياك أن تظن أنّ إبراهيم يشك في سؤاله هذا في قدرة الله سبحانه علىٰ إحياء الموتىٰ، والبعث وإنما إبراهيم يريد معرفة الكيفية، وليس القدرة، فهو يعلم أنّ الله علىٰ كل شيء قدير، والدليل علىٰ ذلك المحاجة مع الكافر في الآية (٢٥٨).

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾: الهمزة في أولم هي همزة استفهام، وتقرير؛ أي: ليقول بلىٰ.

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب تختص بوقوعها بعد النفي فتجعله إثباتاً.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك يفيد التّوكيد.

﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: اللام: في ليطمئن لزيادة التّوكيد، يطمئن قلبي: أن يسكن، ولا يستمر في التطلع، والتشوق إلىٰ معرفة الكيفية (حب الاستطلاع) في إحياء الموتىٰ.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: ﴿فَخُذْ﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب؛ أي: خذ الآن، أو بسرعة أربعة من الطير، ﴿مِّنَ﴾: تدل علىٰ المفرد، والمثنىٰ، والجمع، والمذكر والمؤنث، وتنزل منزل العاقل أو غير العاقل.

﴿الطَّيْرِ﴾: أي: أربعة أنواع من الطير، ولم يقل أربعة طيور؛ لأنّ أربعة طيور قد تكون من صنف واحد.

أما أربعة من الطير: أربعة أنواع مختلفة من الطير، الطير اسم جنس، والطير جمع طائر.

والطير جاء بـ(ال) التعريف طيور معروفة لديك، أو يعرفها النّاس، مختلفة؛ لأنّ هناك كثيراً من الطيور لا يعرفها النّاس تطير في السماء، مثال: خذ حمامة، وغراب، وهدهد، وعصفور.

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: الفاء: تدل علىٰ المباشرة، والتعقيب. صرهن إليك: إما

tafseer alquran althary aljami3 part 01.job

تعني: اضممهن إليك؛ للتأكد من النوع، واللون، والشكل، أو تعني: أملِهن إليك: من أملته فمال.

أو تعني: قطعهن؛ أي: اذبحهن، ثم قطعهن، وقيل: فصرهن مشتقة من الصور: القطع؛ أي: واخلط الأجزاء بعضها.

﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾: ﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزمن حيث إبراهيم بحاجة إلىٰ زمن ليصعد علىٰ كل جبل، وينزل، ثم يصعد إلىٰ آخر، وهكذا ليضع جزءاً من لحم الطير المختلط هنا وهناك علىٰ كل جبل.

أربعة جبال، والجبل، ولم يقل: الطور؛ أي: التل، الجبل: أعظم من الطور حجماً وارتفاعاً، ولمعرفة الفرق بين الجبل والطور؛ ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (١٧١) للبيان.

﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾: ﴿ثُمَّ﴾: تعني: الواحد تلو الآخر بفاصل زمني.

﴿ٱدۡعُهُنَّ﴾: اسألهن، أو اطلب منهن، ﴿يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾: السعي: هو المشي بسرعة، ولم يقل: يأتينك طيراناً، كما تطير الطيور؛ لأنها لو طارت أمامه؛ لما تحقق من أنها هي نفس الطير من حيث الشكل، واللون، وإنما: ﴿يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾: تمشي أمامك، وتتأكد منها، وتعلم أنها نفس الطير.

﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾: ﴿وَٱعۡلَمۡ﴾: علم اليقين، ﴿أَنَّ﴾: للتوكيد، ﴿ٱللَّهَ عَزِيزٞ﴾: قوي قادر غالب علىٰ أمره، لا يُقهر، ولا يُعجزه شيء في الأرض، أو السموات، ﴿حَكِيمٞ﴾: في تدبيره لشؤون خلقه، وحكيم مشتقة من الحكمة،

لا يخلق شيئاً عبثاً، وحكيم؛ لأنه هو الحاكم، فهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٢٦١] ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: مثل نفقتهم كمثل حبة؛ أي: كل صدقة يتصدقون بها، أو نفقة ينفقونها كمثل حبة.

الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، فلا يعُد يملكه.

﴿يُنفِقُونَ﴾: جاء بالفعل المضارع؛ لأنّ الإنفاق يجب أن يتجدد، ويتكرر، ولا يكون مرة واحدة، وإلا لقال: مثل الّذين أنفقوا أموالهم.

وجاءت مرة واحدة المنفقين بالأسحار: المنفقين: أصبح الإنفاق سمة، وصفة ثابتة لهم، والجملة جملة اسمية تدل على الثبوت.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الجهاد، أو جميع مصارف الصدقات، وكل ما يؤدي إلى مرضاته، وإعلاء كلمته.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾:

﴿كَمَثَلِ﴾: الكاف: كاف التشبيه، ﴿حَبَّةٍ﴾: من القمح، أو الشعير، أو غيرها.

﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾: أي: شبه الصدقة الّتي تنفق في سبيل الله بحبة زُرعت، فأنبتت سبع سنابل ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾: فأصبحت (٧٠٠) حبة.

﴿أَنۢبَتَتْ﴾: أسند الإنبات إلى الحبة مع العلم أنّ الله هو المنبت.

﴿سَبْعَ سَنَابِلَ﴾: ولم يقل: سبعَ سنبلات، سبع سنبلات: جمع قلة، وسبع سنابل: جمع كثرة، وما دمنا في ذكر الصدقات فهو مقام المضاعفة، والتكثير، وليس مقام التضعيف والقلة.

أي: صدقة، أو نفقة واحدة لها ثواب، أو أجر (٧٠٠) صدقة درهم واحد له أجر، أو ثواب (٧٠٠) درهم، أو أكثر.

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾: أي: ليس لكل منفق هذه المضاعفة، يضاعف لمن يشاء أكثر من (٧٠٠)، وهذه المضاعفة تعود إلىٰ أحوال المنفقين أهم فقراء وينفقون، أم أغنياء وينفقون، وما هي نياتهم، وما يتبع الصدقة من المن والأذىٰ، وهل كانت في السر، أم العلن، وغيرها.

واللام في ﴿لِمَن﴾: للاختصاص، والاستحقاق.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: واسع الكرم، والفضل، والإحسان، وواسع الغنىٰ، وواسع الملك.

﴿عَلِيمٌ﴾: بالمنفقين، وأحوالهم، ونياتهم، وما تكن صدورهم عليم بما يملكون من أموال وقدرات.

[٢٦٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة للبيان.

﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ﴾: ﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي في الزمن، فالمنفق، أو المعطي صدقة قد لا يمن علىٰ صاحبها ساعة العطاء، أو في الأيام، أو الأسابيع

التالية، وإنما قد يتأخر شهوراً، أو سنة، أو سنتين، ثم يعود ليمن، أو ليذكر من أنفق عليه، أو تصدق عليه بصدقته.

﴿مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾: لا في الزمن القريب، ولا البعيد.

المنُّ: هو أن يُذكر من أحسن إليه؛ أي: تصدق عليه بإحسانه، أو بصدقته، أو أنه صاحب فضل عليه.

والأذىٰ: أعم من المن، فهو يتضمن المن، كالمس بكرامة من تصدق عليه، أو إذلاله بين النّاس، أو أن يفضح المتصدق عليه، وهذا نوع من ذكر العام بعد الخاص؛ للتوكيد علىٰ العام.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿أَجْرُهُمْ﴾: ثوابهم عند ربهم.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٨) من سورة البقرة للبيان.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: كلام طيب للفقير، أو المتصدق عليه، إذا لم يجد ما يتصدق به.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: الستر علىٰ المحتاج بعدم إظهار فقره، أو فضحه بين النّاس، والعفو عن سوء تصرفه إذا ألح بالسؤال، أو أزعج المسؤول، فهذا الكلام الطيب والمغفرة ﴿خَيْرٌ﴾: وأنفع من الصدقة الّتي ﴿يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾.

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾: يرزق العاصي والمطيع، والغني عن عباده، وعن صدقاتهم، وعبادتهم، غني؛ لأنّ له ما في السموات، وما في الأرض.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة، بل يصفح، ويعفو عمن يمن، ويؤذي بالصدقة أحياناً، فلما ذكر الأذىٰ جاء بذكر الحليم؛ لأنه لا يعجل بالعقوبة علىٰ الأذىٰ، حليم بمن يبخل ويشح لعله ينفق ويتصدق.

[٢٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا، وتحذير، ونهي.

﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾: إبطال الصدقات؛ أي: إفساد ثوابها، وذهاب أجرها بالمن والأذىٰ.

وفي الآية السابقة ذكر ثواب من لا يتبع الصدقة بالمن والأذىٰ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾: إعادة ذكر المن والأذىٰ: هو للتأكيد علىٰ تجنب ذلك، وشبه من يتبع صدقته بالمن والأذىٰ: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾: أي: لا تبطلوها مشابهين الّذين ينفقون مالهم رئاء النّاس.

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: الرياء: أن يظهر جميل الفعل رغبة في حمد الناس لا في ثواب الله تعالىٰ، ويسمىٰ الشرك الخفي؛ أي: لا ينفقها ابتغاء مرضاة الله، بل

مرضاة النّاس، ينفقها مرائياً؛ لينال حمدهم، وثناءَهم عليه، وليقال: إنه كريم، وذو سمعة طيبة. النّاس: ارجع إلىٰ الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

والرياء: نوع من الشّرك، وهو الشّرك الخفي، وهو ينافي الإخلاص.

وهذا المنفق رياءً له خصلة أخرىٰ هي أنه:

﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: ولا يؤمن بالله، واليوم الآخر، فعدم الإيمان بأحدهما يكفي؛ لأن يكفر، والباء: باء الإلصاق، ولا يؤمن بالله إيمان عقيدة.

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: والصفوان: هو الحجر الأملس، ويسمىٰ المروة، وهو الّذي لا مسام له يمكن أن تشاهدها بالعين المجردة؛ أي: مثل المرائي في الإنفاق كمثل حجر أملس صلب.

﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾: أي: تراكم عليه التراب.

﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: المطر الشديد الغزير، الفاء للتعقيب والسرعة.

﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: فأصبح أجرد ليس عليه تراب، والرأس الأصلد الّذي لا ينبت عليه شعر.

أي: نفقات المرائين يبطل ثوابها، وتذهب هباءً كما تذهب ذرات التراب الّتي تراكمت علىٰ الحجر الأملس بعد أن أصابه مطر غزير، وشديد، فالرياء جرف حسناته، ولم يبقَ منها أثر.

﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾:

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾: أي: لا يقدر المنان، والمرائي، والمؤذي على الانتفاع بأي شيء (مما أنفقوا) مما كسبوا من أجر، أو حسنة لما أنفق، والإنفاق: هو أحد الأعمال الصالحة الّتي خسر ثوابها بسبب ما فعله.

بينما الأعمال الأخرى من صلاة، وحج، وغيرها يبقى ثوابها.

ولو قال: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ كما جاء في سورة إبراهيم، آية (١٨)، فذلك يعني: كل أعمالهم الحسنة خسروها؛ لقوله: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: أي: شيء من الصلاة، والزكاة، والعبادات، كلها بطلت، بينما في آية البقرة (٢٦٤) فقط الصدقة يبطل ثوابها.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: والله لا يهدي من اختار طريق الضّلال، والكفر، وعدم الإيمان بالله، واليوم الآخر، وأنفق ماله رئاء النّاس، ولم يرجع عن غيه، وضلاله، فهؤلاء الكافرين الّذين أصبحت سمة الكفر عندهم ثابتة الله لا يهديهم، ويتركهم في طغيانهم يعمهون.

فائدة ضرب المثل: فمثله كمثل صفوان عليه تراب بعد تقرير الحكم لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى؛ ليثبت الحكم في النفس، فلا ينساه المستمع.

وضرب المثل فائدته: إزالة غموض الإجمال.

❖ ❖ ❖

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ
فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا
لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾
يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ
أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٦٥ - ٢٦٩]

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَمَثَلُ﴾: المثل: أنّ الشّيء يشبه بشيء آخر، من وجه واحد، ولا يكون مثله في الحقيقة، إلّا إذا أشبه من جميع الوجوه، وقولك هذا مثل هذا؛ أي: في الصفة.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يُنفِقُونَ﴾: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، وصيغة المضارع تدل على التجدد، والتكرار.

﴿أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: أي: طلباً لرضوان الله خالصة لوجه الله بإخلاص ومن دون رياء.

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: احتساباً، وتصديقاً من أنفسهم، ويدعون الله أن يتقبل نفقاتهم، فلا يبطلون ثواب أعمالهم بالمن، والأذى، أو يتأكدون، ويتحقَّقون حين الإنفاق أنها ستصل إلى الله تعالى، فكان أحدهم إذا هم بالصدقة يتثبت، فإن كانت لله أمضى، ومنهم من قال: التثبيت يعني مجاهدة النفس على البذل، ونبذ البخل، وتدريبها على الإنفاق.

﴿مِّنْ﴾: للابتداء.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾: الكاف: كاف التشبيه مثل جنة بربوة: الجنة البستان الكثير الأشجار والثمار.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾: الربوة: ما ارتفع من الأرض ارتفاعاً يسيراً.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: الوابل المطر الشديد الغزير عظيم القطر.

﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، آتت أكلها ضعفين: أي: ثمارها.

والضعف: ما يساوي الشّيء مرتين؛ أي: مثلَي ما كانت تثمر.

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿فَإِن﴾: إن: شرطية.

﴿لَّمْ﴾: حرف نفي.

﴿يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: الطل: المطر الخفيف، الرذاذ.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣٧) لمزيد من البيان.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: (تضم الأقوال والأفعال) في الإنفاق والصدقات.

ففي هذه الآية يشبه لنا الله سبحانه من ينفق ماله ابتغاء مرضات الله، وتثبيتاً من أنفسهم كجنة بربوة إن نزل عليها وابل من المطر أخذت منه حاجتها، وأتت أكلها ضعفين، وباقي المطر يذهب في مصارفه، وإن نزل عليها طل أيضاً أتت أكلها ضعفين، ومن المفسرين من قال: ضعفين؛ يعني: أربع مرات.

[٢٦٦] ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾:

﴿ أَيَوَدُّ ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري؛ أي: لا يود أحد ذلك.

الود: حب الشّيء مع تمنيه، وكل مودة محبة، وليس كل محبة مودة، والمودة: هي حصيلة المحبة التي يرافقها الإخلاص.

﴿لَهُۥ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملك.

﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾: بستان من نخيل، وأعناب تجري من تحتها الأنهار.

﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾: له فيها من كل الثمرات، هذا ذكر العام بعد الخاص، (وهو النخيل والأعناب)، وذكر النخيل والأعناب؛ لأنهما من أكرم الشجر، ومن أنفعها، وذكر الشّيء مرتين مرة بخصوصه، ومرة بعمومه؛ يدل على أهميته.

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾: من: ابتدائية، وقد تكون استغراقية؛ أي: فيها من كل ثمرة من دون استثناء.

﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾: الواو: للحال؛ أي: أن تكون له جنة، وقد أصابه الكبر التقدم في العُمر، وتقديره: أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر؛ أي: أصابه العجز، ولم يعد له طاقة على العمل، أو اقترب من أجله.

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾:

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: الذرية: هم النسل أو الأولاد؛ أي: نسل الإنسان،

والذرية: النساء والصغار، وله قد تعني من ذريته، أو من غير ذريته (كالأيتام وأولاد الفقراء) صغار غير قادرين على العمل مثل أولاد الفقراء، واليتامى؛ الّذين حياتهم قائمة على هذه الجنة، ضُعفاء: بضم الضاد يعني ضعف البنية والجسم مقارنة بقوله تعالى في سورة النساء الآية (٩) ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾؛ أي: فقراء؛ أي: ضعف مادي، أما الضعفاء في آية البقرة: هو ضعف بنية؛ أي: صغار. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٢١) لمعرفة الفرق بين ﴿ضِعَافًا﴾ و ﴿الضُّعَفَاءُ﴾. ارجع إلى سورة النساء آية (٩) لمزيد من البيان.

﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾: الإعصار: ريح شديدة، عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء، مستديرة كالعمود، وتسمى زوبعة شديدة، وسمِّيت إعصار؛ لأنها تعصر ما تمر به من أي شيء، أو تتلفه، أو تلتف كما يلتف الثوب المعصور.

أي: يا أيها المنفق رياء، وليس ابتغاء وجه الله، أو تتبع ما تنفق بالمن والأذى، أتود أن تذهب نفقاتك وصدقاتك يوم القيامة هباءً منبثاً، وتخسر كل شيء، وتكون عليك حسرة كالذي له جنة من نخيل وأعناب، وتجري من تحتها الأنهار، وله فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر، فهو لا يقدر على الكسب، وليس له إلَّا هذه الجنة، وله ذرية ضعفاء لا مورد لهم إلَّا هذه الجنة، فأصابها إعصار فيه نار؛ فاحترقت فأصبحت كالصريم.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ﴾: (خاصة) ﴿الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: للتعليل، ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: لتتفكروا في هذه الأمثال، وتنظروا في هذه البدائل، وتختاروا ما هو الأفضل لكم، والباقي الدائم من الفاني الزائل.

انتبه إلى قوله: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: يرجح أنّ هؤلاء الذّرية هم ليسوا أولاده أو من نسله؛ لأن من النادر أنّ نرى شيخاً مسناً أصابه الكبر، وله أولاد صغار؛ لأنّ

أولاده يجب أن يكونوا قد كبروا، وبلغوا مرحلة الشباب، والقوة، وقادرين على كسب معاشهم.

إذن: من هؤلاء الذّرية؟ هم أولاد الفقراء، والمحتاجين، والّذين هم بحاجة إلى من ينفق عليهم، فهم كذريته.

[٢٦٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾: نداء جديد بتوصية جديدة، والهاء: للتنبيه.

﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾: قلنا: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، فلا يعد ملكه. ما: أوسع شمولاً من الذي؛ كسبتم: من الكسب الذي يأتي في سياق الحسنات أو الخير، واكتسب: تأتي في سياق الشر والمعاصي، وعلى وزن افتعل الذي يدل على بذل الجهد.

أنفقوا من الكسب الحلال الطيب، وليس من الخبيث الحرام؛ لأنّ الله طيب، ولا يقبل إلّا طيباً (رواه مسلم عن أبي هريرة)، وأنفقوا: تشمل الزكاة، والتطوع.

﴿طَيِّبَٰتِ مَا ﴾: اسم: موصول؛ بمعنى: الّذي، ولكنها أوسع شمولاً للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وللعاقل وغير العاقل.

﴿كَسَبْتُمْ ﴾: من المال، والتجارة، والزراعة، والصناعة، وغيرها.

الكسب: قد يكون لنفسه، ولغيره، ويأتي في سياق الحلال.

أما الاكتساب: فهو لنفسه وحده، ويأتي في سياق الحرام.

﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾:

﴿وَمِمَّآ﴾: أي: من البعضية، ما: اسم موصول كالسابقة، أو حرف مصدري، وتشمل الحبوب، والثمار، والمعادن، والبترول، والذهب، والفضة.

ولم يقل: ما أخرجتم؛ لأن ما يخرجه الله سبحانه يفوق الأضعاف الكثيرة مما يخرجه الإنسان، أو ما يخرجه الإنسان لا يكون إلَّا بإذن الله، وتوفيقه، وهو من ملك الله.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾: ﴿وَلَا﴾: النّاهية، ﴿تَيَمَّمُواْ﴾: أصلها تتيمَّموا، تاءان أدغمت أحدهما في الأخرىٰ، والتيمم في اللغة: القصد؛ أي: لا تقصدوا.

﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾: الرديء، السيِّئ، غير الصالح، وقد يعني الحرام.

أي: لا تقصدوا وتختاروا الرديء غير الجيد، أو غير الصالح، أو الحرام؛ لتنفقوا منه، فهذا لا يليق بالمؤمن، ولا يقبله الله سبحانه.

﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾:

﴿وَلَسۡتُم﴾: الواو: للتأكيد، لستم: للنفي.

﴿بِـَٔاخِذِيهِ﴾: الباء: للإلصاق، آخذيه لأنفسكم: أي: لا يرضىٰ الواحد منكم أن يأخذه لنفسه، أو لعياله؛ لكونه سيئاً، ورديئاً، وغير صالح، فكيف يرضىٰ أن يعطيه لغيره.

﴿إِلَّآ أَن﴾: إلا: للحصر، وأن: للتوكيد. ﴿تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾: الإغماض: هو الأصل إطباق الجفن علىٰ الجفن، واستعير للتساهل، وللتغافل.

فيكون المعنىٰ: لا تأخذوه إلَّا أن تغضوا أبصاركم عن النظر إلىٰ رداءته؛

أي: تنظروا إليه بشكل سريع، ولا تدققوا في جودته، ونقائه، أو تفحصوه في باطنه وأسفله، ويعني ذلك: تتجاوزوا، وتتغافلوا عن عيبه، فتأخذوه، أو تأخذوا بعضه.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾:

﴿أَنَّ﴾: تأكيد؛ لكون الله غنياً حميداً:

١ - أي: إذا أردت أن تنفق من الخبيث، والرديء، والسيئ، والحرام؛ فالله غني عن إنفاقك، وليس لك ثواب عليه، فالله طيب، ولا يقبل إلَّا طيباً.

٢ - حميد: المحمود من جميع صفات الحمد كلها؛ أي: محمود في الأرض والسماء؛ لما أنعم من النعم على خلقه، وحميد؛ لكونه أخبركم ونبهكم إلى أخطائكم، فيجب أن تحمدوه على ذلك، والحمد لله.

ولم يقل في هذه الآية: غني حليم، كما في الآية (٢٦٣)؛ لأنه ليس فيها ذكر الأذى، ولكن ذكر الخبيث والرديء والسيئ، فالله غني عن ذلك، ويستحق الحمد على شرعه، وأحكامه.

[٢٦٨] ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦)؛ لمعرفة اشتقاق كلمة الشيطان.

﴿يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾: ولم يقل: يعدكم الشيطان فقراً، وإنما قدَّم الفاعل على الفعل؛ للتحذير، والانتباه من الشيطان.

﴿يَعِدُكُمُ﴾: يوسوس لكم: أنّ الإنفاق سيجركم، أو يسبب لكم الفقر، أو يخوِّفكم من الفقر، أو أن تصدقوا بالخبيث، أو الرديء.

يعدكم: من الوعد، والوعد يكون في الخير، أو الشر، إذا قيَّد، وإذا أطلق: اختصَّ بالخير، وأما الوعيد: لا يكون إلَّا في سياق الشر.

﴿ٱلْفَقْرَ﴾: هو سوء الحال، وقلة اليد، وأصله مشتق من كسر فقار الظهر، يقال: رجل فقر وفقير إذا كان مكسور الفقار.

﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: أي: يُغريكم من إغراء الأمر للمأمور؛ أي: التزيين.

الفحشاء: ما عظُم قبحه، أو خبثه من الأفعال، والأقوال؛ أي: شديد القبح، أو الخبث، فهو فاحش، والفاحشة قد تعني عبادة الأصنام، والزنى، واللواطة، والقذف، والإفك، ومعصية الرسول، والافتراء على الله، وشرب الخمر، ومنهم من قال: الفحشاء الذنوب الّتي فيها حد، أو المعاصي (القبيح من القول والفعل)، وفي هذه الآية تعني: يعدكم الفقر، ويأمركم بالإنفاق من الخبيث الرديء السيِّئ.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾: الوعد هنا مقيَّد ومختصٌّ بالخير.

﴿يَعِدُكُم﴾: وفيها تقديم الفاعل على الفعل؛ للتأكيد، والتنبيه، وأصلها يعدكم اللهُ مغفرة منه على إنفاقكم في سبيله.

والمغفرة: تعني: ستر الذّنب؛ أي: يغطي الذّنب، يستر عليه ذنبه، أو جرمه، ولا يفضحه، وإذا ستر عليه يعني لا يعاقبه عليه؛ أي: يغفره؛ أي: يمحوه (يمحو سيئاته)، ويعطيه ثواب أعماله الصالحة.

فالمغفرة = العفو + الثواب؛ أي: ستر الذّنب، ومحوه، والثواب على الأعمال الصالحة، فلا يطرح سيئة من حسنة، والعفو: إسقاط الذّنب، وترك العقوبة، ولا يقتضي الثواب.

ومغفـــرة جاءت بصيغة النكرة؛ للتعظيم والتهويل؛ أي: تشـــمل كل مغفرة على كل ذنب؛ إلَّا الشّرك الّذي لا يعقبه توبة.

﴿وَفَضْلًا﴾: الفضـــل: هو الزّيادة على ما يســـتحق العبد؛ أي: الزّيادة على الأجر.

﴿وَفَضْلًا﴾: نكرة، فهناك أنواع كثرة متنوعة من الفضل، وعدها الله سبحانه عباده الصالحين، ارجع إلى سورة الجمعة، آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: واســـع المغفرة، والرحمة، والعفو، واســـع الفضل، والعطاء، والإحسان، والرزق، يرزق من يشاء بغير حساب، واسع الملك، والعلم والمقدرة.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمال عباده، والأعمال تضم الأقوال، والأفعال، لا تخفى عليه خافية، ويعلم ما يســـرون، وما يعلنون، وما تخفي الصدور، وهنا تعني: عليم بما تنفقون.

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾: الإيتـــاء تعريفـــه، ارجع إلى الآية (٢٥١) من ســـورة البقرة.

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: لها معان متعدِّدة في القرآن، وحسب السياق منها: النبوة، والرسالة.

الفقه في الدِّين، أو العلم بأصول الفقه، أو العلم والمعرفة بأحكام الله.

المعرفة بالقرآن، وفهمه، وفقهه، ومحكمه، ومتشابهه.

إصابة الحق في القول والعمل؛ أي: السداد في القول، والعمل، والعلم.

والحكمة: وضع الأشـياء في موضعها النافع، مع العلم والمعرفة بأحكام الشّرع.

وآلة الحكمة: هي العقل، ورأس الحكمة مخافة الله تعالىٰ.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾: أي: كل ما أمركم به من الإنفاق، أو الأوامر، والنواهـي، والوعظ، والتذكير: هو من الحكمة، فافعلـوه، ومن يفعل ذلك فقد أوتي الحكمة، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿وَمَن﴾: شرطية للعاقل، ابتدائية.

﴿يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: ارجع إلىٰ مطلق الآية لمعرفة معنىٰ يؤت.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: زيادة التّوكيد.

﴿أُوتِيَ﴾: مبني للمجهول.

﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾: خيراً: نكرة؛ للتعظيم، والشمول، تشمل كل خير يتصوره الإنسان.

والخير: هو الشّيء الحلال الطيب الحسن النافع.

أي: من يؤت العلم بالقرآن، من حفظ، وفقه، وفهم، والفقه في الدِّين؛ فقد أوتي خيراً كثيراً، وأوتي الحكمة.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿وَمَا﴾: النّافية، ﴿يَذَّكَّرُ﴾: أصلها: وما يتذكر، ويتذكر: تسـتغرق وقتاً طويلاً، أما يذكر: فتسـتغرق وقتاً قصيراً، وفيها مبالغة في التذكير، وقوة، وعمق، وفيه حثٌّ وإيقاظ للقلب، والعقل علىٰ الإسـراع إلىٰ العلم بمعرفة ما شرع الله،

ومـــا أمر به ونهىٰ عنـــه، والعمل به، والخلوص إلىٰ مواطـــن الحكمة، والاتعاظ بسرعة؛ لأنّ الأجل قصير، ولا يتعظ ويفعل ذلك إلَّا أولوا الألباب.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أولوا العقول النيرة الصافية الّذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الّذين أحسنوا، والّذين أنابوا إلىٰ ربهم، وأسلموا له وجوههم وقلوبهم.

﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: جمع لـــب: وهو باطن العقل، ويعني فـــي لغة الطب: منطقة الإدراك، والوعي، والفهم في الدماغ. ارجع إلىٰ الآية (١٧٩)، والآية (١٩٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

نصف الحزب ٥

سورة البقرة [الآيات ٢٧٠ - ٢٧٤]

[٢٧٠] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾:

﴿وَمَآ﴾: الواو: عاطفة، ما: شرطية.

﴿أَنفَقْتُم﴾: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، فلا يعد يملكه.

﴿مِّن﴾: استغراقية تستغرق كل نفقة.

﴿نَّفَقَةٍ﴾: زكاة، أو صدقة تطوع قليلة، أو كثيرة.

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: ﴿أَوْ﴾: للتخيير، وعاطفة، ﴿مِّن﴾: ابتدائية.

﴿نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: النذر لغة: هو العزم على الالتزام بشيء خاص به.

وشرعاً: أن يلزم العبد نفسه بشيء لم يلزمه الله عليه من جنس ما شرع الله زيادة على الفريضة، أو الطاعات، وقد يكون مقيداً؛ أي: مشروطاً؛ كأن تقول: إذا نجحت أتصدق بمبلغ من المال، وقد يكون مطلقاً غير مشروط.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة، إن: للتوكيد على علم الله به، والفاء تدل على سرعة علم الله به حتّى قبل أن ينطق به.

﴿يَعْلَمُهُۥ﴾: سبقتها كلمة نفقة، ونذر، نفقة مؤنثة، ونذر مذكر، فغلب النذر على النفقة.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: ما: نافية، ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: من: استغراقية تشمل أي نصير. وأنصار: جمع نصير، بينما ناصرين: جمع ناصر، ونصير: أبلغ وآكد من ناصر، ويدل على ثبوت الصفة، وتأتي في سياق الأمور الهامة.

والظالمين هنا تعني: هؤلاء الّذين ظلموا أنفسهم بأنّ نذروا لله، ثم لم يوفوا بما عاهدوا الله عليه، أو نذروا لغير الله أو أنفقوا رياءً وسمعة أو لم يزكوا أموالهم أو الإنفاق في المعاصي وغيرها، فهؤلاء لا يجدون لهم ولياً، ولا نصيراً يوم القيامة، وهذا وعيد شديد لمن يظلم نفسه، وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحج:٧١]، أنصار: أكثر من نصير، وأنصار في كل زمان، والنصير أقوى من الناصر. والظالمين في آية البقرة تعني: في الظلم بشكل عام، وأما الظلم في آية الحج تعني: الشرك، فالظالمين في آية الحج أسوء وأشد من الظالمين في أمور الإنفاق والنذور والأموال كما في آية البقرة.

[٢٧١] ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

قيل: نزلت هذه الآية بعد الآية السابقة: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾، فقد سأل الصّحابة رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! صدقة السر أفضل، أم صدقة العلانية، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والندرة، ولكن سبحانه أعقبها بفعل مضارع (تبدوا الصدقات)، والفعل المضارع يدل على التجدد، والتكرار، والإنفاق.

﴿تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾: أي: تظهروها، أو تعلنوها كم هي ونوعها.

والصدقات جمع صدقة، والصدقة: قد تكون فرضاً كالزكاة، أو نفلاً؛ أي: تطوعاً زيادة على الزكاة، ويرجى بها الثواب والأجر.

والتصدق: مطلق العطاء، والنفقة: إخراج المال من الملك فلا يعد يملكه.

وكلمة الصدقات في القرآن تعني: الزكاة، أو صدقات التطوع.

﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾: نعما أصلها نعم + ما، نعم: فعل مضارع مخصوص للمدح، ما: اسم معرفة بمعنىٰ الشّيء، فيصبح تقديرها: نعم الشّيء إبداؤها.

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو ندرة الحدوث.

﴿تُخْفُوهَا﴾: أي: تعطوها سراً للفقراء أفضل من إعطائها جهراً، أو إظهارها للناس؛ لتجنب الرياء، وأذىٰ الفقير، وبطلان ثوابها.

﴿وَتُؤْتُوهَا﴾: مباشرة، وسراً للفقراء.

﴿فَهُوَ﴾: الفاء: للتوكيد، هو: يفيد التّوكيد أيضاً.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أفضل لكم خاصة.

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾: التكفير: هو الستر؛ أي: ويستر عليكم ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: قيل: هي صغائر الذنوب، ﴿مِّن﴾: ابتدائية، وقد تعني بعض سيئاتكم؟

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: خبير تعني: عليم ببواطن الأمور؛ أي: عليم بما تخفونه، أو تظهرونه من الصدقات، والنوايا، وبما تقولونه، أو تفعلونه من الرياء، والمن، والأذىٰ.

وأجمع المفسرون: أنّ هذه الآية (٢٧١) نزلت في سياق صدقة التطوع، وأنّ إخفاءَها أفضل من إظهارها؛ لتجنب الرياء، ويؤيد ذلك ما جاء في الصحيحين

في السبعة الّذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلّا ظله، ومنهم: رجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتّىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

[٢٧٢] ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾:

سبب النّزول: قيل: نزلت هذه الآية في أنصار المدينة المنورة؛ لما أسلموا كرهوا أن يتصدقوا علىٰ بعض أقاربهم من المشركين، وغيرهم، فنزلت هذه الآية هذا قول الجمهور، تدعوهم إلىٰ الاستمرار في التصدق عليهم، ولا يكون عدم دخولهم في الإسلام سبباً لعدم التصدق عليهم؛ لأنّ الله هو الهادي وحده يهدي من يشاء، وليس المال، أو الصدقة، ولذلك قالوا: صدقة التطوع يجوز صرفها علىٰ غير المسلم.

﴿لَّيْسَ﴾: نافية، ﴿عَلَيْكَ﴾: يا محمّد ﷺ الخطاب موجه إلىٰ رسول الله ﷺ، وكذلك أمته ﷺ.

﴿هُدَىٰهُمْ﴾: أي: لست مكلفاً بهدايتهم، ودخولهم في الإسلام، ولا أنتم مكلفون أيضاً علىٰ هدايتهم، وإنما عليك وعلىٰ أمتك البلاغ فقط.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾:

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: من عباده؛ أي: من اختار طريق الهداية، وسار عليه، وطلب من الله الزّيادة، والتوفيق للهداية، وسعىٰ لها بنفسه؛ فالله سبحانه يُعينه، ويزيده هدىٰ وتقوىٰ.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: الواو: عاطفة، ما: شرطية مطلقة، من أي شيء.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من: استغراقية تستغرق كل خير، والخير جاء نكرة؛ ليشمل كل شيء مال، وطعام، أو غيره. والخير هو الحلال الطيب الحسن النافع.

﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: الفاء: رابطة للجواب، أنفسكم: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق؛ أي: ثوابه يرجع إليكم، ولا ينتفع به غيركم.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾:

﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾: تفيد النفي؛ أي: ولا تنفقون (قيل: خبر أريد به الأمر).

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: في سبيل الله وحده، وابتغاء مرضاته، فلا شرك، ولا رياء.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾:

﴿وَمَا تُنفِقُوا﴾: ليس فيها تكرار؛ لأنّ الأولىٰ: فيها إعلام بالثواب، والثانية: فيها إعلام بأن يكون الإنفاق في سبيل الله وحده، والثالثة: إعلام بأن الثواب يضاعف، ولن تظلموا.

والتكرار يفيد التّوكيد، والحث علىٰ الإنفاق والتذكير.

وما تنفقوا من خير سيوفىٰ لكم أضعافاً مضاعفة.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: ﴿وَأَنتُمْ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿تُظْلَمُونَ﴾: ينقص من أجوركم شيئاً.

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾:

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الفقراء: جمع فقير: وهو ذو الحاجة، وسوء الحال؛ الجار والمجرور هنا متعلقان إما بالصدقات؛ أي: الصدقات للفقراء الّذين أحصروا، أو متعلقة بقوله: وما تنفقوا من خير للفقراء الّذين أحصروا.

﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الإحصار: وهو المنع والتضييق، وهو غير الحصر الذي يعني الحبس مع التضييق؛ لأنّ الكافرين منعوهم، وضيقوا عليهم، فلا يستطيعون ضرباً في الأرض، أو لأنه هم أنفسهم يريدون أن يجاهدوا في سبيل الله، أو يتعلموا أمور دينهم، فلا يشتغلون في الزراعة، ولا التجارة، أمثال أصحاب الصفة، فهم أشد النّاس حاجة للصدقة من غيرهم من الفقراء.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لا يسافرون للتجارة، ولا يخرجون طلباً للرزق، والتجارة، أو العمل لاشتغالهم بالجهاد، وتعلم القرآن، وسمي السير في الأرض ضرباً من ضرب الأرض بالأرجل.

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾: أي: الجاهل لحالتهم، والذي لا يعرفهم لا يحسبهم فقراء، وإنما أغنياء، وسبب هذا الحسبان هو تعفُّفهم.

والتعفُّف: هو ترك سؤال النّاس، وإظهار العفة عدم الحاجة.

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾: تعرفهم يا محمّد ﷺ بسيماهم: بعلامتهم، وآثارهم، هي السمة، أو العلامة الّتي يعرف بها الشّيء، والباء: للإلصاق.

وفيها ثلاث لغات: سيما (مقصورة)، أو سيماء (ممدودة)، أو سيمياء (بزيادة ياء أخرىٰ مثل كبرياء).

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾: وهي سيما الفقر، والحاجة، والخشوع، ورثاثة الهيئة، واللباس البسيط.

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾: ﴿إِلْحَافًا﴾: أي: إلحاحاً، يقال: ألحف في المسألة؛ أي: ألح عليه، فهو ملحف؛ أي: لا يسألون النّاس بإلحاح، ولا من دونه؛ أي: لا ملحفين، ولا غير ملحفين. النّاس: ارجع إلىٰ الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٧٢).

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: للتوكيد، إن: لزيادة التّوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: خبير مطلع عليه، وسوف يثيبكم عليه.

فهذه الآية تحث علىٰ الإنفاق علىٰ هؤلاء، فهم أشد النّاس حاجة إلىٰ الصدقة من غيرهم من الفقراء، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ أي: الإنفاق الأفضل أن يكون لمن هم أشد حاجة من النّاس.

نعود إلىٰ آيات الإنفاق، وما تنطوي عليه، وليس فيها تكرار، كما يظن البعض.

فيقول سبحانه: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: الآية تتحدَّث عن مادة الإنفاق، المال وغيره، والطعام، والخير المال وغيره.

﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: أي: ثواب الإنفاق، وفائدته عائدة أو راجع لكم، فالآية تتحدث عن الثواب.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: الآية تتحدث عن الإنفاق يجب أن يكون خالصاً لوجه الله؛ لتكتمل شروطه.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: الآية تتحدَّث عن الإنفاق، وأنه ليس خسارة، أو ضياعاً للمال، بل ستستردونه أضعافاً مضاعفة، والله لن يظلمكم.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: المحصي، والمطلع على مقدار ما تنفقونه هو الله.

فكل جزء من الآية يتحدَّث عن شيء مختلف عن الآخر، وليس هناك تكرار.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

في هذه الآية يبيِّن الله زمن الإنفاق وكيفيته.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: ولم يقل: بالليل أو النهار، وذلك لحرصهم على الخير، ولم يتقيدوا بوقت، ولا حال، ولا بليل، ولا بنهار، بل أنفقوا ليلاً، وأنفقوا نهاراً؛ أي: أنفقوا في كل الأوقات.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: وأنفقوا سراً، وأنفقوا علانيةً، فلا تحديد للكيفية بحال أو بهيئة.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: زيادة الفاء هنا تدل على التّوكيد، تدل على توكيد الأجر والثواب.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة.

انتبه إلى أنّ الإنفاق بالليل والنهار استخدم له الباء، ولم يقل: في الليل والنهار، وجاء بأل التعريف في كلمتي الليل والنهار؛ للدلالة على دوام الإنفاق في أي وقت ولم يحدد.

بينما الجمع في الأموال، والتكاثر استخدم (في) للتحديد مثال: ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ﴾ [الحديد: ٢٠].

❖ ❖ ❖

فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الأول

السورة ورقمها	الصفحة
المقدِّمة	٧
سورة الفاتحة	١٠
سورة البقرة [الآيات ١ - ٥]	٢١
سورة البقرة [الآيات ٦ - ١٦]	٣٣
سورة البقرة [الآيات ١٧ - ٢٤]	٤٩
سورة البقرة [الآيات ٢٥ - ٢٩]	٦٥
سورة البقرة [الآيات ٣٠ - ٣٧]	٧٧
سورة البقرة [الآيات ٣٨ - ٤٨]	٩١
سورة البقرة [الآيات ٤٩ - ٥٧]	١٠٥
سورة البقرة [الآيات ٥٨ - ٦١]	١١٩
سورة البقرة [الآيات ٦٢ - ٦٩]	١٣١
سورة البقرة [الآيات ٧٠ - ٧٦]	١٤١
سورة البقرة [الآيات ٧٧ - ٨٣]	١٥١
سورة البقرة [الآيات ٨٤ - ٨٨]	١٦١
سورة البقرة [الآيات ٨٩ - ٩٣]	١٧٥
سورة البقرة [الآيات ٩٤ - ١٠١]	١٨٣
سورة البقرة [الآيات ١٠٢ - ١٠٥]	١٩٥
سورة البقرة [الآيات ١٠٦ - ١١٢]	٢٠٣
سورة البقرة [الآيات ١١٣ - ١١٩]	٢١٥

السورة ورقمها	الصفحة
سورة البقرة [الآيات ١٢٠ - ١٢٦]	٢٢٥
سورة البقرة [الآيات ١٢٧ - ١٣٤]	٢٣٩
سورة البقرة [الآيات ١٣٥ - ١٤١]	٢٥١
سورة البقرة [الآيات ١٤٢ - ١٤٥]	٢٦١
سورة البقرة [الآيات ١٤٦ - ١٥٣]	٢٧٣
سورة البقرة [الآيات ١٥٤ - ١٦٣]	٢٨٧
سورة البقرة [الآيات ١٦٤ - ١٦٩]	٣٠٣
سورة البقرة [الآيات ١٧٠ - ١٧٦]	٣١٥
سورة البقرة [الآيات ١٧٧ - ١٨١]	٣٢٧
سورة البقرة [الآيات ١٨٢ - ١٨٦]	٣٣٩
سورة البقرة [الآيات ١٨٧ - ١٩٠]	٣٥١
سورة البقرة [الآيات ١٩١ - ١٩٦]	٣٦٣
سورة البقرة [الآيات ١٩٧ - ٢٠٢]	٣٧٣
سورة البقرة [الآيات ٢٠٣- ٢١٠]	٣٨٥
سورة البقرة [الآيات ٢١١ - ٢١٥]	٣٩٩
سورة البقرة [الآيات ٢١٦ - ٢١٩]	٤١٣
سورة البقرة [الآيات ٢٢٠ - ٢٢٤]	٤٢٣
سورة البقرة [الآيات ٢٢٥ - ٢٣٠]	٤٣٣
سورة البقرة [الآيات ٢٣١ - ٢٣٣]	٤٤٥
سورة البقرة: [الآيات ٢٣٤ - ٢٣٧]	٤٥٩
سورة البقرة [الآيات ٢٣٨ - ٢٤٥]	٤٧١
سورة البقرة [الآيات ٢٤٦ - ٢٤٨]	٤٨٣
سورة البقرة [الآيات ٢٤٩ - ٢٥٢]	٤٩١

السورة ورقمها	الصفحة
سورة البقرة [الآيات ٢٥٣ - ٢٥٦]	٥٠١
سورة البقرة [الآيات ٢٥٧ - ٢٥٩]	٥١٧
سورة البقرة [الآيات ٢٦٠ - ٢٦٤]	٥٢٧
سورة البقرة [الآيات ٢٦٥ - ٢٦٩]	٥٣٧
سورة البقرة [الآيات ٢٧٠ - ٢٧٤]	٥٤٩
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الأول	٥٥٨

❖ ❖ ❖